الأعداء مجتمعون. المصير المظلم يترقّب...

المُتَوَحِّشُون

FERALS

انتقام الأرملة البيضاء

THE WHITE WIDOW'S REVENGE

الجزء الثالث من
ثُلاثيّة «المتوحّشون»

مكتبة | 271

جاكوب غراي
JACOB GREY

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

أقرأ لأكثر

الأعداء مجتمعون. المصير المظلم يترقّب...

انتقام الأرملة البيضاء

THE WHITE WIDOW'S REVENGE

الجزء الثالث من
ثلاثية «المتوحشون»

أقرأناكموه

للمزيد والجديد من الكتب والروايات

تابعوا صفحتنا على فيسبوك

أقرأناكموه

telegram @ktabpdf

أقرأناكموه

الأعداء مجتمعون. المصير المظلم يترقّب...

انتقام الأرملة البيضاء

THE WHITE WIDOW'S REVENGE

الجزء الثالث من
ثُلاثيّة «المُتَوَحِّشُون»

جاكوب غراي
JACOB GREY

مراجعة وتحرير
مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

أقرأناكموه

بسم الله الرحمن الرحيم

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

THE WHITE WIDOW'S REVENGE

حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر

HarperCollins Publishers

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

Copyright © 2014 by Jacob Grey

All rights reserved

Arabic Copyright © 2016 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى: كانون الثاني/يناير 2017 م - 1438 هـ

ردمك 978-614-01-2118-8

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
www.aspbooks.com
asparabic

أقرأناكموه

1

فكّر كاو في سرّه: إنهم لا يعرفون أبداً مقدار الخطر الذي يحدق بهم.

ثم رفع ياقة قميصه، رغم أنه مبلل بالكامل، ونظر إلى الشارع الذي كان هادئاً بسبب الطقس المريع؛ باستثناء عدد قليل من الأشخاص الذين تابعوا حياتهم بشكل طبيعي. إذ كان هناك رجل يرتدي بذلة داكنة يتناول شطيرة تحت مظلة يتقطر منها المطر، فيما تحرّكت السيارات ببطء على الطريق الزلق، وهناك ولد يمسك بيد أمه ويسرع إلى متجر الأحذية هرباً من المطر الغزير.

المطر يهطل منذ أيام عدة، ولكنّ الغيوم الرمادية المنخفضة لا توحي بأنها ستفرغ حملها سريعاً. صارت الشوارع غارقة بالماء، وملأت برك المياه الصغيرة السطوح التي وقف عليها كاو لدى انتقاله من واحد إلى آخر. نظر إلى الحذاء الرياضي المستعمل الذي وجده في بازار للألبسة، كان الماء قد تسلل إليه منذ وقت طويل عبر قماشه، وباتت أصابع قدميه مبتلة؛ غير أنه ابتلّ مرات كثيرة في حياته، حيث لم يعد الأمر يزعجه قط. فقد ترعرع في العشّ في حديقة بلاكستون العامة، وواجه العديد من العواصف التي ضربت المدينة ومزّقت الغطاء المشمّع. ولو لم يتمكنوا من إصلاحه، لوقع كاو وغربانه

أقرأناكموه

أرضاً، ولتقاذفتهم الريح والمطر. إنه لا يحب ذلك، ولكنه يعرف جيداً أن المحنة ستمرّ دوماً.

قال سكريتش: لقد نسيت شكل الشمس. وكان أصغر غربان كاو جالساً على حافة السطح وقد نفش ريشه ليحمي نفسه من المطر، فيما جثم الغرابان الآخران قربه.

فقال غلام بتفاؤل: ربما يجدر بنا العودة إلى المنزل. ثم وضع منقاره على صدره وأغمض عينيه.

عندها، أمالت شيمر رأسها وقالت: يا للتذمر! لن يؤذيكما القليل من الماء.

بالنسبة إلى جميع الموجودين في الشارع في الأسفل، لم تكن الغربان الثلاثة لافتة للنظر برأي كاو. ولن يدرك أحد، باستثناء الخارق، أنه يستطيع فهم ما تقوله الغربان.

قال كاو: «يريد منا كرامب الانتظار هنا فيما يتحقق من المصرف». وأشار إلى مبنى في الجهة المقابلة من الشارع.

فقال غلام: «هناك عشرون مصرفاً في بلاكستون. واحتمال وجودهم في هذا المصرف ضئيل جداً».

ارتجف كاو.

عندها، قالت شيمر: أستطيع النزول إلى الأسفل، وإلقاء نظرة إذا شئت. ووثبت في مكانها بتململ.

فكّر كاو في الأمر ملياً؛ فقد يكون أعداؤهم في الأسفل، وإذا رأوا غراباً يتصرف بغرابة فربما سيفضحون أمرهم. وبعد ذلك تساءل في سره عمّا إذا كان يجدر به إرسال شيمر إلى المستشفى لتنظر عبر

إحدى النوافذ وتتحقق من صحة سيلينا؛ فعلى الأقل، سيجعلها ذلك تنشغل بأمر ما. سوف تطيعه بالتأكيد؛ رغم أنها ليست مفتونة كثيراً بابنة خارقة الذباب. في الواقع، ما من أحد يحبها باستثناء كاو. لكن سيلينا دافنبورت موجودة في المستشفى بسببه؛ فقد أصيبت برصاصة أثناء محاولتها إنقاذ حياته.

وخلال الأسبوعين اللذين مرا بعد المعركة التي دارت فوق شقة الشرطية دافنبورت، بقيت سيلينا مستلقية على السرير في مستشفى بلاكستون فاقدة وعيها، من دون أن يتمكن الأطباء من معرفة سبب عدم استيقاظها بالتحديد، وقالوا إنها قد تكون مصابة بنوع من الالتهاب. وقد علّق صديق كاو خارق الحمام المدعوّ كرامب على ذلك بالقول إنه من الأفضل ربما ألّا تستيقظ أبداً، فيما امتنع كاو عن التعليق على كلامه. إذ بالرغم من موقف الجميع، لا تزال سيلينا صديقته؛ فقد بقيت قربه في أصعب الأوقات.

قالت شيمر: مرحباً، ما رأيك يا سيدي؟ أستطيع مسح المبنى من دون أن يراني أحد.

فأجاب كاو: «حسناً. ولكن توخّي الحذر».

عندها، بسطت شيمر جناحيها، ثم طارت على علو منخفض واختفت بعيداً عن الأنظار. وقرر كاو أن يطلب من غلام تنفيذ مهمة المستشفى لاحقاً. يفترض أن يسمع أخباراً جيدة في أي وقت الآن.

فجأة، سمع صوت صرير حاداً، فاستدار ورأى بيب، خارق الفئران الصغير، وكرامب النحيل يصعدان السلالم في مخرج الحريق.

قال غلام: في الوقت المناسب.

أقرأناكموه

كان كرامب يحمل مظلة عتيقة جداً، وبقي بيب قريباً منه جداً فيما سارا على السطح مسرعين.

في تلك اللحظة، حطّت حمامة قرب كرامب بطريقة غير رشيقة.

فقال لها خارق الحمام: «استمري في المراقبة يا بوبين». وبالرغم من وجود المظلة، انسدل شعره البني على وجهه على شكل خصلات، فيما أشبعت لحيته غير المرتبة بالماء، وقال مخاطباً كاو: «هذا هو المكان».

نظر كاو إلى الواجهة المزخرفة لمصرف بلاكستون المؤلف من ثلاثة طوابق وسأله:

«كيف تعرف؟! يبدو لي كل شيء طبيعياً هنا».

فأجاب بيب بحماسة: «اتضح أن المدير خارق أيضاً». كانت عينا خارق الفئران متّقدتين بالحماسة تحت قلنسوة سترته المقاومة للماء، فيما بدت السترة أكبر من حجمه بثلاثة مقاسات على الأقل، ووصلت إلى ركبتيه.

أومأ كرامب برأسه مؤكداً وقال: «بيكويك هو خارق عصافير الدوري، وربما اختاره المجرمون الهاربون لهذا السبب. إذ إنهم يحصلون على المال ويتخلصون من الخارقين الذين يحاولون التصدي لهم في الوقت نفسه».

بدأ قلب كاو يخفق بسرعة أكبر لأنه يعرف شراسة أعدائهم. فقبل بضعة أسابيع، أطلقت أم الذبابات سراح أخطر المجرمين وحوّلتهم إلى جيش من الخارقين الجدد باستعمال قوة حجر منتصف الليل. وقد مكّنت كل واحد منهم من السيطرة على نوع من الحيوانات

مقابل الخضوع لأوامرها.

ربما يكون كاو قد هزم الشرطية على سطح المبنى، لكن الخارقين التابعين لها لا يزالون أحراراً، وقد ازدادت نسبة الجرائم في المدينة نتيجة لذلك، وباتت أسوأ بمئة مرة عمّا كانت عليه سابقاً نتيجة القوى الجديدة الخارقة للمجرمين. وها قد انتشرت السرقات، والاعتداءات، وعمليات التخريب المتعمّدة... وقد ذكرت الصحف بعض القصص الغريبة عن حيوانات مختلفة الأنواع شوهدت في مسارح الجرائم- مجموعة من النسور تحلّق فوق مسرح المدينة، وهجوم للراكون في دار السينما- لكن الشرطة لم تستطع تحديد الرابط بين الأمرين. لا يستطيع كاو لومهم؛ فهم لا يعرفون بوجود الخارقين.

هذا الصباح، أدى اقتحام أحد النوادي إلى موت حارسين بعد جزّ عنقيهما. إنه بالتأكيد عمل لوغمان؛ خارق النمور الجديد. وبمحض الصدفة، كان اثنان من فئران بيب موجودين في مكان الحادث، وسمعا المجرمين وهم يخططون للهجوم على أحد المصارف.

أطبق كاو قبضتَي يديه غاضباً؛ إذ كلما أجاد المجرمون استخدام قواهم الخارقة أصبحوا أكثر خطراً. لذا، لا بد من إيقافهم وردعهم.

سأل كاو: «هل يجدر بنا إبلاغ الآخرين؟». فقد كانت السيدة ستريكهام والخارقون الآخرون الجيدون منتشرين في سائر أرجاء بلاكستون لمراقبة المصارف.

فهزّ كرامب رأسه وأجاب: «ثمة احتمال بأن يهاجموا مصرفاً

آخر. لذا، أخشى أن تكون هذه مهمتنا».

عندها، سأله كاو: «وهل بيكويك جاهز؟». ثم ألقى نظرة على سلاحه منقار الغراب؛ ذلك السيف قصير النصل والخاص بسلالة الغربان، والذي كان قد علّقه على خصره في غمد صنعه من بقايا حقيبة جلدية قديمة.

قال كرامب: «بيكويك ليس مقاتلاً، ونادراً ما يتحدث إلى عصافيره. غير أنه سيُبعد كل المتفرجين الأبرياء عن الطريق».

شعر كاو أنه من الغريب ألا يستعمل شخص خارق قواه، وأن يكتفي بعيش حياة عادية. فما من شيء في حياة كاو كان عادياً.

في تلك اللحظة، وصلت شيمر مطلقة صرخة ملحّة، وقالت: إنهم آتون؛ فقد توقفت عربة سوداء مقفلة عند إشارة المرور على بعد خمسة مبانٍ إلى الشرق.

قال كاو: «عمل جيد». ثم استدار نحو كرامب وبيب قائلاً لهما: «لقد وصلوا تقريباً».

عندها، لوّح كرامب بذراعه فجاءت إليه عدة حمامات من المباني المجاورة، فيما انحنى بيب فوق حافة السطح. وما هي إلا لحظات حتى سمع كاو صراخاً صادراً من الشارع في الأسفل، فنظر ورأى فتاة صغيرة ترتجف بين ذراعَي أمها بعد أن خرجت مجموعة هائلة من الفئران من تحت غطاء أنبوب صرف صحي وانتشرت في أرجاء الشارع، فتراجع المارّة إلى الخلف.

وما كان من بيب إلا أن ابتسم ابتسامة عريضة وهو يقول: «من يحتاج إلى نمر إذا كانت لديه فأرة أو فأرتان؟».

ثم فرقع بأصابعه، ووجّه مجموعة الفئران صوب درج المصرف. كانت كتلة أجسام الفئران كثيرة العدد كافية لفتح الأبواب الأوتوماتيكية، وسرعان ما تدفقت إلى الداخل، فخرج الزبائن وهم يصرخون. وبعد هنيهة، ظهر رجل قصير أشيب الشعر يرتدي بذلة ويضع نظارة وهو يتمتم معتذراً، ثم نظر إلى السطح وقدم تحية صغيرة، فأومأ له كرامب وقال: «فلننزل إلى الأسفل».

عندها، قال كاو مخاطباً سكريتش: «أحضر الغربان الأخرى». طارت الغربان عالياً فيما توجّه كاو صوب مخرج الحريق، وتدفق الأدرينالين في عروقه فيما أمسك الدرابزين بيديه وانزلق إلى الأسفل فارتطم كعبا قدميه بالأرضية. ركض صوب السلالم التالية وفعل الشيء نفسه، فوصل إلى الطابق الأرضي خلال ثوانٍ، وانطلق بعدها في الشارع بسرعة. وبسبب انتشار الفئران والطقس السيئ، كانت الأرصفة خالية تقريباً.

رأى السيد بيكويك كاو قادماً فنظر إليه شزراً وقال له: «آسف، أقفلنا اليوم باكراً بسبب انتشار الحيوانات الضارة».

فقال كاو بسرعة: «أنا خارق الغربان». إذ يجب عليهم دخول المصرف قبل وصول عربة المجرمين.

غير أن الرجل العجوز نظر إليه نظرة مشكّكة.

فقال صوت من الأعلى: «إنه معي». كان كرامب وبيب يحلقان تحت المطر بمساعدة عدد كبير من طيور الحمام.

ابتسم السيد بيكويك ابتسامة حزينة حين هبطا أمامه، وقال: «أعترف أنني أخطأت. هيّا إلى الداخل بسرعة».

أقرأناكموه

كان المصرف واسعاً وقديم الطراز، وفيه رفوف خشبية مغطاة بصفائح برونزية، ولوحة جدارية عملاقة مرسومة بألوان زيتية لافتة على أحد الجدران. فاحت رائحة دواء التنظيف في المكان، وكانت الأصوات الوحيدة الصادرة أصواتَ خطوات موظفي السيد بيكويك الذين خرجوا مسرعين من مكاتب المصرف.

قال كاو فيما نظر إلى الألواح الزجاجية خلفهم: «كيف نقفل الأبواب؟».

فأجاب السيد بيكويك: «ثمة زر في الأسفل إلى اليسار».

وجد كاو الزر تحت غطاء بلاستيكي شفاف فضغط عليه، وسرعان ما انغلقت الأبواب الزجاجية السميكة.

قال السيد بيكويك: «الزجاج مضاد للرصاص».

وقال كرامب: «اتصل بالشرطة على رقم الطوارئ».

وفيما رفع مدير المصرف سماعة الهاتف، توقفت فجأة عربة سوداء مقفلة أمام الدرج الخارجي، ما جعل قلب كاو يخفق بقوة. تعرّف فوراً إلى السائق بشعره القصير، وذراعيه مفتولتَي العضلات اللتين غطتهما وشوم السجن. إنه لوغمان. وفي الطرف الآخر، اتسعت عينا المجرم عندما نظر إلى المصرف ورأى كاو، ثم ابتسم بسخرية. عندها، أمسك كاو بمقبض سيفه.

فُتِح الباب الخلفي للعربة المقفلة، وخرجت منها امرأة حليقة الرأس مثقوبة الشفة، فتذكّرها كاو من المعركة التي دارت على سطح منزل الشرطية. أشارت المرأة إلى شيء ما في العربة المقفلة، فهبطت عجلات العربة قليلاً فيما برز منها رأس عملاق لثور أميركي عملاق

أقرأناكموه

شـمّ الهواء قبل أن ينزل إلى الرصيف. حجمه الضخم جعل ركبتَي كاو ترتعدان خوفاً؛ إذ كانت حوافره بحجم أطباق الطعام. نظر الثور إليهم وأصدر صوتاً مريعاً فيما سال اللعاب من فمه.

فسـأل كرامب وقد صار وجهه شـاحباً: «هل بإمكان هذا الباب الصمود في وجه ثور أميركي؟!». وقفوا جميعاً مسمرين في أماكنهم فيمـا صعـد الوحـش العمـلاق على الدرج وهو يشـخر مـن منخريه المتسعين.

وفي تلك الأثناء، خرج لوغمان من العربة المقفلة، ولحقت به هرّة سوداء كبيرة. نظر إلى الشارع ومن ثم إلى كاو، وبعد ذلك جمع كفّيـه معـاً كمـا لو أنه يترجى، ثم أبعدهما متمتماً: «افتح الباب». فهزّ كاو رأسه رافضاً.

عندها، أمرت المرأة ذات الرأس الحليق الثور الأميركي بالتقدم إلى الأمام، فتقدم الوحش إلى الأمام ونطح الباب برأسه أولاً مصدراً ضجة هائلة.

تراجع الجميع إلى الوراء، فيما اهتز الزجاج مجدداً من دون أن ينكسر. وتراجع الثور الأميركي إلى الخلف أيضاً، ثم هجم مجدداً. صمـد الزجـاج فـي وجهه، لكـن المفصلات المعدنية باتت مشـوهة بالكامل.

فقال السيد بيكويك الذي كان لا يزال ممسكاً بالهاتف: «لا بد أنهم قطعوا الخط، إذ لا يصدر أي صوت منه. هل يحمل أي منكم هاتفاً خلوياً؟».

فهزّ كرامب رأسه نافياً.

أقرأناكموه

انفطر قلب كاو، ولكنه نحّى خوفه جانباً، وطاف بعقله بعيداً باحثاً عن غربانه، ثم أطبق قبضتَي يديه ونادى طيوره لتأتي إليه.

وما هي إلا لحظات حتى رأى من خلال الزجاج غيمة سوداء آتية من بين الأبنية المحيطة بالمصرف، فوجَّهَ مجموعة منها نحو الثور المتوحش قائلاً لها: «اهجمي على الثور الأميركي!»، فيما وجَّهَ مجموعة أخرى نحو المرأة حاثّاً إياها على مهاجمتها بمخالبها. ولا بد أن سيطرة المرأة على الثور الأميركي قد توقفت حين انهارت بفعل هجوم الطيور السوداء عليها؛ لأن الوحش الكبير تراجع إلى الخلف ونزل الدرج وتوقف قرب العربة المقفلة.

في تلك اللحظة، ظهر لوغمان عبر مجموعة الطيور حاملاً مطرقة ثقيلة. وحين وصل إلى أعلى الدرج، ضرب الأبواب الزجاجية بالمطرقة، فارتجت جدران المصرف كلها بسبب قوة الضربة، ما جعل بيكويك يقفز في مكانه.

بعد ذلك، تراجع لوغمان خطوة واحدة إلى الوراء، ثم ضرب مجدداً بأقصى قوته، فظهرت بعض التشققات على الزجاج. حينها، انضمت حمامات كرامب إلى المعركة، وهاجمت لوغمان وهو يرفع المطرقة مجدداً. حاول لوغمان إبعادها عنه، لكن عدداً أكبر وأكبر منها هاجمه، فأفلت المطرقة وتراجع إلى العربة المقفلة جارّاً شريكته معه، ثم أغلق الباب خلفهما.

قال بيكويك: «يا إلهي! هل... هل انتهى الأمر؟».

خفّ قليلاً صوت خوار الثور الأميركي بفعل الزجاج السميك، فيما علق لوغمان والمرأة الخارقة داخل العربة المقفلة بسبب الغربان

أقرأناكموه

والحمامات. ولا شك في أن أحد الأشخاص من الخارج قد اتصل بالشرطة.

لكنّ قلب كاو لم يطمئن قط؛ إذ لا يمكن أن يكون الأمر بهذه السهولة...

قال كرامب: «لقد نجحنا».

فقال صوت مألوف بلكنة جنوبية: «ليس تماماً».

جفل كاو واستدار نحو مصدر الصوت؛ نحو اللوحة الجدارية العملاقة التي غطت حائطاً كاملاً. كانت اللوحة تتحرك بطريقة جعلت عينيه مشوشتين ونصف مغمضتين، ثم ظهر شكل رجل، وتغيرت ألوان بذلته قبل أن تستقر على اللون القشدي الشاحب. إنه السيد سيلك، خارق العث. أمال السيد سيلك قبعته العريضة وقال:

«كم هو رائع أن تنضمّ إليّ يا كاو».

مدّ كاو يده، ولكن كل غربانه كانت لا تزال في الخارج. ألقى نظرة سريعة على كرامب، وأدرك أن خارق الحمام قد ارتكب خطأه نفسه، وأبقى كل طيوره خارج المصرف.

سأل بيكويك: «من أنت؟».

فأجاب السيد سيلك: «أنا مجرد زبون جاء لسحب المال؛ مبلغ كبير من المال».

عندها، صرخ كاو: «بيب، نل منه».

وسرعان ما تدفّقت مجموعة من الفئران نحو خارق العث. لكن السيد سيلك بدا ضجراً لا أكثر وهو يرفع كلتا ذراعيه. عندها، دبّت الحياة في الجدران والسقف، وظهرت فجأة آلاف حشرات العث في

كل مكان، ودفنت الفئران خلال ثوانٍ قليلة، ثم توجهت نحو كاو وغطّت وجهه. حاول كاو الالتفاف والتملص منها، وكافح للتنفس لأن الهواء أصبح ثقيلاً جداً بسبب الأجنحة الصغيرة الخافقة على وجهه. ووسط كل هذه الفوضى، رأى بيب يتدحرج أرضاً كما لو أنه كرة، فيما تعثر كرامب بأصيص نبتة.

في تلك اللحظة، سمع كاو صوت تحطم قوياً، وأحسّ بدفق قوي من المطر على ظهره. لقد تحطّم الزجاج! كان ما فعله سيلك يهدف إلى صرف انتباههم فقط! قفز كاو جانباً فيما حطم الثور الأميركي الأبواب، ولحقت به سيدته، ثم وقف الاثنان في ردهة المصرف، والبخار يتصاعد من ظهر الثور ومنخريه.

وفي اللحظة التالية، اختفت حشرات العث، فسطع الضوء على وجه كاو، وهب عليه الهواء، وسمع صراخ شخص مذعور.

كان الثور الأميركي واقفاً في وجه بيب، ومحدقاً إليه وقد أخفض قرنيه إلى الأسفل، فيما التصق خارق الفئران بإحدى المنضدات مرتجفاً من شدة الخوف.

احتشدت غربان كاو عند الباب، ولكنه مدّ يده لإبقائها في مكانها. إذ إن أي خطأ مهما كان صغيراً قد يتسبب بسحق الثور لبيب أو تمزيقه إياه إرباً بواسطة قرنيه.

عندها قال لوغمان: «قرار سليم». ومرّ أمام كاو حاملاً مطرقته مجدداً، فيما كشر نمره عن أنيابه في وجه كاو، فأجفل هذا الأخير وهو يحسّ بحرارة أنفاس النمر.

قال المجرم: «ارتكب أي خطأ وسيقتل وحش تيرا ذلك الولد

أقرأناكموه

بلمح البصر». عندها، أدرك كاو أنهم بحاجة إلى أكثر من مجموعة من الطيور لإيقافه.

وأخيراً، أفلت السيد بيكويك سماعة الهاتف المعطل، وأعادها برفق إلى مكانها سائلاً: «ماذا سيحصل الآن؟».

فأجاب لوغمان: «أرشد السيد سيلك إلى الخزنة».

تردد السيد بيكويك في الاستجابة لطلب لوغمان، فما كان من المجرم إلا أن حرّك عينيه. وعلى الفور، وثب النمر وهبط قرب خارق عصافير الدوري. مرّر النمر أحد مخالبه على ذراع بيكويك بطريقة مهددة وساخرة نوعاً ما، ثم غرز مخالبه في بذلة مدير المصرف، فصرخ هذا الأخير فيما اخترقت المخالب بذلته وصولاً إلى جسده، وسال الدم على الأرض.

عندها، قال له كرامب بصوت مرتجف: «افعل ما يطلبه منك. لوغمان، إذا تأذى ذلك الصبي...»

فأجاب لوغمان: «إذا نفّذتم ما نطلبه، فسيبقى على قيد الحياة».

رافق السيد بيكويك خارق العث إلى باب في الجهة الخلفية من المصرف وأدخل رمزاً، فيما راقب كاو بغضب اختفاء بيكويك والسيد سيلك ببذلته القشدية خلف الباب. كانت المرة الأخيرة التي رأى فيها كاو خارق العث أثناء اختفائه في بلاكواتر؛ في ذلك النهر المتسخ والمتدفق عبر المدينة. وقد افترض حينها أنه غرق.

قال بيب فجأة وقد ارتجفت شفتاه: «أنت مقرف».

فأجاب لوغمان وهو يلوّح بالمطرقة: «أغلق فمك».

عندها، ردّ بيب: «لست خائفاً منك».

أقرأناكموه

فقال كرامب: «اصمت!».

قال بيب: «لا، لن أفعل. فحتى لو قتلنا، فإن الخارقين الآخرين سيقضون عليه».

عندها، ضحكت تيرا وقالت: «أسيفعلون ذلك مستعينين بالطيور والفئران؟». وخار الثور الأميركي لاهثاً.

شعر بيب بالخوف غير أنه قال: «أنتم مجرد حثالة جشعين. نحن نتعاون ونعمل معاً، فيما أنتم تخافون من بعضكم بعضاً».

فقال كرامب: «بيب، اصمت من فضلك».

عندها، قال لوغمان: «الصبي شجاع أكثر منك يا خارق الحمام».

في تلك الأثناء، خرج بعض موظفي المصرف الذين كانوا مختبئين في الجهة الخلفية عبر الباب وقد حنوا أكتافهم بسبب الأكياس القماشية العملاقة الثقيلة والمليئة بالأوراق النقدية، وحدقوا إلى الثور الأميركي والنمر بذهول ورعب.

فقال لوغمان بعصبية وهو يلوّح بمطرقته: «ضعوها في العربة المقفلة!».

حمل موظفو المصرف الأكياس عبر الأبواب الزجاجية المكسورة، ونزلوا درج المصرف، وبدأوا بوضع الأكياس في الجهة الخلفية من العربة المقفلة، من دون أن يلاحظوا على ما يبدو مئات الطيور المحتشدة في الخارج. وما إن ملأوا العربة المقفلة بالأكياس حتى ركضوا في الشارع ولاذوا بالفرار. عاود السيد سيلك الظهور، فأعطاه لوغمان مفاتيح العربة المقفلة قائلاً له: «سنخرج بعد دقيقة، فأنا لم أُنهِ عملي هنا بعد».

أقرأناكموه

استدعت تيرا الثور الأميركي ليقف قربها، وربّتت على فروه الكثيف.

وقال السيد سيلك واضعاً يده على ذراع لوغمان: «حصلنا على ما جئنا من أجله يا صديقي؛ ثلاثة ملايين تقريباً حسب تقديري».

أبعد لوغمان اليد عنه، ونظر بعينيه الباردتين إلى بيب قائلاً: «نعم، لكن صغيري لم يتناول طعامه بعد».

عندها، شعر كاو بالتوتر، وهيّأ نفسه للقفز، وأحسّ بغربانه في الخارج تفتح أجنحتها. لن يحصل أي شيء لبيب طالما أن كاو لا يزال يتنفس...

توقف السيد سيلك ورفع قبعته، ثم نظر إلى بيب الذي بدأ يبكي فيما تقدم النمر نحوه، وقال بهدوء: «ليس هذا ما أُمِرنا بالقيام به».

ثم تبادل لوغمان وخارق العث النظرات، فتردد كاو، ووجد صعوبة في التنفس. أوامر! من الذي يعطيهم الأوامر؟

قال لوغمان: «أنا... أقرأ بين السطور. انتظر في العربة يا سيلك... إلا إذا كنت ترغب في المشاهدة».

أعاد خارق العث وضع قبعته على رأسه، ومن دون النظر إلى الخلف إطلاقاً خرج مسرعاً من المصرف.

قال كرامب: «وعدتنا بعدم إيذاء بيب».

فقال لوغمان: «لا. وعدتكم بأن يبقى على قيد الحياة. يستطيع العيش بساق واحدة، أليس كذلك؟».

عندها، صرخ كاو: «حصلت على مالك. اذهب من هنا».

وقالت تيرا وقد لمعت عيناها: «هيّا، افعل ذلك».

أقرأناكموه

فيما فتح النمر فكّيه على اتساعهما، وبدت أنيابه الصفراء.

2

استدعى كاو غربانه، ووجّهها بكل قوته. وفيما حلّقت طيوره في الهواء، سمع صوت عواء، ومرّت أمامه مجموعة من الذئاب، فخفق قلبه بسرعة. لا بد أن راكلن هنا!

قفز ذئبان على النمر الهائج، وانقضا عليه بمخالبهما، فيما انقضّ ذئب آخر على لوغمان وطرحه أرضاً. عندها، تراجع الثور الأميركي مذعوراً بعد أن انقضّت ثلاثة ذئاب أخرى على وجهه.

لا، لا، ليست ذئاب راكلن. فهي صغيرة جداً ورشيقة، وفروها رملي وشاحب وليس رمادياً. إنها ذئاب القيوط.

تدحرج النمر، ثم ضرب بكفه بعنف فيما كان يتراجع بعيداً على الأرض المكسوة بالحصى. وركضت تيرا نحو لوغمان، ولكنها بدلاً من أن تقدّم له المساعدة، أمسكت بالمطرقة. وبالكاد استطاعت رفعها؛ إذ هجمت عليها الغربان ونقرت معصمها، فصرخت عالياً مفلتتة إياها، وأخفضت رأسها نحو الأرض. تشبثت مخالب الغربان بملابسها، ورفعتها إلى الأعلى، ثم أفلتتها رامية إياها وراء أحد مكاتب المصرف. وانضمت الحمامات إلى ذئاب القيوط في هجومها، فتراجع الثور الأميركي إلى الخلف وارتطم بالمفروشات محاولاً الهرب.

ابتعد السيد بيكويك عن الطريق، فيما رفع كرامب بيب بين ذراعيه. أما النمر فقد دار حول نفسه مزمجراً، ورمى ذئب قيوط

أقرأناكموه

عبر قاعة المصرف كما لو أنه لا يزن شيئاً، ثم رمى ذئباً آخر على الأرض وارتفعت الأصوات عالياً. لكن الكثير من الكلاب البرية دخلت المصرف، حيث لم يعد بوسع كاو إحصاؤها كلها.

ترنح الثور الأميركي وراء طاولة المكتب، ثم ظهر بعد قليل وقد أمسك بفمه تيرا التي كانت شبه فاقدة وعيها، وجرّها من ياقة قميصها إلى خارج الباب نزولاً على الدرج بأسرع ما يمكن.

وقف لوغمان على قدميه مجدداً، وحماه النمر من ذئاب القيوط الهائجة، فخرج مسرعاً من باب المصرف الأمامي المحطم. ركبوا جميعاً في العربة المقفلة، وأغلقوا الأبواب.

أسرع كاو إلى أعلى الدرج مستدعياً غربانه، فاندفعت بأعداد كبيرة نحو الزجاج الأمامي للعربة، فيما أدار السيد سيلك المحرك. تقدّمت العربة إلى الأمام، وارتطمت بعمود كهربائي، ثم انطلقت عبر الشارع الغارق في المياه وارتطمت بسيارة مركونة، فتناثر الزجاج على الطريق. عندها، فُتِح الباب الخلفي للعربة، وخرجت منها عدة أكياس. أمر لوغمان بإغلاق الباب، ودوّى صوت احتكاك المطاط بالأرض فيما انطلقت العربة المقفلة في الشارع والغربان تندفع فوق الزجاج الأمامي، وتناثر الريش والأوراق النقدية على الأرض.

ظهر السيد بيكويك قرب كاو ممسكاً بذراعه النازفة وقد بدت التعاسة على وجهه؛ فقد تحطم المصرف، وتناثر الدم على الأرض، وامتزج مع كتل من الفرو والريش، كما تحطمت الكراسي وباتت الساعة معلقة على الجدار بشكل مائل. أما ذئاب القيوط التي يبلغ عددها ستة ذئاب تقريباً فقد تمددت على الأرض وبدأت تلعق

أقرأناكموه

جروحها.

سأل كاو: «من أين جاءت؟».

وكان كرامب لا يزال يحمل بيب الذي يتنفس بسرعة كبيرة وينظر حوله. في تلك اللحظة، تحدث صوت جديد: «حسناً، فكّرت في أنكم ربما كنتم بحاجة إلى المساعدة».

استدار كاو نحو مصدر الصوت فرأى رجلاً في الثلاثين من عمره تقريباً، يركض على درج المصرف وقد ارتدى سروال جينز أزرق اللون وقميصاً قطنياً أبيض وسترة جلدية وانتعل حذاء جلدياً، فيما شعره الأشقر المتموّج يصل إلى أسفل عنقه، وعيناه ذواتا اللون الأزرق الفاتح تلمعان. ابتسم بودٍّ فيما اقترب منه أحد ذئاب القيوط المصابة ووضع رأسه على ساقه.

قال: «عمل رائع يا فيك. ذئابي، لقد كنتِ مبدعة».

فأطلقت ذئاب القيوط بشكل جماعيّ صوتاً واحداً تراوح ما بين الخرخرة والعواء.

عندها، قال كرامب: «فايفتايلز!».

فتساءل بيب الذي بدا مذهولاً بقدر كاو: «من؟».

قال الرجل: «جوني فايفتايلز». فيما مدّ يده لمصافحة خارق الفئران.

نظر بيب إليه بدهشة وذعر، فابتسم الرجل ابتسامة عريضة، ثم ربّت على كتف بيب قائلاً: «لا تزال مصدوماً حسب اعتقادي؛ فقد كانت معركة صعبة وقاسية».

قال كرامب: «ماذا تفعل هنا؟ كيف...»

أقرأناكموه

لكن صفارات الإنذار التي دوّت من بعيد قاطعت كلامه.

فقال جوني فايفتايلز: «سأشرح لك لاحقاً. أما الآن فعلينا المغادرة».

وفيما كان كاو لا يزال مضطرباً، عاد إلى منزله عبر الشوارع الخلفية. انهمر المطر بغزارة، فاختبأ مع بيب تحت المظلة، فيما لحق بهما كرامب وخارق ذئاب القيوط. اصطفت الغربان والحمامات بصمت على المباني والأشجار مع المحافظة على مسافات منتظمة وفاصلة بينها. فلا بد أنها مختبئة جيداً في حال وجود ذئاب قيوط في الأسفل. نظر كاو إلى الخلف، ورأى جوني ينظر حوله مبتسماً رغم المطر.

فجأة، قال جوني: «لم يتغير هذا المكان كثيراً خلال الأعوام الثمانية الماضية، أليس كذلك؟».

أجاب كرامب: «ليس تماماً». وبدا مرتبكاً قليلاً وهو يتابع: «اعتقدت أنك غادرت بلاكستون إلى الأبد».

فقال جوني: «صحيح».

عندها، سأل كاو بيب هامساً: «هل تعرفه؟».

فهزّ بيب رأسه نافياً، ثم قال: «لكنني سمعت عنه. إنه جوني فايفتايلز العظيم! لقد حارب من أجلنا في ذلك الصيف المشؤوم، ولم يره أحد منذ وقت طويل».

لا بد أن جوني سمع حديثهما لأنه تدخّل في حوارهما موضّحاً: «لم أحب يوماً البقاء في مكان واحد. لطالما كنت هكذا».

فسأله كرامب: «إذاً، لماذا عدتَ؟».

أقرأناكموه

ابتسم جوني ابتسامة عريضة كاشفاً عن أسنان بيضاء مذهلة، ثم أشار إلى كاو مجيباً: «بسبب هذا الفتى».

فتساءل كاو باستغراب: «أنا!».

قال جوني: «لقد وصلت شهرتك إلى أماكن بعيدة أيها الفتى. لا أصدق أنني التقيت أخيراً خارق الغربان الذي ذهب إلى أرض الموتى وعاد من هناك؛ البطل الذي هزم أم الذبابات! أتمنى ألا تنزعج من قولي، ولكنك لا تبدو فتى قاسياً. غير أنني أذكر أن أمك كانت هكذا أيضاً».

مجرد ذكر أمه جعل كاو يتوتر، فسأله: «هل... عرفتها؟».

قال جوني: «طبعاً! إنها المرأة الأكثر شجاعة التي التقيتها في حياتي. وقد كانت جميلة أيضاً، لكنني كنت في العشرين من عمري آنذاك». وتورّد خجلاً، وهو يتابع: «آسف، فأنت ربما لا ترغب في سماع ذلك عن أمك».

عندها، قال كاو بنبرة غريبة: «لا بأس. شكراً لك. بالمناسبة، لقد أنقذت حياتنا جميعاً في المصرف».

قال جوني: «لحسن الحظ، وصلت في الوقت المناسب. لم يسبق لي أن التقيت خارق ثيران أميركية من قبل، ولكننا أوضحنا لها من الأقوى، أليس كذلك؟».

فقال بيب مؤكداً: «هذا صحيح!».

بدا كرامب متأثراً وهو يقول: «إذاً، هل كنت مارّاً من هنا صدفة؟».

أجاب جوني: «ليس تماماً، فقد تواصلت مع مادي. أنتم تعرفون

أقرأناكموه

مادي أليس كذلك؟ إنها خارقة السناجب».

قال كرامب: «مادلين، نعم أعرفها». وأومأ برأسه بسرعة.

أحس كاو بانخفاض درجة الحرارة، وشعر بالأسف حيال كرامب. فعندما كان يساعد خارق الحمام على نقل أغراضه الضئيلة من مخبئه القديم إلى مقرّ كاو، وقعت صورة فوتوغرافية ظهر فيها كرامب ومادلين أثناء رحلة قاما بها إلى معرض، وكانا يغمران بعضهما بعضاً.

تابع جوني كلامه، غير مدرك أبداً لما يجري: «حسناً، لقد أخبرتني أن هناك بعض الخارقين الجدد الذين لا يلتزمون بالقوانين. كما سمعت عما حصل في أحد النوادي في الليلة الماضية، وعن سطو على مصرف يُزمَع القيام به اليوم. وقد خمّنت أن يكون مقرّ بيكويك. وكان تخميني موفقاً فعلاً».

فأومأ كرامب برأسه، وقد بدا مضطرباً قليلاً.

فتابع جوني كلامه: «مادي- عفواً مادلين- كانت رائعة. لقد تخلصت أخيراً من ذلك الكرسي المتحرك. أنا مسرور من أجلها فعلاً».

لاحظ كاو أن كرامب قد توتر مجدداً، فأدرك أن الوقت قد حان لتغيير الموضوع، لذا سأل: «إذاً، هل تقيم في بلاكستون؟».

فأجاب جوني: «لم أقرر بعد. بصراحة، لست بارعاً في اتخاذ القرارات. هاي، هل صحيح أنك تستطيع فعلاً التحول إلى غراب؟».

تورّد كاو خجلاً، فيما قال بيب: «هذا صحيح».

عندها، قال جوني: «هذا رائع! عليك أن تريني تلك الحيلة».

أقرأناكموه

لم يكن كاو قد جرّب القيام بذلك منذ معركته مع أم الذبابات، ولكنه أحسّ أن القوة موجودة داخله، فقال: «أوه... طبعاً».

سأل كرامب: «أين تقيم؟».

أجاب جوني: «في مكبّ للنفايات قرب النهر. المصعد الكهربائي معطل، والرائحة سيئة، لكنني على الأقل محمي من هذه الأمطار!».

وأبعد خصلات الشعر الرطبة عن وجهه.

وصلوا إلى تقاطع طرق. كان ثمة طريق يتجه غرباً ويؤدي إلى منزل كاو، فيما الطريق الآخر يتجه صوب الحديقة العامة في الشمال ومنزل آل ستريكهام. تساءل كاو عن حال ليديا؛ فهي أول صديقة بشرية له- والفضلى على الإطلاق- غير أنه لم يرها منذ أكثر من أسبوعين. لقد اشتاق إلى حضورها، وإلى ابتسامتها ودعاباتها؛ فهو في الآونة الأخيرة يشعر أنه لم يعد هناك أي شيء مضحك.

قال جوني: «في الواقع، عليّ الآن أن أقول لكم وداعاً، فأنا بحاجة إلى إيجاد بعض الطعام لحيواناتي». ومدّ يده لكاو متابعاً: «سررت برؤيتك يا خارق الغربان. أنا واثق من أننا سنرى بعضنا مجدداً».

أحس كاو بشيء غريب، ولم يعرف السبب.

صافحه جوني بحرارة، وحدّق إليه قائلاً: «هل تعرف أنك تشبه أمك كثيراً؟».

فأحسّ كاو بازدياد تورد وجنتيه.

قال بيب: «تعال إلى منزل كاو، فثمة مساحة كبيرة عندنا».

أقرأناكموه

عندها، رفع جوني يديه قائلاً: «أوه، لا . لا أستطيع».

بدأ كرامب بالقول: «أنا واثق من أن جوني لا يريد...»

غير أن بيب قاطعه بالقول: «عليك فعل ذلك! فقد أنقذتنا للتو».

فما كان من خارق ذئاب القيوط إلا أن قال: «أعتقد أن القرار يعود إلى كاو. ففي النهاية، المكان ملكه».

صمت كرامب، لكن كاو وجد أن بيب محق. ربما يستطيع جوني إخبارهم المزيد عن أمه أيضاً.

لذا، رحّب به قائلاً: «أهلاً بك».

هزّ جوني كتفه وقال: «هذا لطف كبير منك. أهو المنزل الذي عاش فيه والداك؟ أعتقد أنني ما زلت أذكر الطريق المؤدي إليه». ومشى قبلهم، وهو يصفر لحناً سعيداً.

وفيما عادوا جميعاً إلى المنزل. فكّر كاو في الاعتداء المصرفي. ثور أميركي! لم يرَ أياً من الثيران على السطح عندما كانت أم الذبابات تؤسس جيشها الجديد. وتساءل عن الحيوانات الأخرى التي كانت موجودة هناك، وعن المصائب الأخرى التي تنتظرهم.

ثم تذكر ما قاله السيد سيلك، فتمتم: لم تكن هذه أوامرنا.

قال كرامب بهدوء: «كنت أفكر في الأمر نفسه أيضاً. يبدو أنهم يملكون سيداً جديداً».

سأل كاو: «أتعتقد أنه واحد من المجرمين الآخرين؟».

فأجاب كرامب: «ربما». لكنه لم يكن مقتنعاً.

فجأة، ارتعد كاو حين خطرت في باله فكرة جديدة. «أنت لا تظن أن أم الذبابات...»

أجاب كرامب بسرعة: «لا، هذا مستحيل. إنها في مصح بلاكستون العقلي، وقد تم قطع اتصالها مع الذبابات، ما يعني أنها لم تعد تشكل خطراً».

أومأ كاو برأسه، ولكنه لم يستطع تصديق الأمر.

تضاءل انهمار المطر قليلاً عندما وصلوا إلى الشارع المهجور حيث يعيش كاو. مشى جوني فايفتايلز بالقرب من كاو، وتأمل المنازل الداكنة والفارغة ثم قال: «تراجع مستوى هذا المكان كثيراً».

وبعد ذلك، استدار صوب كاو قائلاً: «عذراً أيها الفتى، غير أنني مصدوم».

فردّ كاو: «لا بأس. فأنا أحب الخصوصية».

وقال كرامب متعمداً: «ما حصل في الصيف المشؤوم دفع الناس إلى المغادرة».

قال جوني: «فهمت».

فجأة، أحس كاو بالقليل من الإحراج عندما اقتربوا من الحديقة الأمامية التي غزاها العشب ومن المنزل المتصدع. عندما جاء كرامب وبيب للعيش معه قبل أسبوعين، وضعا الكثير من الخطط لطلاء المنزل وإصلاح النوافذ، لكنّ محاربة المجرمين الفارين طغت على كل الأمور الأخرى.

رأى كاو ضوءاً خفيفاً منبعثاً من نافذة غرفة الطعام، فأدرك أن الخارقين الآخرين قد وصلوا قبلهم.

توجّه إلى الباب الأمامي وفتحه.

كان ثمة عدد من الأشخاص الجالسين حول طاولة الطعام، فيما الشموع مضاءة في أرجاء الغرفة. إنها وجوه مألوفة- مثل آلي خارق النحل، وراكلن خارق الذئاب، وتشين خارق الخفافيش- بالإضافة إلى آخرين. ففي الأسبوعين الماضيين، عمدت خارقة الثعالب السيدة ستريكهام، إلى جمع كل الخارقين الأوفياء الذين استطاعت العثور عليهم. رفض بعضهم الانضمام إلى المجموعة، لكن معظمهم وافقوا على ذلك؛ على اعتبار أنهم سيصبحون أقوى كلما ازداد عددهم. استلقت على الأرض مجموعة من الكلاب، فيما ارتاحت بعض العصافير والعظاءات على المفروشات.

فاحت في الغرفة مجموعة من روائح الطعام؛ إذ كان بعض الخارقين يلتهمون محتويات علب الطعام الجاهز، فيما استولى آخرون على الأطباق والأواني وكل الأوعية الموجودة في مطبخه.

عندما وافق كاو على استعمال الخارقين الطيبين منزله ليكون بمثابة قاعدة لهم، لم يدرك تماماً ما قصدته السيدة ستريكهام بذلك. لكن الأوان قد فات الآن للتراجع عن كلمته، ومن المنطقي أن يجتمعوا هنا. صحيح أن أعداءهم ربما يعرفون مكانهم، لكن على الأقل ما من أشخاص أبرياء يعيشون قربهم. فضلاً عن أن السيدة ستريكهام لا تستطيع التبرع بمنزلها. فقد عرف كاو أن زوجها- والد ليديا- لن يسمح أبداً للخارقين باستعمال منزل عائلته لعقد اجتماعاتهم. قبل أسبوعين فقط، لم يكن آمر سجن بلاكستون يعرف أن زوجته خارقة. وحسب ما فهمه كاو، لم يفرح بالأمر كثيراً. ولولاه، لكانت ليديا موجودة الآن معهم، ولا بد أنها كانت ستجد

طريقة ليشعر فيها كاو بارتياح أكبر حيال هذا.

توجهت السيدة ستريكهام بقامتها الطويلة نحوهم. وكانت ترتدي سروال جينز أسود وكنزة شاحبة ذات ياقة مستديرة، وتنتعل جزمة جلدية بنية، وقد ربطت شعرها الطويل إلى الخلف. قالت: «سمعنا بما حصل. أنا مسرورة لأنكم جميعاً بخير».

فقال كاو وهو ينظر إلى الأسفل: «لقد هربوا مع المال».

عندها، لمست السيدة ستريكهام كتفه، فرفع نظره إلى الأعلى. سألته: «لكن الجميع بخير، أليس كذلك؟».

أجاب كاو: «أعتقد ذلك. كان من الممكن أن تصبح الأمور أسوأ...»

في تلك اللحظة، نظرت السيدة ستريكهام بعيداً، ثم اتسعت عيناها، وارتسمت ابتسامة على وجهها وهي تقول: «جوني!».

فصرخ جوني فايفتايلز: «فيل!».

مرّت السيدة ستريكهام أمام كاو مسرعة، وعانقت خارق ذئاب القيوط. لم يكن قد سبق لكاو أن رآها من قبل سعيدة جداً كما هي الآن. بعد قليل، حصلت بلبلة فيما تحلّق عدد من الخارقين الآخرين حول جوني، وتناوبوا على معانقته أو مصافحته. حتى إن راكلن الذي نادراً ما يبتسم كشف عن ابتسامة عريضة.

لاحظ كاو أن كرامب بقي واقفاً عند الباب؛ فهو مثله لا يحب الحشود الغفيرة أيضاً. كل أولئك الأشخاص الجالسين على مفروشاته جعلوا كاو يشعر أنه غريب في منزله. بات التنفس صعباً هنا.

سألت السيدة ستريكهام كاو: «إذاً، ماذا حصل؟».

في تلك اللحظة، شعر كاو أن كل من في الغرفة قد حولوا انتباههم إليه، فقال باضطراب: «سطت جماعة لوغمان على مصرف بيكويك. وقد حاولنا منعهم، لكنّ خارقة الثيران الأميركية كانت من بينهم».

أضاف جوني: «والسيد سينك أيضاً. كان التخطيط جيداً».

عندها، أومأت السيدة ستريكهام بحزن وقالت: «اعتقدت أن خارق العث قد اختفى إلى الأبد».

فقال بيب: «لقد أنقذنا السيد فايفتايلز؛ إذ أراد الثور الأميركي التهامي!».

هزّ جوني كتفه بتواضع وقال: «اشكر ذئاب القيوط، وليس أنا».

قال كرامب: «أصبح أعداؤنا أكثر جرأة. ثور أميركي في المدينة! ما كان ذلك ليحصل حتى في الصيف المشؤوم». ثم أخفض صوته وتابع: «نحن نعتقد أنهم باتوا يملكون سيداً جديداً».

اتسعت عينا فيلما ستريكهام مجدداً، وأشارت إلى خارق الذئاب قائلة: «راكلن، كرامب، جوني... علينا مناقشة هذه المسألة بطريقة جيدة. كاو، هل تريد تناول بعض الطعام والانضمام إلينا؟».

فجأة، ضجّت الغرفة بالكلام فيما بدأ الخارقون الآخرون يتحدثون مع بعضهم بعضاً ومع حيواناتهم. وانزلقت أفعى على الدرابزين، بينما حلّقت الفراشات حول المصباح، وتمدد كلب دانماركي ضخم على الأريكة ولعابه يسيل على السجادة.

بدأ كاو يشعر بالدوار فقال: «قبل كل شيء، أريد الخروج

أقرأناكموه

واستنشاق بعض الهواء المنعش».

بـدا جونـي متفاجئاً قليلاً وقال له: «يمكننا الاسـتفادة من رأيك يا كاو».

حلّق ببغاء ساطع الألوان أمام وجه كاو، فتشوشت رؤيته.

تمتم كاو: «سـأعود خلال دقيقة». فيما قادته قدماه نحو الباب الخلفـي. كان بحاجـة ماسـة إلـى الابتعـاد عـن كل هـذا الضجيـج، ويستطيع كرامب التعبير بصورة أفضل منه. تعثر بثعلبة نائمة، فكشّرت له عن أنيابها.

عندها، قالت لها السـيدة سـتريكهام مُهدِّئة: «توقفي يا موراغ. عذراً يا كاو، ولكنها عجوز ورديئة الطبع».

دخـل كاو المطبـخ، فنظـرت إليه عظاءتان تقفان على المجلى، ثم لحق به بيب، وأمسـك بذراعه قائلاً له: «هاي، كاو، دعني أريك شيئاً. أنا أمزن قواي الخارقة».

فـردّ عليـه كاو وهو يشـعر بـأن الغرفة تدور حولـه: «هذا رائع. لكن، ألا يمكنك الانتظار؟».

عندها، نظر بيب إلى الأسفل مجيباً: «أعتقد ذلك».

قـال كاو: «ربمـا لاحقـاً». وشـعر بالذنب وهو يمسـك بمقبض الباب، فتابع: «أريد رؤيتك. أعدك بأنني سأفعل ذلك».

«حسناً».

خـرج كاو مـن الباب الخلفي، واستنشـق الهواء البارد بارتياح. كل الخارقيـن الموجوديـن في الداخل يحتاجون إلى مكان ما للقاء، لكـنّ كاو أحـس بشـيء مـن الانزعاح بسـبب طريقـة تصرفهم. ففي

النهاية، المنزل لا يزال منزله، وتساءل عمّا إذا كان هذ الأمر سيستمر إلى الأبد.

سألته شيمر: هل أنت بخير؟

رآها كاو جاثمة على عتبة نافذة المطبخ، وقد ثبتت مخالبها على حافة أصيص نبتة مكسور، فقال لها: «أعتقد ذلك».

تابعت شيمر كلامها: غلام وسكريتش موجودان في العش. لقد عثرا على بعض الأرز والبيض المقلي. طلبت منهما ترك حصة لك، لكنك تعرف سكريتش...

مشى كاو في ممر الحديقة الذي غزاه العشب. لا بد أنه كان جميلاً في ما مضى. لا تزال هناك أزهار من كل الأنواع بين الأعشاب البرية بالإضافة إلى بقايا قنطرة خشبية جميلة. حاول كاو أن يتذكر كيف كان يلعب في هذا المكان مع أمه وأبيه، ولكن ذاكرته رفضت منحه أي شيء. ثمة شجرة ورد نمت بعيداً عن التعريشة وتمددت بطريقة غريبة، فاضطر إلى شق طريقه بين الأغصان المتدلية كثيرة الأشواك.

في الجهة الخلفية من الحديقة، نمت شجرة كستناء طويلة مغطاة بالعقد والدوائر الحلزونية. في الأيام المشمسة، تظلل أوراقها العملاقة الحديقة في توهج زمردي، غير أن أوراقها باتت الآن زلقة وداكنة بسبب قطرات المطر.

أقحم كاو قدمه داخل فجوة في جذع الشجرة، ثم رفعها إلى الأعلى، ووثب نحو غصن متدلٍ على علو منخفض. تساقطت قطرات الماء عن الأوراق فيما كان يتسلّق الشجرة. وفيما تحرك كاو

أقرأناكموه

برشاقة متنقلاً على الشجرة، اختفى التوتر الذي سيطر على صدغيه. بعد قليل، لن يسمع أي شيء سوى حفيف الأوراق، حيث سيُشعره صوت الأوراق الكثيفة بالهدوء والسلام.

كان العش الموجود في أعلى شجرة الكستناء غير منظور من الأسفل تقريباً، وقد أحبّه كاو بهذه الطريقة. فبمساعدة مجموعة من الغربان، نقل كاو منزل الشجرة الخاص به، قطعة قطعة، من حديقة بلاكستون. عرف أنه يملك سريراً مريحاً في المنزل الرئيس، ولكنه يشعر بارتياح أكبر لمعرفته بوجود منزله السابق بالقرب منه. نام فيه مرة أو مرتين، وشعر بأنه يريد فعل ذلك هذه الليلة أيضاً.

وفيما تسلّق كاو الشجرة للوصول إلى منزله، نظر سكريتش إلى الأعلى، ومنقاره مليء بالأرز، ثم قال له: هل تريد القليل منه؟

فأجاب كاو: «أنا بخير. شكراً».

قال سكريتش: مثلما تريد، ثم اختفى رأسه مجدداً داخل العلبة الكرتونية.

في تلك اللحظة، فتح غلام إحدى عينيه، ونظر في اتجاه المنزل قائلاً: المكان كثير الضجة نوعاً ما، أليس كذلك؟

فقال كاو بنبرة غير واثقة: «أنا واثق من أن الأمر لن يستمر على هذه الحال إلى الأبد». ثم استلقى في العش، ووضع يديه خلف رأسه، وحدق إلى الأوراق المتمايلة برفق. كان الصوت الوحيد المسموع هو صوت قطرات المطر. وقد جعله ذلك يفكر في كتاب قرأه بمساعدة كرامب نوعاً ما.

العش بالنسبة إلى كاو هو المكان المثالي ليفرغ فيه أفكاره.

أقرأناكموه

في بعض الأحيان، لا يصعب عليه خداع نفسه بأنه عاد إلى الحديقة العامة، حيث كان فقط كاو وغربانه، قبل أن يتغير عالمه كلياً. في تلك الأيام، لم يكن يعرف بوجود خارقين آخرين في بلاكستون. في الواقع، لم يكن يعرف أصلاً أن هناك خارقين. كانت الحياة صعبة من دون شك، ولكنها بسيطة أيضاً؛ إذ ما كانت تتطلّب منه إلا جمع الطعام، والبقاء بعيداً عن العيون، والنوم. ولا وجود للرجل الدوام، أو أم الذبابات، أو الحرب ضد الخارقين الذين يريدون قتله. ولكن، ما كان هناك أصدقاء أيضاً، باستثناء غرابيه سكريتش وغلام، وصديقه القديم ميلكي الذي ذهب الآن إلى أرض الموتى إلى الأبد. لم تكن ليديا موجودة في حياته حينها، ولا السيدة ستريكهام وكرامب وبيب. ولا سيلينا.

فجأة، تدفقت مشاعر الإحساس بالذنب في صدره. مسكينة سيلينا. ماذا يجري في رأسها؟ هل تحلم؟ أم أنها تطفو في بحر من الفراغ؟

انتصب كاو جالساً فتأرجح العش قليلاً، ثم قال: «علينا التحقق من وضع سيلينا».

فقال سكريتش: مجدداً!

أجاب كاو بصرامة: «ربما طرأ تغيير ما».

عندها قال سكريتش: إنه دور غلام.

غير أن شيمر قالت: سأذهب أنا.

نادى صوت مألوف من الأسفل: «كاو، هل أنت هناك؟».

لهنيهة، فكر كاو في عدم الإجابة، فهو واثق تماماً من أن السيدة

أقرأناكموه

ستريكهام لا تستطيع رؤيته، ولن تتمكن من التسلق إلى الأعلى، ولا ثعالبها. ولكن، لا بد أن أحد ثعالبها قد رآه وهو يتسلق الشجرة، ففيلما تملك جواسيس في كل مكان.

قالت مجدداً: «كاو».

أجاب: «سوف أُنزِل السلم. تراجعي إلى الخلف».

كان قد وجد السلم القديم المصنوع من الحبال مربوطاً بالشجرة، ومع القليل من الإصلاحات بات مثالياً للضيوف. فكّه من الغصن المجاور، وجعله يتدلى إلى الأسفل.

بعد لحظات، صار السلم مشدوداً، وتمايل بفعل وزن السيدة ستريكهام. وما هي إلا ثوان قليلة حتى ظهر رأسها عبر أوراق الشجرة. صعدت باضطراب نوعاً ما، وبدت رؤيتها غير واثقة من نفسها غريبة بالنسبة إليه؛ لأن خارقة الثعالب تسيطر دوماً على نفسها. مدّ كاو يده لمساعدتها على الدخول. ولهنيهة، تذكر أول مرة التقى فيها ليديا فابتسم. فقد دعت نفسها إلى منزله أيضاً من دون أن تسأله.

زحفت والدة ليديا فوق الحافة، ثم جلست القرفصاء في منزل الشجرة، واستعادت رباطة جأشها. لم يكن قد سبق لها الصعود إلى عشه من قبل، لذا قالت: «حسناً، هذا... حميم».

فقال غلام: ليس معداً لاثنين.

نظرت السيدة ستريكهام إلى الغراب العجوز وقالت: «أنا لا أفهم لغة الغربان، ولكنني أعتقد أن ما قاله كان تذمراً».

عندها، أدار غلام منقاره بعيداً.

فقالت: «لا تقلق. لن أمكث طويلاً».

وفيما جالت عيناها في أرجاء العش، تساءل كاو عما تريده.

قال أخيراً: «إذاً، أنت تعرفين جوني؟».

فابتسمت السيدة ستريكهام وأومأت برأسها، ثم قالت: «أعرفه جيداً. لقد أنقذ حياتي في أكثر من مناسبة. ولم أظن يوماً أنه سيعود». وصمتت قليلاً، ثم هزّت رأسها بدهشة وتابعت: «على أية حال، ليس هذا سبب مجيئي إلى هنا للتحدث إليك يا كاو. فقد أردت شكرك على سماحك للخارقين الآخرين باستعمال منزلك. إنه مكان نستطيع الاجتماع فيه بأمان؛ لاسيما وأن العديد من الخارقين الموجودين في الداخل يخشون أن يصبحوا الهدف التالي».

قال كاو: «لا بأس. لكن، هل هو فعلاً المكان المثالي؟! حتى إنه لا يوجد تيار كهربائي. أليس من الأفضل أن ينتقلوا إلى مكان آخر؟». عرف أن كلامه يبدو مثل عذر، لكنّ فيلما لم تنزعج، بل على العكس، سيطر شيء من الحزن على وجهها وهي تقول: «أتمنى لو كان بإمكانهم المكوث في منزلي. لكن الأمور الآن... صعبة قليلاً. فوالد ليديا... فلنقل إنه يفكر في إجراء بعض التعديلات».

حاول كاو أن يبدو متعاطفاً، إذ لا بدّ أن الأمور في منزل آل ستريكهام أسوأ مما تخيلها.

تابعت السيدة ستريكهام كلامها ببهجة مصطنعة: «لكن، لا تقلق. فهو يعمل بالتعاون مع حراس السجن ورجال الشرطة لتعقب آثار المجرمين الهاربين. يمكننا الفوز في هذه المعركة إذا اتحدنا معاً...»

أجاب كاو: «أعرف».

أقرأناكموه

تابعت السيدة ستريكهام: «لهذا السبب أردت التحدث إليك بشأن حجر منتصف الليل».

قاوم كاو رغبته في النظر إلى الصّرة المعلّقة على جذع الشجرة فوق أقدام قليلة من رأس السيدة ستريكهام. فحجر منتصف الليل مخبأ داخلها، ضمن كيس قماشي. وقد ربطه كاو بحبل كي يتمكن من وضعه حول عنقه، لكن الشجرة بدت له المكان الأكثر أماناً لإبقائه بعيداً عن الأنظار.

قال غلام: إذاً، هذا ما تريده.

مكتبة الرمحي أحمد

سأل كاو: «ماذا عنه؟».

فأجابت السيدة ستريكهام: «إنه عبء كبير عليك يا كاو. إذا احتجت إلى المساعدة، حيث يستلمه شخص آخر، فمن الممكن...»

غير أنّ كاو قاطعها قائلاً بسرعة وبشكل حاسم: «لا». فقد حرس أجداده حجر منتصف الليل طوال مئات السنين- منذ أيام خارق الغربان الأقدم- بلاك كورفوس. وقد نجح جده الأكبر في إقناع الخارقين الآخرين الذين عاشوا في عصره بالتنازل عن بعض قواهم لحجر منتصف الليل. وقد كان الهدف من ذلك هو الحفاظ على سلالاتهم في حال قتلوا من دون وجود وريث للقوة الخارقة. إذ بإمكان حجر منتصف الليل امتصاص القدرات الخارقة لأي خارق لمس سطحه، ونقل تلك القوى إلى إنسان عادي.

وقد أبقت والدة كاو حجر منتصف الليل بمنأى عن الرجل الدوام، وقُتلت وهي تحميه، ثم استخدمته أم الذبابات لإنشاء جيش مخيف، وكاد كاو يموت أثناء استرجاعه إياه. إن حجر منتصف الليل

أقرأناكموه

يخص سلالة الغربان من دون شك.

بدأت السيدة ستريكهام بالقول: «كل ما أقوله...»

غير أنّ كاو قاطعها مجدداً وأجاب بصرامة: «أستطيع الاهتمام به».

قالت شيمر: قل لها ذلك.

عندها، ابتسمت السيدة ستريكهام، وقالت وهي تلمس ركبته: «أعرف أنك تستطيع القيام بذلك». ثم أخذت نفساً عميقاً وأضافت: «عليّ العودة إلى الآخرين». وتمددت صوب السلم المصنوع من الحبال ووضعت إحدى قدميها عليه. غير أنها توقفت بعد أن نزلت قليلاً، ثم قالت له: «ثمة شيء آخر يا كاو».

فسألها كاو: «ما هو؟».

«هل يمكنك التحدث إلى ليديا من أجلي؟ فهي تواجه أوقاتاً صعبة بسبب ما يجري في المنزل».

عندها، تردد كاو قليلاً؛ إذ كان يرغب في مساعدة صديقته، ولكنه لا يعرف كيف. فهو لا يعرف شيئاً عن العائلات أو مشاكل العائلات لأنه لم يعرف أهله إطلاقاً.

قالت السيدة ستريكهام: «إن مجرد استماعك إليها سيساعدها».

فقال كاو: «طبعاً».

«شكراً لك».

وفيما غطت الأوراق الكثيفة السيدة ستريكهام، حطّ سكريتش على ذراع كاو، وقال غلام: ما الذي تريده من الحجر؟

أجاب كاو: «لقد سمعتها. تريد الاهتمام به».

فقال الغراب: أو ربما تريد استعماله. فإذا نشبت حرب جديدة، ستتمكن حينها من استعمال الحجر لإنشاء جيشها الخاص من الخارقين.

لم يفكّر كاو في ذلك الاحتمال وقال: «لن يستخدم أحد هذا الحجر. فالأمر محفوف بالكثير من المخاطر».

أنت الآن تقول إن....

غير أن كاو قاطعه قائلاً: «غلام، هلا تذهب للتحقق من وضع سيلينا من فضلك». إذ كان قد سئم من ثرثرة الغربان.

عندها، قال الغراب: أنا! لماذا أنا؟

فقال سكريتش: إنه دورك أيها العجوز.

وقالت شيمر: لا أمانع الذهاب.

ولكنّ كاو حسم الأمر بقوله: «لا. اذهب أنت يا غلام، من فضلك».

فقال غلام: حسناً، لكنني أقول لك منذ الآن إنه لم يحصل أي تغيير.

ثم بسط جناحيه وطار بعيداً عن العش، منزلقاً برشاقة بين الأوراق.

بقي الغرابان الآخران صامتين، ولكن كاو لم يستطع إبعاد الشكوك عن ذهنه. هل يمكن أن يكون سكريتش محقاً بشأن السيدة ستريكهام؟ وإذا كانت تريد استخدام حجر منتصف الليل فعلاً، فلماذا لا تأتي إليه مباشرة وتقول له ذلك؟

شعر كاو بألم في عنقه ترافق مع إحساس غريب راوده بأنه

أقرأناكموه

مراقب. عندها، تسلق غصناً عالياً إلى أن استطاع إبعاد الأوراق جانباً والنظر إلى المنزل؛ منزله هو، حتى لو تم الاستيلاء عليه. كانت ثمة مجموعة من الببغاوات تصطف على حافة تحت السقف، فيما النوافذ في الطابق العلوي فارغة.

لفت انتباهه وميض برتقالي سرعان ما اختفى وراء ركام المدخنة. لم يكن واثقاً مما رآه، ولكنه يعتقد أنه ثعلب.

انتظر كاو بضع ثوانٍ، ثم ترك الأوراق تعود إلى مكانها الطبيعي ونزل إلى العش في الأسفل.

3

شدّ كاو رفيقته بقوة عبر الشوارع، فيما غاصت أقدامهما في برك المياه. كانت اليد التي يمسكها بيده متعرقة كثيراً. وكان شعر سيلينا الأسود ملتصقاً برأسها، فيما بشرتها تبدو شاحبة. وقد عكست عيناها الكبيرتان ضوء القمر الفضي.

قال لها مشجعاً فيما شدّ على يدها بقوة أكثر: «هيا! علينا أن نركض!».

وفيما اختفيا وراء المنعطف، شعر بأنفاسه كالنار في رئتيه. لم يجرؤ على النظر إلى الخلف– إذ أحس بهم وهم يطاردونهما– وازداد شعوره بالخطر مع كل دقيقة تمرّ. ركضا متجهين إلى مبنى ضخم، ثم دخلا عبر باب جانبي للوصول إلى سلالم مقفرة. شعر كاو بالألم في ساقيه فيما صعدا السلالم ووقعا وانزلقا. كم تبلغ المسافة للوصول إلى السطح؟ ألقى كاو نظرة سريعة إلى الأسفل

أقرأناكموه

فيما انتقلا من طابق إلى آخر، ورأى موجة سوداء تجتاح الطوابق السفلية. ارتفعت الموجة بسرعة أكبر من قدرتهما على الصعود.

عندها، أمسكت سيلينا يده كما لو أنها من دون وزن، وراحت تلهث بقوة وهي تقول له: «اتركني. لا أستطيع المتابعة».

فقال لها كاو: «لا! لا تستسلمي الآن».

وشدّها وراءه بقوة.

وصلا إلى الباب المؤدي إلى السطح أسرع مما هو متوقع، وخرجا إلى الفضاء المفتوح. إنه سطح شقة سينتيا دافنبورت. لم يعد هناك مكان للهرب.

قالت سيلينا والذعر واضح في صوتها: «إنهم هنا».

عندها، نظر كاو إلى الخلف، ورأى جيشاً من العناكب المتدفقة نحوهما. احتشدت الكائنات ذات الأرجل الثماني فوق بعضها بعضاً بسرعة كبيرة، ومشت على السطح، فأحس كاو بيد سيلينا تفلت يده فيما تراجع إلى الوراء. وقفت ثابتة فيما اقتربت منهما الموجة الهائلة من العناكب المريعة.

قال كاو: «أسرعي».

عندها، استدارت ببطء نحوه وفمها مفتوح بسبب الصدمة، فيما أمسكت بمعدتها بكلتا يديها، ثم ابتعدت يداها عن بعضهما ورأى علامة حمراء ترتسم على قميصها. لم يسمع صوت الطلق الناري، لكن كل شيء يحصل كما حصل سابقاً. أم الذبابات أطلقت النار على ابنتها، ولا يسعه فعل أي شيء سوى المراقبة.

هجمت العناكب على سيلينا، وانتشرت على قدميها وجعلتهما

أقرأناكموه

باللون الأسود. لم تصرخ سيلينا، وإنما استسلمت ركبتاها فوقعت في شباك الحشرات القاتلة. انتشر المزيد من العناكب فوق جسمها. كانت قدما كاو مسمرتين في مكانهما، فيما نُقلت سيلينا على السطح محمولة مثل النعش فوق ألف عنكبوت صغيرة.

ركض خلفها، ومدّ ذراعيه نحوها بيأس. كانت العناكب قد وصلت إلى حافة السطح، فركض كاو بأسرع ما يمكنه، لكن كل خطوة باتت أكثر صعوبة؛ كما لو أن الهواء قد تحوّل إلى مستنقع.

كاو! قال صوت من مكان ما.

وصرخ كاو فيما وقع جسم سيلينا عن السطح...

كاو، استيقظ.

جلس كاو منتصباً فجأة، ما جعل العش يطقطق. بدت الأوراق في العتمة رمادية اللون، واستطاع فقط تمييز شكل غراب جاثم على حافة العش. إنه غلام.

تمتم كاو: «سيلينا...»

فقال غلام: نعم، حصل شيء ما في المستشفى.

حاول كاو تهدئة أنفاسه وقال: «لقد حلمت بها».

عندها قال غلام: عليك أن تذهب لترى بنفسك.

فقال سكريتش فيما قفز نحو غصن أعلى: هل تحسن وضعها؟

أجاب غلام: لا أعرف. حصل شيء ما في غرفتها. فقد تمت تغطية النافذة بألواح خشبية.

فما كان من كاو إلا أن قفز في مكانه. هل سيلينا في خطر؟

أقرأناكموه

وسرعان ما خبأ منقار الغراب تحت معطفه، ثم خرج من العش ونزل من غصن إلى آخر، إلى أن قفز على العشب. كانت ليلة باردة وصافية. نظر بسرعة إلى المنزل المحاط بالعتمة. هل يجدر به إيقاظهم؟ لا. لا داعي لذلك.

ركض نحو السياج الخلفي متجاهلاً أشواك الورود، ومستدعياً كل الغربان التي استطاع إيجادها. وما هي إلا لحظات حتى حلّقت أشكال سوداء تحت ضوء القمر، فمدّ كاو ذراعيه منتظراً اللحظة التي تمسكه فيها الغربان بمخالبها لترفعه بأجنحتها وتجعله من دون وزن.

حلّقت الغربان على ارتفاع عالٍ، فيما وهج مصابيح الشارع ومصابيح السيارات ينير المدينة تحتها. عبرت الطيور التي تحمل كاو فوق النهر، ثم حلقت فوق أطلال دار العبادة التي عاش فيها كاو ذات مرة مع كرامب وبيب. وبعيداً، استطاع كاو رؤية مقصده.

كان مستشفى بلاكستون عبارة عن عدة مبانٍ إسمنتية عالية. كان مرأب الزوار خالياً تقريباً، فيما سيارة إسعاف وحيدة ذات مصابيح دوّارة مركونة بالقرب من أبواب مفتوحة. حام كاو وغربانه فوق المدخل الرئيس، ففكّر كاو بجنون في التحول إلى غراب والتحليق عبر الممرات...

فجأة، قال غلام: الحق بي إلى الجهة الخلفية، ثم حرّك جناحيه وهبط بشكل عمودي.

حلّقت الغربان فوق الأشجار على علو منخفض، ثم هبطت في الطرف البعيد من المبنى. هبط غلام على عتبة نافذة في الطابق

أقرأناكموه

الرابـع، فلاحـظ كاو أن إحـدى النوافذ قد اختفت وحلّ مكانها لوح خشبي مثبّت بالمسامير.

سأل كاو غلام: هل أنت واثق من أن هذه غرفتها؟

فأجابت شـيمر: إنها غرفتها من دون شـك؛ فقد جئت إلى هنا عدة مرات، أي بما يكفي لأكون واثقة من ذلك.

كانت الستائر مغلقة في الجهة الأخرى من الزجاج.

عندها، قال كاو: يجب أن ندخل.

وفيما حلقت الغربان بعيداً عن النافذة، لفت شيء ما انتباه كاو؛ فقـد شـاهد شـيئاً مـا يلمع في الأسـفل. وبناء على أمـر منه، وضعته الغربان على العشـب برفق، فرأى مئات الشـظايا الزجاجية الصغيرة متناثـرة علـى الأرض، مباشـرة تحـت النافذة المغطاة بلوح خشـبي. عندها، ركض كاو إلى المدخل الرئيس.

فسـأله سـكريتش فيما حلّق فوقه: ماذا تفعل؟ لن يسـمحوا لك بالدخول في هذا الوقت من الليل.

غير أنّ كاو تجاهل كلامه قائلاً: «انتظري إشارتي قرب الباب. فقد أحتاج إلى شيء ما يصرف انتباههم».

عندها، هبطت الغربان الثلاثة على مقعد خشبي قرب الأبواب الأمامية، فيما دخل كاو الردهة المضاءة جيداً. كان رجل يضع ضمادة على يده نائماً على أحد الكراسي، وقربه امرأة عجوز تحوك الصوف.

نظـر إليـه الرجل الجالس وراء مكتب الاسـتقبال وسـأله: «هل يمكنني مساعدتك؟».

فأجـاب كاو: «أبحـث عن مريضة. أعتقد أنها خرجت، ولكنني

أقرأناكموه

غير واثق».

عندها سأله موظف الاستقبال: «ما اسمها؟».

أجاب كاو: «سيلينا دافنبورت». ثم أضاف: «إنها أختي».

فما كان من موظف الاستقبال إلا أن نظر مباشرة إلى عينَي كاو، وبعد ذلك رفع سماعة الهاتف قائلاً: «مرحباً ماري، أمامي ولد في مكتب الاستقبال يقول إنه على صلة بالفتاة...» ثم صمت قليلاً قبل أن يتابع: «نعم، فتاة دافنبورت». وابتسم لكاو بطريقة غير مقنعة، فيما تابع تحدثه إلى الشخص الآخر عبر الهاتف. «نعم، طبعاً». وبعد أن أعاد سماعة الهاتف إلى مكانها قال له: «إذا كنت لا تمانع الانتظار، فسيأتي أحد لمساعدتك بعد قليل». واختفت ابتسامته في اللحظة التالية، فيما شعر كاو بتوتر في عنقه،

وسأله: «هل هي بخير؟».

فنظر إليه موظف الاستقبال بمودّة وقال: «انتظر هنا من فضلك».

ثمة خطب ما. اتكأ كاو بطريقة عفوية على مكتب الاستقبال، وأدار رأسه نحو الأبواب المغلقة، ثم

تمتم: «الآن!». واستدعى غربانه ذهنياً.

فجأة، انطلقت الغربان معاً وفتحت الأبواب، فقفز الرجل ذو اليد المضمّدة في مكانه مصدراً صرخة ذعر، فيما حلقت الطيور داخل الردهة. عندها، نهض موظف الاستقبال من وراء مكتبه فيما حطّت الطيور على طاولة المكتب مطلقة صيحات عالية. «ما هذا!؟ اخرجي من هنا!».

هبطت شيمر على حافة فنجان قهوة وأراقت القهوة على لوحة

أقرأناكموه

المفاتيح، فحمل موظف الاستقبال ملفاً وبدأ يضرب الطيور به محاولاً إبعادها.

في تلك الأثناء، انتهز كاو الفرصة، ومشى في الممر بسرعة متوجهاً نحو السلالم. كان يعرف الطريق من زيارته السابقة. ستجد الغربان طريقها للخروج. التقى بعض الممرضين على السلالم، لكنهم لم يبدوا له منزعجين من وجوده. وصل كاو إلى الطابق الرابع، ووجد غرفة سيلينا، فأمسك بمقبض الباب وفتحه. إنه غير مقفل. دخل الغرفة المعتمة، وبحثت أصابعه عن مفتاح المصباح الكهربائي.

وعندما أضيء المصباح، انفطر قلبه حزناً وخوفاً. كانت الغرفة لا تزال على حالها- سرير واحد ومعدات مراقبة مختلفة- ولكنها فارغة، والملاءات مطوية بترتيب.

ماذا لو لم تنجُ؟ ماذا لو...

لكن هذا لا يبرر سبب كسر زجاج النافذة. اجتاز كاو الغرفة بسرعة.

لا تزال هناك بعض الشظايا الزجاجية المسننة عالقة في الإطار. نظر في أرجاء الغرفة متأملاً، فلاحظ اختفاء شيء ما كان قرب الباب؛ إذ إن المنصة حيث كانت المطفأة اليدوية فارغة. ربما تم استعمالها بهدف تحطيم النافذة. توجّه صوب الخزانة وفتحها، فوجد ملابس سيلينا معلقة في الداخل: جينز أسود، قميص قطني، وسترة جلدية؛ لقد تم تنظيفها كلها بعدما أُدخِلت سيلينا إلى المستشفى. حتى إن الجزمة قصيرة الساقين كانت موضوعة في الخزانة بترتيب.

كيف هربت من دون ملابسها؟

وبدأ قلبه يخفق بسرعة. ربّما لم تهرب.

نظر مجدداً إلى النافذة التي كانت على ارتفاع أربعة طوابق.

أدرك أنه لن يمرّ وقت طويل قبل أن يأتي موظف الاستقبال للبحث عنه. لذا، توجّه إلى النافذة مجدداً محاولاً فهم ما حصل. لقد دخل أحدهم الغرفة، واستخدم المطفأة اليدوية لتحطيم الزجاج، ثم أخذ سيلينا. لكن، من الذي يستطيع القفز من مكان عالٍ كهذا؟! وحتى بوجود سلّم، يستحيل حمل فتاة ناضجة.

هذا مستحيل بالنسبة إلى شخص عادي، لكن بالنسبة إلى خارق...

وأحسّ كاو بضيق في حنجرته حين لمح شيئاً تحت الستارة.

ثلاث حشرات صغيرة، متقوقعة وميتة.

ذبابات.

حملها كاو في يده. كانت صغيرة جداً. لكنّ كاو سبق له أن رأى الفوضى الكبيرة التي يمكنها إحداثها.

ربما كان كرامب مخطئاً بشأن أم الذبابات. أيعقل أن تكون قد استعادت قواها الخارقة مجدداً؟ ماذا لو يكن كاو الشخص الوحيد الذي زار سيلينا...

فجأة، قاطع صوت حاد حبل أفكاره: «ماذا تفعل هنا؟». فأفلت كاو الذبابات، واستدار في مكانه، فرأى امرأة ترتدي بذلة رمادية وتقف عند الباب وهي تنظر إليه نظرات صارمة.

قال كاو: «جئت لرؤية أختي. ماذا حصل لها؟».

فقالت المرأة وهي تشبك ذراعيها أمام صدرها: «أختك! إن سجلاتنا تُظهِر عدم وجود أي إخوة. هل تريد تجربة كذبة أخرى؟».

تساءل كاو عمّا إذا كان يجدر به استدعاء غربانه، غير أنه قال: «عفواً. كانت صديقة مقرّبة».

فقالت له المرأة: «كانت! ما الذي تقصده بقولك كانت؟».

فسارع كاو إلى الإجابة وقد بدأ يشعر بالذعر: «أوه... ليس هذا ما قصدته».

عندها، أمسكت المرأة بإطار الباب كما لو أنها تسدّ طريق خروجه بشكل متعمد وقالت له: «تريد الشرطة التحدث معك بشأن اختفائها».

كان بإمكان كاو الإفلات منها إذا نجح في تجاوزها. سألها: «متى اختفت؟».

أجابت المرأة: «البارحة صباحاً». ثم أصبحت ملامحها أكثر ليونة وهي تتابع قائلة: «اسمع. أياً كنت، أنا الدكتورة هايدنوايس مسؤولة قسم الأطفال في هذا الجناح. صديقتك لم تنهض ولم تمشِ، بل كانت في غيبوبة عميقة. لذا، تعتبر السلطات الأمر بمثابة خطف».

عندها، انفطر قلب كاو، فقد كان محقاً.

تابعت الطبيبة كلامها: «إذا كنت تعرف أي شيء...». فجأة، رنّ شيء ما، فنظرت إلى جهاز صغير معلق بحزامها، فما كان من كاو إلا أن انتهز الفرصة وركض نحو الباب. قالت: «هاي، انتظر». وأمسكت به، لكنه أفلت منها وركض في الممشى. كان ثمة ممرض يجرّ حمالة

ببطء ويتّجه نحوه،

فصرخت الطبيبة مخاطبة إياه: «أوقف هذا الصبي!».

عندها، أدار الممرض الحمّالة في محاولة لسدّ الممشى، غير أن كاو قفز فوقها وتابع الركض.

انعطف إلى اليسار، ثم إلى اليمين، وبعدها إلى اليسار. ركض تحت إشارات لم يستطع قراءتها، ومرّ أمام أقسام ومكاتب ممرضات. وجد سلالم مؤدية إلى الأسفل فنزلها بمعدل درجتين كل مرة، حتى وصل إلى الطابق الأرضي. وفيما كان يركض مسرعاً في الرواق، لمح حارساً يقف هناك وقد وضع يده على جهاز لاسلكي معلق على خصره. توقف كاو عند منعطف، واستطاع سماع طفل يبكي في مكان ما. لا توجد نوافذ، ولم يكن يعرف إذا كان الآن يغوص أكثر في المستشفى أم يتجه صوب الخارج؛ إلى أن رأى لافتة خضراء عليها صورة رجل أبيض يركض وهناك سهم تحته. مخرج.

سمع كاو صوت خطوات تقترب منه، فدخل عبر مجموعة من الأبواب الدوارة، ورأى باباً آخر عليه قضيب.

الرجاء الانتباه إلى عدم الاحتجاز.

كادت أنفاسه تختنق، فضغط على القضيب الحديدي، وفتح الباب خارجاً إلى هواء الليل البارد.

وصرخ بعقله منادياً غربانه: تعالي!

وسرعان ما أحس بغربانه تتدفق نحوه فيما كان يركض. وبعد لحظات، رفعته الغربان عن الأرض، وملأت الليل بنعيبها العالي.

أقرأناكموه

رغـم أن السـاعة متأخـرة، إلا أنـه عندما هبـط كاو على المرج، كانت لا تزال هناك أضواء في منزل آل ستريكهام.

قال غلام: سـأقول لك مجدداً إنني لا أعرف ما تريد الوصول إليه.

غير أن كاو تجاهله. فقد رأى ما يحصل عندما يخفي أسراراً عن أصدقائه. لذا، سيكون هذه المرة صريحاً منذ البداية. الجزء الأصعب في مهمّته سيكون إقناع السـيدة سـتريكهام بالتدخل. إنها لا تعرف سيلينا مثلما يعرفها كاو. فبالنسبة إلى بعض حلفائه، لن تكون سيلينا أكثر من ابنة خارقة الذبابات؛ أي عدوة الخارقين المسالمين. ولكن إذا عادت أم الذبابات، فلا بدّ أن يعرف الجميع.

كان كاو علـى وشـك الطـرق علـى الباب عندما سـمع أصواتاً غاضبة.

قال السيد ستريكهام: «... في منتصف الليل، ومن دون تفسير، ولا حتى اتصال هاتفي لإبلاغي...»

فأجابـت والـدة ليديـا: «مرّ الوقت بسـرعة يا طونـي. أعتقد أننا ناقشنا هذه المسألة من قبل. تعرف أنه توجّب عليّ الحضور».

«يفترض أن نكون معاً في ذلك!».

تراجع كاو إلى الوراء بعد أن أدرك أنه لا يجدر به سماع ذلك، ثم جلس على الدرج.

وفيما استقرت الغربان قربه، بدأ كاو يشعر بالقلق حيال ما جرى في المستشـفى، وتسـاءل في سـره: ماذا سـيفعل إن كانوا قد وضعوا كاميـرات مراقبـة؟ وإن كانـت قد التقطت صوراً له وتمت مشـاركتها

«هل ستبقى جالساً هناك طوال الليل؟».

نظر كاو إلى الأعلى، فرأى وجه ليديا الشاحب والمغطى بالنمش، والمؤطر بشعرها الطويل الأحمر. كانت متكئة على حافة نافذة غرفتها، وقد مالت بجسدها إلى الخارج.

ابتسم كاو، وشعر بالارتياح لرؤيته إياها تبدو طبيعية بعد كل الأمور الغريبة التي حصلت.

سألها: «هل أستطيع الصعود؟».

فأجابت: «استعمل أنبوب التصريف».

تسلق كاو الأنبوب المعدني إلى أن أصبح بمستوى عتبة نافذة ليديا، فوقفت جانباً كي يتمكن من دخول غرفتها، ثم دخلت الغربان خلفه.

وفيما نفض الغبار عن ركبتيه سألها: «كيف عرفتِ أنني هنا؟».

أجابت ليديا فيما نظرت إلى السجادة: «كنت مستيقظة». وأدرك كاو فوراً السبب الذي منعها من النوم. إذ رغم أن كلام والديها لم يكن مفهوماً جيداً، إلا أنه بدا جلياً أنهما ما زالا يتشاجران. وحين نظر إليها كاو عن كثب، لاحظ أن عينيها حمراوان؛ كما لو أنها كانت تبكي.

قالت فيما استلقت على سريرها: «هكذا هي الحال في معظم الليالي. فكلاهما شديدا التوتر طوال الوقت؛ إذ يحاول أبي تعقب السجناء بمساعدة الشرطة، فيما تعقد أمي دوماً اجتماعات سرية.

وهو لا يسمح لثعالبها بدخول الحديقة زاعماً أنها تخيفه، ويقول إنه يستطيع حماية العائلة من دونها».

وفجأة، صمتت ليديا، ولاحظ كاو بالنظر إلى وجهها أنها بدأت تستجمع قوتها.

قال سكريتش: ربما يجدر بك معانقتها.

وتمتم غلام: لا أعتقد أن هذا ضروري.

قالت ليديا: «أريد منهما أن يتوقفا عن الشجار. أتمنى أحياناً لو أنني أستطيع العودة إلى الخلف؛ حين كنا أنا ووالدي نجهل كل شيء. يُقال إن الأمور تصبح أفضل عند كشف الحقيقة، لكنني لست واثقة من صحة هذا القول».

كانت تتحدث وهي تنظر إلى حضنها، ولكنها رفعت نظرها إليه الآن، فتردد. عندها، أدارت وجهها بعيداً عنه، وشبكت يديها على صدرها.

قالت شيمر: كاو، إنها منزعجة. عليك أن تواسيها.

عندها، تقدّم كاو إلى الأمام مقترباً منها ببطء، غير أنّ ليديا وقفت فجأة، وكشفت عن تعبير أكثر إشراقاً وهي تقول: «على أية حال، ما الذي يجري معك؟».

فما كان من كاو إلا أن أنزل يديه مجيباً:

«أوه... في الواقع، يحصل الكثير من الأمور».

فقالت ليديا: «كنت أشاهد التلفاز. الأخبار كلها تتحدث عن موجة من الجرائم. يقولون إنها بداية صيف مشؤوم جديد. أعتقد أن الثور الأميركي الفار يخص أحد الخارقين، أليس كذلك؟».

أقرأناكموه

فأجاب كاو: «نعم. كنت هناك».

اتسعت عينا ليديا وهي تقول: «يا إلهي!».

فيما تابع كاو كلامه: «لكنّ هذا ليس كل شيء. إذ أعتقد يا ليديا أن أم الذبابات تحضّر لشيء ما».

عندها، اختفت الإثارة من وجه ليديا وقالت: «لا يمكنها. لقد أوقفناها».

فهزّ كاو رأسه قائلاً: «اعتقدت ذلك أنا أيضاً. ولكنني عائد من المستشفى للتو، وقد عرفت أنه تم اختطاف سيلينا».

شهقت ليديا فيما شرح لها كاو قصة النافذة المكسورة والذبابات، ثم أنهى كلامه بالقول: «من غيرها قادر على إخراج سيلينا من نافذة في الطابق الرابع؟».

من دون التفوه بأي كلمة، توجهت ليديا إلى خزانتها وبدأت ترتدي الجينز فوق «البيجاما».

سألها كاو: «إلى أين أنت ذاهبة؟».

فأجابت: «علينا أن نفهم ما يجري». ثم ربطت شعرها إلى الخلف، واعمرت قبعة بايسبول.

فقال كاو مستغرباً: «علينا!».

غير أن صديقته بدأت تربط شريط حذائها وهي تقول: «لا مجال أبداً لنعرف ما إذا كانت أم الذبابات قد استعادت قواها أم لا إن لم نزرها».

فهزّ كاو رأسه مستنكراً قولها: «لا يمكننا. إنها محبوسة في مصحّ بلاكستون العقلي».

أقرأناكموه

قالت ليديا: «أوه... يُعرف ذلك المكان بمستشفى الأمراض النفسية».

فقال كاو وقد تورّد وجهه خجلاً: «عفواً، هكذا يسمّيه كرامب».

«إذا كانت لا تزال موجودة هناك، فأنا أعتقد أننا سنكتشف ما تحضّر له بسرعة».

أحسّ كاو بالقلق يعصر قلبه. فقد احتاج إلى بذل مجهود كبير لهزم أم الذبابات في المرة الفائتة. ورغم ذلك، كان من الممكن أن تختلف النتيجة. ماذا سيفعل لو استعادت قوتها الكاملة؟!

غير أن ليديا ارتدت سترتها.

فقال كاو: «لا أعتقد أن والديك سيحبان هذه الخطة».

عندها، أشارت ليديا إلى الأرض قائلة: «ربما لن يلاحظ هذان الاثنان أنني غادرت المنزل».

وكانت الأصوات الغاضبة تُسمَع مكتومة بفضل السجادة.

قال كاو: «على الأقل، علينا إخبار كرامب. وثمة شخص جديد؛ إنه خارق ذئاب القيوط...»

قاطعته ليديا مشيرة إلى المنبّه؛ فلاحظ أن الوقت قد تجاوز منتصف الليل: «هل ستوقظهما؟ لا نستطيع الدخول بأعداد كبيرة. اسمع يا كاو، أنت بحاجة إليّ فقط».

تحدثت بنبرة صارمة، لكن كاو استطاع ملاحظة توسل خفيف في كلماتها، ففكر في سرّه: إنها بحاجة إلى الهروب من هنا.

لذا، قال أخيراً: «أنت محقة».

فقالت ليديا فرحة، فيما ارتسمت ابتسامة على وجهها المغطى

أقرأناكموه

بالنمش: «رائع! فلنذهب لالتقاط بعض الذبابات!».

4

وفيما نزل كاو وليديا على أنبوب الصرف الصحي، لمح كاو عبر نافذة غرفة الجلوس السيد ستريكهام مستلقياً على الأريكة، ومحدقاً إلى الفراغ أمامه.

قال كاو فيما لامست قدماه الأرض: «ربما يجدر بنا التحدث إلى أمك». لكنه عرف جوابها مسبقاً.

«لا، أرجوك يا كاو. سيبدآن بالشجار مجدداً. وبالإضافة إلى ذلك، هذه مهمة استقصاء للحقائق، ولن تكون خطيرة».

نظر كاو إلى الحديقة بحثاً عن الثعالب، وشعر بالارتياح لأنه لم يرَ أياً منها. ربّما منعت فيلما ستريكهام ثعالبها من الاقتراب من منزلها فعلاً. أحسّ كاو بالشعور بالذنب قليلاً لأنه يخفي الأمور عنها. غير أنه فعل سابقاً الكثير من الأمور من أجل السيدة ستريكهام، أليس كذلك؟ فقد سمح لها بدعوة الجميع إلى منزله. إذاً، لا داعي لأن تعرف كل خطوة من خطواته.

قال كاو: «دعينا نقوم برحلة». ثم نظر إلى السماء وأطبق قبضتَي يديه استعداداً لمناداة غربانه.

غير أنّ ليديا لمست ذراعه قائلة: «لا تفعل. فإن كانت هناك ذبابات قريبة، فسترانا».

سألها كاو: «إذاً، كيف سنصل إلى هناك؟ فالمصح العقلي في الطرف البعيد من بلاكستون».

أقرأناكموه

قالت ليديا: «سنستقل الحافلة رقم 62. قد تكون للعموم، ولكنها تحت المراقبة».

فقالت شيمر: لن أركب الحافة. هذا تحقير لنا.

عندها قال كاو: «يمكنكِ أنتِ الثلاثة ملاقاتنا هناك. لكن حلّقي على علو منخفض وابقي بعيدة عن الأنظار».

فقال سكريتش: أوه، مهمة سرية! ثم وثب على أعلى سور في منزل آل ستريكهام، وتابع: هذا رائع!

فيما قال غلام: من الأفضل توخّي الحذر. فقد يرغبون في إبقائك هناك إلى الأبد.

قال سكريتش: مضحك جداً.

سأل كاو: «أيتها الغربان، هل تريدين الانسحاب؟».

وابتسمت ليديا ابتسامة عريضة وهي تقول: «هاي، سررت برؤيتكِ مجدداً».

قال غلام: مجرد كلام. من الصعب التحليق بسترة المجانين.

وقال سكريتش: هيا أيها البطل.

لم يكن تواجد ليديا وكاو بمفردهما في الحافلة أمراً مستغرباً. حتى إن السائق لم يلاحظهما عندما صعدا إليها. أحس كاو ببعض الغرابة بسبب الهدير الخفيف للمحرك تحته، وشعر بالاطمئنان لدى رؤيته الغربان تحلق في الخارج. لقد ركب في السيارة أو الحافلة مرات قليلة فقط في حياته ولم يشعر حينها بالارتياح، لذا تنفّس الصعداء عندما وصلا إلى محطتهما. انغلق الباب خلفهما ما إن

أقرأناكموه

ترجّلا منهـا، ثـم اختفـت الحافلة بعيـداً في عمق الليـل. راقب كاو أضواء الحافلة الخلفية الحمراء وهي تختفي فوق هضبة.

كانـا فـي ضواحي بلاكسـتون؛ حيـث اختفت المباني السـكنية المكتظة الموجودة في المدينة، وحلّت محلّها مبانٍ صناعية ومزارع متفرقـة. جـاء كاو إلـى هنـا مرة واحدة فقط من قبل، حين كان أصغر سـناً، واستكشـف المـكان مـع غربانـه. قالـت ليديـا إن الحافلـة قد وضعتهما على مسافة نصف ميل من الطريق، وإنه لا توجد سيارات أخرى أو أرضية شارع مرصوفة.

وكانت لافتة طريق خشبية خاصة بمستشفى بلاكستون للأمراض النفسـية مثبتة إلى جانب الطريق. أما المبنى نفسـه فبدا قصراً قديماً أكثر من كونه مستشفى، وكان مشيداً على أرض مرتفعة، فيما أبراجه تعانق السماء.

قالـت شـيمر: يبدو المكان جميـلاً. أعجبني ما فعلوه بالقضبان على النوافذ.

فيمـا قالـت ليديـا وعيناهـا تلمعـان: «إنه أحد أقـدم المباني في المدينة. تم تشييده في بداية القرن الثامن عشر».

أومأ كاو برأسه بصمت، غير أن مستشفى الأمراض النفسية لم يبـدُ لـه قديمـاً إلـى هذا الحـد. كانت ثمة مبانٍ بشـعة ملاصقة له من الجانبيـن؛ مبـانٍ مـن طابـق واحد، وخالية من النوافـذ، وممتدة على مسـاحات شاسـعة. وقد أظهرت الأضواء المسـلطة على المستشفى أقواسـاً شـاحبة من الظلال العميقة. كان ثمة سـياج عالٍ بارتفاع تسع أقـدام تقريبـاً، وخلفه جدار كبيـر. ارتعد كاو خوفاً. فإذا كنت مريضاً

أقرأناكموه

هنا، فلا شك في أنك سجين أيضاً.

كانت هناك بوابة أمامية كبيرة، وإلى جانبها كشك الحارس. ورأى كاو داخله رجلاً يرتدي بذلة ويقرأ مجلة، فيما رفع قدميه إلى الأعلى.

سألت ليديا: «ماذا سنفعل الآن؟ أظن أنّ وقت الزيارات قد انتهى».

فنظر كاو إلى صديقته مجيباً: «لديّ خطة أفضل».

عندها، سألته ليديا وهي تفرك يديها ببعضهما: «أتعني تعطيل السياج؟».

فهزّ كاو رأسه نافياً. وكان قد بدأ أصلاً باستدعاء الغربان ما إن نزل من الحافلة، وها قد بدأت بالوصول؛ حيث بدت مثل موجة من الأشكال السوداء المحلقة فوقهما، وانضم إليها سكريتش وغلام وشيمر. عرف كاو أن غربانه أحست بالتيار الكهربائي العابر للسياج لأنها جثمت على الأرض حوله وحول ليديا. في تلك اللحظة، نظر الحارس إلى الأعلى قليلاً، ثم تابع القراءة.

قال كاو: «سواء أكانت هناك ذبابات أم لا، فهذه أفضل طريقة».

عندها، مدّت ليديا ذراعيها قائلة: «هيّا إذاً، فلترفعني الغربان».

وسرعان ما هبطت الغربان على كتفيهما ورفعتهما عن الأرض. كانت صديقته تبتسم ابتسامة عريضة، وقالت: «أحب هذا كثيراً».

وجّه كاو غربانه، وجعلها تحلّق بهما فوق البوابات والمستشفى نفسه. لاحظا من الأعلى أن المصح العقلي مشيّد حول فناءين مركزيين. حملتهما الغربان فوق السطح المنحدر بقوة، ثم لمح كاو

أقرأناكموه

شيئاً أكثر إيجابية، فوجّه غربانه إلى قسم مسطّح فيه مداخن كبيرة وموزّعة. أنزلتهما الغربان برفق، ثم احتشدت على السطح. لا توجد هنا أضواء مراقبة أو كاميرات.

هبّت نسمة خفيفة عبر ملابسه فيما شق كاو طريقه بين المداخن. كانت الأبراج العملاقة ملتصقة ببعضها بعضاً.

همست ليديا: «لا أحب النزول عبر مدخنة».

وفي تلك اللحظة، توقّف كاو قرب فتحة أرضية معدنية في السطح عليها مقبض صغير. بدت هذه الفتحة أكثر حداثة مقارنة مع المباني القديمة، وقد تمّ إنشاء فتحتَي تهوية جديدتين قربها.

قال: «أتمنى ألا نضطر إلى ذلك». ثم تمدد وأمسك بالمقبض وشدّه، فارتفع الغطاء ربع إنش تقريباً ثم انغلق. شدّ كاو أكثر، لكن الغطاء لم يتزحزح.

فقال مستنتجاً: «إنه مقفل من الداخل».

عندها قالت ليديا: «أوه حسناً، تجربة جيدة. أعتقد أنه يجدر بنا الدخول عبر الفناء الأمامي».

نظر كاو إلى الأسفل، كان ثمة المزيد من المصابيح الكاشفة مثبتة على الجدران، لكن يبدو أنها مطفأة.

قال: «شيمر، تأكّدي إن كان هناك حرّاس».

وعلى الفور، انطلقت شيمر ونزلت عن حافة السطح. وفيما اقتربت من الطابق الأرضي، ومض عدد من الأضواء، وسطع ضوء فضي في الفناء الأمامي، وسرعان ما سمع كاو صوت طنين ورأى الكاميرات تتحرك للتركيز على المساحة الفارغة. عندها، تراجعت

أقرأناكموه

شيمر فوراً، وحلّقت إلى الأعلى مجدداً وانضمت إليهما، فيما بدأ أحد الحراس بالتجوّل في الفناء. حاول كاو وليديا الاختباء، والتصقا بالمداخن. أما الغربان فكانت سوداء اللون، لذا لم تتحرك من أماكنها.

قالت ليديا: «لا أعتقد أن هذا الخيار ممكن».

عندها، عضّ كاو على شفته؛ فلا مجال أبداً لفتح الغطاء في أرضية السطح من دون المعدات التي تُستخدم في قطع الحديد. كما أن ليديا محقة بشأن النزول عبر المداخن؛ فهي صغيرة جداً، وكذلك فتحتا التهوية قربها.

بكل الأحوال، إنها صغيرة جداً بالنسبة إلى أي إنسان...

فجأة، وقف كاو وتوجّه نحو فتحتَي التهوية، فلاحظ أن قطر كل منهما قدم واحدة تقريباً، فقال: «بإمكان غراب الدخول من هنا».

«فكرة جيدة!».

عندها، استدار كاو ونظر إلى سكريتش الذي نظر بعيداً كما لو أنه بدا فجأة مهتماً بشيء ما في البعيد.

قال كاو: «سكريتش، هل يمكنني الاستعانة بك قليلاً؟».

مشى الغراب إليه ببطء، وسأله: لماذا أنا؟

فأجاب كاو: «لأنك الأصغر حجماً، إذ لا يستطيع غلام الدخول».

فقال الغراب العجوز بعصبية: بلى، أستطيع!

عندها، ضحكت شيمر قائلة: هاي... أنا سأنزل! ووثبت بحماسة من جانب إلى آخر.

أقرأناكموه

غير أن سكريتش هزّ جناحيه قائلاً: هيا إذاً، لكن أعدني قطعة واحدة، اتفقنا؟

أجاب كاو: «طبعاً». ثم أغمض عينيه، وركّز تفكيره كله على سكريتش، وسرعان ما أحس بروحه تنفصل عن جسمه باحثة عن الغراب الصغير. لهنيهة، طاف في العدم، ثم جذبه جسم الغراب إليه بنوع من الجاذبية الخارقة.

وفيما أحسّ كاو بمخالبه تلامس الأرض، فتح عينيه، ووجد نفسه بين الغربان الأخرى. نظرت إليه عدة غربان بفضول، كما لو أنها شعرت بوجود هالة مختلفة حوله. رأى جسمه البشري مستلقياً من دون حراك قرب ليديا، فيما كانت عيناه تنظران إلى الأعلى. تقدّم بضع خطوات للاعتياد على أطرافه الغريبة بالنسبة إليه، ثم فتح منقاره- منقار سكريتش- وأطلق صيحة.

في الحقيقة، لقد اختار سكريتش لأنه الغراب الذي تسهل السيطرة عليه أكثر من غيره. لا يعرف كاو السبب- ربما لأنه الأصغر، أو ربما لأن الرابط بينهما أقوى- لكن، لا شك في أن السيطرة على شيمر أكثر صعوبة، فيما السيطرة على غلام شبه مستحيلة.

قالت ليديا: «هل أنت هنا؟». فيما جلست القرفصاء للنظر إلى عينيه.

فحرّك كاو رأسه صعوداً ونزولاً مجيباً عن سؤالها.

عندها قالت ليديا: «هذا رائع فعلاً».

حرّك كاو جناحيه، ووثب إلى الأعلى للنظر عبر حافة الفتحة، فلم يرَ سوى نفق أسود تحتها؛ بالرغم من حاسة البصر القوية التي

أقرأناكموه

يتمتع بها الغربان.

قال غلام: بالتوفيق.

فيما قالت شيمر ومخالبها تلامس الفولاذ قربه مصدرة صوت طقطقة: سآتي معك.

تقدّم كاو إلى الأمام، وأحس بمخالبه تنزلق، وسرعان ما غاص في العتمة.

حرّك جناحيه مذعوراً، غير أنه لا مجال أبداً لمدّ الجناحين أثناء سقوطه. سمع شيمر تصرخ، وأحس بجسمها يرتطم بجسمه، ثم ارتطما بشيء معدني. وأخيراً، هبطت شيمر قربه فيما ملأ الغبار منقاره.

سألته: هل أنت بخير؟

أجاب كاو: أعتقد ذلك. ثم استدار في العتمة، فرأى ضوءاً خفيفاً إلى يساره، وسرعان ما انزلق متجهاً إليه. كانت هناك ثلاثة قضبان معدنية تغلق الفتحة جزئياً، ولكنه ألصق جناحيه بجسمه، ونجح في المرور عبرها والوصول إلى الجهة الأخرى، وبات واقفاً على درج ضيق يحفّه من الجانبين جداران عاريان من الجص المتقشر. أدرك أن هذا الدرج مخصص للنفاذ إلى السطح لإجراء التصليحات. وبعد لحظات، عبرت شيمر الفتحة أيضاً، وتركت وراءها ريشة واحدة، وبدت مغطاة بالغبار وشباك العناكب.

قال كاو: فوق. ففي أعلى الدرج، كان ثمة سلّم عمودي يفضي إلى الجهة السفلية من الفتحة ذات الغطاء المعدني التي رآها على السطح. وفي هذه الجهة، ثمة مزلاج صدئ. طار مع شيمر إلى

أقرأناكموه

الأعلى، وأدار رأسه، ثم أمسك المزلاج بمنقاره، وحرّك عنقه بقوة فنجح في إزاحة المزلاج قليلاً.

قال: هل يمكنك مساعدتي؟

انضمت إليه شيمر، وثبتت منقارها على المزلاج أيضاً، فنجحا معاً في تحريكه.

صرخ كاو: ليديا، بات الغطاء مفتوحاً. ونسي لهنيهة أنه يتحدث بلغة الغربان. لكن، يبدو أن صديقته سمعت صوت المزلاج وهو يتحرك، إذ سرعان ما فُتِح الغطاء المعدني من فوق، وابتسمت له صديقته قائلة: «عمل رائع!».

طار كاو إلى السطح، وهبط بالقرب من جسمه البشري المستلقي من دون حراك، ثم ركز بقوة لتنفصل روحه عن سكريتش، وما هي إلا لحظات حتى تمايل جسمه قليلاً فيما عادت روحه إليه؛ ها قد عاد إلى شكله الطبيعي. أجفل سكريتش قليلاً، ثم نقره على أذنه بخفة قائلاً له: لقد جعلتني متسخاً جداً.

فقال كاو معتذراً: «عذراً. وشكراً لك».

وكانت ليديا قد بدأت بالنزول على السلم المعلق عمودياً، فلحق بها كاو، وطلب من كل غربانه البقاء على السطح باستثناء غلام وسكريتش وشيمر.

وصلا إلى الأسفل حيث يوجد باب معدني، فأدار كاو المقبض ببطء وفتح الباب قليلاً.

فاجأه الرواق الذي بدا في الجهة الأخرى؛ فرغم أن المستشفى يبدو قديماً من الخارج، إلا أنه جديد تماماً من الداخل. كان الرواق

مطلياً بالأبيض الناصع، وهناك أبواب زجاجية من الجانبين، تفصل بينها عشر خطوات تقريباً، مع لوحات تحمل أرقاماً فوق الأبواب كلها. دفع كاو الباب قليلاً، وتحقّق من الجهتين، فلاحظ وجود كاميرا للمراقبة معلقة على الجدار، وكانت عدستها تمسح الرواق ببطء إلى أن وصلت إلى حدّها الأقصى، فبدأت تستدير صوبهم. عندها، أغلق الباب بسرعة.

قال لليديا: «توجد كاميرا. علينا توقيت تحركنا بدقة».

انتظر كاو بضع ثوانٍ، ثم نظر إلى الخارج مجدداً. كانت الكاميرا موجهة عكسهما، فأشار إلى ليديا وزحفا معاً في الرواق. وعندما وصلا إلى الباب الأول الذي يحمل الرقم 34 انقطعت أنفاسه؛ إذ إن رجلاً نحيلاً مثل الهيكل العظمي كان يقف خلف الباب، وكان يرتدي ثوب المستشفى البيج، وينظر إليهما بعينين زرقاوين شاحبتين. لم يجفل أو يحرك عينيه، حتى عندما ظهرت الغربان. وبدت الغرفة وراءه بسيطة؛ ففيها سرير مرتب، بالإضافة إلى طاولة عليها صينية وطبق فارغ.

قالت ليديا: «هذا المكان يرعبني».

وكشف الباب التالي عن غرفة مماثلة، ولكن السرير فيها يملأه جسم صغير متقوقع تحت الملاءات. أما الطعام الموضوع على الطاولة فكان لا يزال على حاله.

قال كاو: «مساكين». ثم نظر إلى الخلف، ولاحظ أن الكاميرا ستتجه نحوهما قريباً.

كانت الغرفة الأخيرة مضاءة بشكل خافت، لكنّ كاو أحسّ

أقرأناكموه

بوجود شخص ما يتحرك داخلها. لا ضجيج على الإطلاق، فعرف أن الزجاج كاتم للصوت. مرّ بسرعة أمام تلك الغرفة.

انتهى الرواق بتقاطع، ونجح كاو في سحب ليديا إليه في اللحظة التي استدارت فيها الكاميرا لتتجه إلى حيث يقفان. عندها، انحنت ليديا إلى الأسفل بسرعة، وأنزلت كاو معها أيضاً. أشار إلى مكتب زجاجي خلفهما يحتوي على مجموعة من شاشات المراقبة. وفي الداخل، جلست امرأة ترتدي بذلة الحراس أمام الشاشات وهي تتناول شطيرة، مُديرةً ظهرها لكاو وليديا. وعلى الحائط قربها، كانت هناك مجموعة من البطاقات البلاستيكية المعلقة.

قال كاو: «علينا العثور على غرفة سينتيا دافنبورت».

فقالت ليديا مشيرة إلى المكتب: «أراهن أن هذه هي المفاتيح».

عندها، وثبت شيمر على قدمه قائلة: لقد حان دوري.

فيما قال سكريتش: هذا خطر جداً. سوف تراك الحارسة.

غير أنها قالت: لن أدخل إلى هناك أيها الدوريّ، فلديّ خطة أفضل. ثم طارت وحلقت في الرواق على علو منخفض.

همست ليديا: «إلى أين ذهبت؟».

بينما تمتم سكريتش: دوريّ!

قال غلام: هذا ليس إطراء يا صديقي. فقد التقيت ذات مرة عصفور دوري كان خائفاً من المطر.

فجأة، بدأت إحدى شاشات المراقبة في المكتب تومض، ثم أصبحت الصورة مشوشة، فمدّت الحارسة يدها إلى أسفل الشاشة وحرّكت زراً، غير أن شيئاً لم يتغير؛ إذ تشوشت الصورة مجدداً.

أقرأناكموه

عندها، وقفت الحارسة وفكّت القراب في حزامها، ثم مشت نحو الباب وهي تتحدث عبر الجهاز اللاسلكي.

قالت: «لديّ عطل في الكاميرا في المبنى «د»». ثم صمتت مصغية قليلاً قبل أن تتابع قائلة: «لا. يُعزى ذلك ربما إلى تلك الأجهزة الكهربائية القديمة. سأحاول معرفة ما حصل».

وغادرت المكتب.

فكر كاو في سره: هذا رائع يا شيمر. ثم همس قائلاً: «سأعود سريعاً». ومشى بسرعة على أطراف أصابعه ودخل المكتب.

كانت البطاقات مرقمة. نظر كاو بأسرع ما يمكنه إلى الأسماء المسجلة تحت الأرقام؛ إذ كانت مهارته في القراءة قد تحسنت خلال الأشهر القليلة الماضية، ولكنه عرف أنه ليس سريعاً بقدر ليديا. ثم لمح الاسم؛ سينتيا دافنبورت، الرقم 8. أخذ المفتاح المخصص للغرفة وهو يأمل ألا تلاحظ الحارسة غيابه حين تعود، ثم لمح كابلاً خارجاً من إحدى شاشات المراقبة ومتصلاً بقابس كهربائي، فخطرت في باله فكرة.

أمسك بكوب قهوة نصف ممتلئ وسكب محتوياته فوق القابس الكهربائي، فصدر صوت فرقعة، ثم انطفأت كل الشاشات دفعة واحدة. يفترض أن يمنحنا ذلك بضع دقائق إضافية.

عندما عاد إلى ليديا، كانت شيمر قد عادت أيضاً.

قال كاو حاملاً المفتاح: «لقد حصلت عليه! علينا العثور على الغرفة رقم ثمانية».

توقع كاو وليديا سماع جرس الإنذار في أية لحظة، أو ظهور

حارس آخر في طريقهما، فركضا بسرعة في الأروقة، وانعطفا حول الزاويا. كانت الأرقام متدرجة نزولاً، وما إن وصلا إلى الرقم اثني عشر، ثم أحد عشر، ثم عشرة حتى أبطأ كاو خطواته. كانت الغرف فارغة.

والغرفة رقم تسعة فارغة أيضاً.

أحس كاو بتوتر في عنقه، فبحث تلقائياً عن منقار الغراب تحت سترته، وبدت ليديا متوترة أيضاً وهي تسأله: «ماذا ستفعل؟».

فأجاب: «إنه للحماية فقط. إذا حصل أي شيء، اهربي. هل اتفقنا؟».

غير أن ليديا رفعت حاجبيها مستغربة.

فقال كاو: «أقصد ذلك فعلاً».

كانت الغرفة رقم 8 مظلمة في الداخل، ولكنه استطاع رؤية شخص محدّب الظهر يجلس على طرف السرير. إذا كانت قد رأتهما فهي لم تُظهِر ذلك.

رفع كاو المفتاح نحو جهاز الاستشعار، ثم توقف فيما تسارع خفقان قلبه وهو يتذكر آخر معركة بينهما. ففي تلك المعركة، تمكنت أم الذبابات من تحويل سرب من الذباب إلى عملاق ضخم كاد يسحقه بقبضته المؤلفة من الذبابات. وإذا كان هذا فخاً، فإن فتح الباب ربما سيكون آخر شيء يفعله كاو في حياته.

ضغطت ليديا على زر قرب جهاز الاستشعار، فأضيء المصباح داخل الغرفة رقم ثمانية.

حمى الشخص الجالس على حافة السرير عينيه بيديه وقد

أقرأناكموه

تراجع إلى الخلف. بدت سينتيا دافنبورت وكأنها كبرت عشر سنوات في الأسبوعين الأخيرين. إذ بات شعرها رمادي اللون ومشعثاً، فيما بشرتها مغطاة بالبقع. أما عيناها اللتان كانتا شرستين في ما مضى، فقد نظرتا إلى زائريها من محجرين مجوفين. يصعب التأكد من وضعيتها المحدبة، لكن كاو لاحظ أن حجمها قد تقلص قليلاً. ظهر لعاب أبيض جاف على زوايتَي فمها، وكان رداء المستشفى الخاص بها مغطى ببقع الطعام. لا دليل أبداً على وجود أي ذبابات.

نظر كاو إلى ليديا فبادلته النظرات بحزن شديد.

ثم نظر خارق الغربان إلى عينَي سينتيا دافنبورت بإمعان بحثاً عن أي أثر لأم الذبابات.

قالت ليديا: «ماذا سنفعل الآن؟».

أخذ كاو نفساً عميقاً؛ فعليه أن يعرف ما حصل لسيلينا.

تمتم قائلاً لليديا بصوت منخفض: «ابقي في الخلف». ثم وضع المفتاح أمام جهاز الاستشعار، فتحول الضوء الأحمر إلى أخضر، وفتح الباب.

لم تتحرك المريضة في الغرفة رقم ثمانية.

قال كاو وقلبه يخفق بسرعة كبيرة لدرجة أنه استطاع سماعه: «مرحباً حضرة الشرطية دافنبورت. هذا أنا، جاك كارميكايل».

عندها، أجفلت المريضة فجأة، وبدأت تدندن بصوت غريب وقد أمالت رأسها: «حلّق حلّق بعيداً. حلّق إلى السماء لأن شباكه تصل عالياً. صحيح أن العناكب لا تستطيع التحليق، ولكن أرواحها لا تموت».

أقرأناكموه

فقطب كاو جبينه وقال لها: «نريد التحدث إليك».

غير أن سينتيا دافنبورت تابعت الغناء كما لو أنها لم تسمعه. «أرى أرجله الثماني ترقص عالياً. يمكنك المحاولة. يمكنك المحاولة. لكن الغراب لا يستطيع الهروب من عين العنكبوت».

بالكاد تحركت شفتاه، لكن الأغنية الغريبة جعلته يرتجف. لقد كان مخطئاً، إذ لا يمكن أن تخطف هذه المرأة ابنتها.

اقترب منها خطوة إضافية، فتراجعت إلى الخلف لدرجة أنها التصقت بالجدار.

عندها قالت ليديا التي وقفت خلف كاو: «أرجوك، لن نؤذيك. نريد فقط أن نعرف شيئاً عن سيلينا. لقد اختفت. هل رأيتها؟».

أدارت سينتيا رأسها فور سماعها باسم ابنتها، ورقصت عيناها بجنون وهي تقول: «أوه نعم. إنها هنا. إنها هنا معي... دوماً».

فتسارع نبض كاو، ورفع سيفه وسألها: «ما الذي فعلته بها؟».

عندها، مدّت سينتيا يدها أمامها، وأزاحت طرف منقار الغراب جانباً. كانت أظفارها متسخة، ولكنها حركت أصابعها صعوداً ونزولاً كما لو أنها تداعب شعر أحدهم بحنان، ثم قالت: «فتاتي هنا. فتاتي الجميلة. تعالي إلى ماما يا حبيبتي. فلنذهب إلى البئر القديمة ونحضر الماء معاً... نعم، يمكننا قطف الأزهار يا حبيبتي... كل الأزهار التي تريدينها. لا، لا توجد عناكب هناك. فقط أزهار وماء صاف جداً حيث يمكنك رؤية الماضي والمستقبل في الأعماق».

لمست ليديا كتف كاو وهزّت رأسها، فأخفض كاو نصل السيف. وفيما استمرت سينتيا دافنبورت في التحديق إلى الفراغ

أقرأناكموه

حيث ترى فتاة خيالية، اختفى التوتر من جسم كاو، وحلّ محلّه حزن شديد. إذ لم يعد ينظر إلى خارقة شريرة، وإنما إلى أمّ محطمة تتوق لرؤية ابنتها التي أضاعتها.

أطلق سكريتش صيحة تحذير مفاجئة، فاستدار كاو متوقعاً رؤية حارس. ثم صرخت ليديا مذعورة فيما قفز شكل مكسو بالشعر في الهواء وارتطم بصدر كاو، فأحس بشيء حاد يخدش ذراعه. «أووو!».

أخفض كاو منقار الغراب متلوياً من شدة الألم، فيما قفز قرد شاحب على ذراعه، وكشف عن أنياب حادة مثل الإبر. بدأت سينتيا دافنبورت تنوح فيما قفز القرد في أرجاء الغرفة، وسرعان ما ظهرت ثلاثة قردة أخرى وملأ صوتها المريع الغرفة.

خفقت الغربان بأجنحتها بجنون، لكن سكريتش وشيمر علقا بسرعة بين مخالب القردة، وباتا مثبتين على الأرض. حاول غلام البقاء عالياً في الهواء، لكن القردين الآخرين أنزلاه وثبتاه أرضاً.

قال سكريتش: اتركني يا كتلة الشعر!

تمدد كاو للإمساك بمنقار الغراب، ولكنه تراجع إلى الخلف بسرعة فيما ظهر كوجر عند الباب، وخلفه لوغمان العملاق الذي وقفت خلفه امرأة شابة ذات شعر مشعث. قفز القرد الذي جرح كاو بسرعة إلى كتفها، وأصدر صوت هسيس، فيما زمجر الكوجر. عندها، اقتربت ليديا من كاو وقد أصبح وجهها شاحباً.

أخيراً، دخل خارق العث السيد سيلك الغرفة رقم ثمانية وقد ارتسمت ابتسامة باردة على شفتيه وقال: «إن لقاءنا هنا جميعاً أمر رائع».

أقرأناكموه

5

أخذ كاو نفساً عميقاً وهو يحاول فهم ما يحصل، فأعداؤهم هنا أمامهم. ثم قال بهدوء بعد أن أدرك حقيقة ما حصل: «كان هذا فخاً».

عندها، أنزل السيد سيلك قبعته وقال: «إنه فخ وقعت في شركه بملء إرادتك».

نظر كاو إلى سينتيا دافنبورت متوقعاً أن تكشف عن حقيقتها، غير أنه لم يرَ على وجهها أي أثر لابتسامة انتصار، بل على العكس بدت محتارة، لا بل خائفة.

مهما كان ما يجري، فليست أمّ الذبابات جزءاً منه.

أغمض كاو عينيه، وحاول استدعاء المزيد من الغربان. فلو كان بوسعها الدخول عبر الفتحة في السطح...

غير أن السيد سيلك قاطع تركيزه بالقول: «لا تزعج نفسك. فقد أغلقنا الباب في أسفل السلم. لذا، لن يأتي أحد لمساعدتك. كما تولينا أمر الحراس أيضاً».

فقالت ليديا: «لكن الذبابات في المستشفى...». غير أنها صمتت عندما ضحكت المرأة النحيلة ذات الشعر الأشعث ضحكة نصف مكبوتة كاشفة عن أسنان مهترئة، ثم أخرجت علبة كبريت من جيبها وفتحتها، ورمت نصف دزينة من الذبابات الميتة على الأرض.

وما إن فعلت ذلك حتى وقعت سينتيا دافنبورت عن السرير، وجثمت على ركبتيها وراحت تصرخ باكية: «كائناتي الحبيبة!». ثم حملتها في راحة يدها وقالت: «أوه... ما الذي فعلوه بك؟». وتلألأت

عيناها بالدموع.

لم يفهم كاو السبب الذي دفعهم إلى وضع ذبابات ميتة في غرفة سيلينا في المستشفى، كما لم يفهم السبب الذي دفع السيد سيلك إلى مهاجمته في مستشفى بلاكستون أساساً. فلا سبب منطقي في إحضاره إلى هذا المصح العقلي. هل من منطق وراء ذلك؟

رفع السيد سيلك ذقنه، ونظر إلى سيدته السابقة التي ارتمت أرضاً قرب ذباباتها وقال: «يا له من مشهد مقرف! واللافت أنني خفت منك في ما مضى».

ثم نقر بيده، فطارت حشرات العث من تحت كمه نحو وجه سينتيا التي صرخت، وراحت تلوّح بيديها وهي تدفع حشرات وتتراجع إلى الخلف حتى أصبحت مستندة إلى الجدار قرب كاو وليديا. ومثلما ظهرت حشرات العث بسرعة، عادت إلى سيدها بسرعة واختفت تحت سترته القشدية.

ووسط كل الأفكار المتسارعة والمتضاربة، تبلور سؤال في عقل كاو. إذا لم تكن أم الذبابات هي المسؤولة عن المجرمين الآن، فمن المسؤول؟

نظر إلى منقار الغراب المرميّ أرضاً قرب السرير. سينقض عليه لوغمان أو الكوجر قبل أن يتمكن من إحداث أي أذى، لكن هذا سيمنح ليديا بعض الوقت للهرب.

قال السيد سيلك: «قبل أن تفعل أي شيء فظ، نحن هنا لنوصل لك رسالة».

فحدّق إليه كاو بغضب.

أقرأناكموه

غير أن السيد سيلك تابع كلامه: «لقد عاد صديق قديم وانضم إلينا. وهو يريدك أن تعلم...»

فقال لوغمان فجأة: «يكفي». ثم أبعد السيد سيلك عن طريقه وقال: «أريد القضاء عليه بنفسي لأستمتع بذلك». وأمسك بمنقار الغراب، ثم نظر إلى كاو مباشرة وصرخ بصوت عالٍ: «سيموت بسيفه الخاص. كم هذا رائع».

عندها، نعبت غربان كاو بصوت عالٍ، غير أنها لا تستطيع مساعدته.

قال السيد سيلك: «لو كنت مكانك فسأتراجع». وأدار رأسه نحو الباب، فسمع كاو الصوت أيضاً. ثمة شيء قادم؛ شيء يندفع بقوة في الرواق.

بدا شيء غير متوقع على وجه لوغمان؛ ذعر حقيقي. فيما تراجعت خارقة القرود وخرجت من الباب، وأفلتت كائناتها الغربان وركضت خلفها. صرخت: «أخبرتك بما قاله. هيا، فلنذهب!».

رمى لوغمان السيف على السرير وخرج من الغرفة مسرعاً، ولحق به الكوجر الخاص به. أما السيد سيلك فلمس حافة قبعته قائلاً: «يبدو أنه سيوصل الرسالة بنفسه. طاب يومك».

وتراجع إلى الخلف، ثم اختفى من الغرفة بسرعة.

بات صوت الاندفاع أعلى وأعلى، وشبيهاً بصوت شلال بعيد هادر. أمسك كاو بمنقار الغراب وخرج إلى الممر مع ليديا وغربانه، فيما بقيت سينتيا دافنبورت مكانها، جالسة القرفصاء قرب الذبابات الميتة. نظرت إلى الأعلى، وقد ملأ اليأس وجهها.

أقرأناكموه

قالت بصوت أجش: «إنه هنا. اهربا أيها الولدان. اهربا!».

ثم رأى كاو كتلة كبيرة سوداء عند منعطف الممر، وبدا له أن كابوسه قد عاد إلى الحياة.

ها هي العناكب، الآلاف منها.

فكر كاو في سرّه فيما تراجع في الممر: لكن، كيف يمكن أن يكون هو؟

وهمست ليديا كما لو أنها تحاكي أفكار كاو: «لقد قتلنا الرجل الدوام. أليس كذلك؟».

فيما قال سكريتش وهو يثب على رجليه: علينا أن نخرج من هنا.

كان كاو على وشك الركض حين أدرك أنه ترك باب غرفة سينتيا دافنبورت مفتوحاً، فتراجع إلى الوراء لإغلاقه.

قالت شيمر: كاو، لا!

غير أنه قال لها: «لا يمكنني السماح للعناكب بالوصول إليها!».

وفيما مرّر البطاقة أمام جهاز الاستشعار، ألقى نظرة أخيرة على سينتيا دافنبورت التي حملت الذبابات الميتة بين يديها. انغلق الباب في اللحظة التي انسحقت فيها أولى العناكب تحت قدمَي كاو الذي أبعدها عنه وركض خلف ليديا، فيما حلّقت الغربان فوقهما.

وعندما وصلا إلى المنعطف، رأى كاو حارساً ممدداً على الأرض، وعنقه مكسور. إنه عمل لوغمان. لم يعد كاو يذكر الطريق التي جاء منها، ولكن بوجود العناكب خلفهما، لا مجال للعودة أبداً.

شهقت ليديا عالياً فيما تدفقت العناكب على الأرض، وغطت جثة

أقرأناكموه

الحارس.

وعند التقاطع التالي، انعطفت الغربان إلى اليسار.

وقال غلام: من هنا.

لحق به كاو، ولكنه توقّف فجأة حين تدفقت نحوه مجموعة كبيرة من العناكب. عندها، أمسك بذراع ليديا ودفعها في الاتجاه المعاكس، فالتحمت مجموعات العناكب معاً ولحقت بهما.

وفيما كانا يركضان، تردد سؤال واحد في عقل كاو: كيف يُعقل أنه لا يزال حياً؟

أحسّ كاو أنهما يغوصان في عمق المستشفى أكثر فأكثر. وتوقع أن يُظهِر خارق العناكب نفسه في أية لحظة، مثل وحش من كوابيسه. انعطفا حول عدة زوايا؛ إلى اليسار، ثم إلى اليمين، ثم إلى اليمين مجدداً، لكن المزيد من العناكب اعترضت طريقهم. فأبطأ كاو خطواته.

قال: «إنه يخدعنا، ويتلاعب بنا». خفقت الغربان بأجنحتها محاولة البقاء ثابتة في المساحة الضيقة، وهبط غلام قرب كاو. أدرك كاو أن إرساله غربانه الثلاثة لشنّ هجوم سيكون من دون جدوى، لذا قال لها: «اتركينا. اهربي».

فقال سكريتش: أبداً.

بدأت كتلتان كبيرتان من العناكب تقتربان ببطء من كلتا الجهتين، فأمسكت ليديا بذراعه، وقالت خائفة: «كاو!». كما لو أنها تتوقع منه أن يفعل شيئاً.

عندها، تراجع كاو إلى الخلف، وأدرك أنهما أمام باب خشبي

أقرأناكموه

ذي مقبض. لم يصدق حظهما، وحاول فتح الباب بسرعة، فتعزّزت آماله عندما فُتح الباب.

خلف الباب كانت هناك مجموعة من السلالم المؤدية إلى الأسفل، حيث الظلام حالك.

فصرخ كاو: «ليديا، انزلي إلى الأسفل، الآن!».

نزلت ليديا السلالم بسرعة، ولحقت بها الغربان، ثم كاو الذي أغلق الباب خلفهما بسرعة. وبعد ثوانٍ قليلة، اختفى الخط الأفقي من الضوء المتسلل من تحت الباب بفعل العناكب.

قالت له ليديا: «هيّا، أسرع!». كان الهواء أكثر برودة، ورطباً كما يكون في قبو. لحق بها كاو وهو يتحسس طريقه على الجدار الحجري الخشن بأطراف أصابعه.

كان السواد في الأسفل حالكاً جداً، فسمع الصوت الناجم عن تعثّر ليديا. كما سمع صوت التدفق القوي للعناكب من تحت الباب في الأعلى ونزولها السلالم.

قالت شيمر: لا أحب هذا!!

فسألها كاو: «هل يمكنكِ رؤية أي شيء؟». فعيون الغربان أفضل من عينيه، ولاسيما في الليل.

أجاب سكريتش: مجرد رواق منخفض السقف يوجد باب في نهايته.

بحث كاو عن ذراع ليديا، ثم أمسكها وتقدّما إلى الأمام معاً. أحس بالسقف المنخفض مباشرة فوق رأسيهما، وبالرطوبة في الهواء. وبدا له كما لو أنهما يسيران في العتمة منذ الأزل.

أقرأناكموه

قال سكريتش: لقد وصلتما إلى الباب تقريباً.

خبّأ كاو منقار الغراب، ثم مدّ يده ولمس ألواحاً خشبية فيها مسامير معدنية، وفتح الباب.

قال غلام: يا سلام! إنه طريق مسدود. ثمة زر كهربائي على الجدار إلى يسارك.

تلمس كاو الجدار بحثاً عن الزر ثم ضغط عليه، وفجأة أعماه الضوء. طرف بعينيه مرات عدة، ثم انفطر قلبه؛ إذ وجد أنهما يقفان في غرفة لا تتعدى مساحتها ست أقدام مربعة، وهناك جص أبيض متقشر فوق حجر أحمر مفتت. والضوء الوحيد في الغرفة كان مصدره المصباح المعلق في السقف. غير أن الصورة المعلّقة على الجدار هي التي بثت الرعب في أعماقه؛ إذ رسم أحدهم لوحة جدارية باللون الأسود، وقد ظهر فيها عنكبوت عملاق.

لقد ارتبكوا خطأ فادحاً.

اقتربت العناكب في الرواق أكثر فأكثر على شكل موجات، وارتطمت ببعضها أثناء محاولتها الوصول إلى كاو وليديا.

قالت ليديا بهدوء: «كاو، تحوّل. هيّا اطلب المساعدة».

أحس كاو بذراع ليديا ترتجف قربه، وأحس بخوفه يتحول إلى قوة باطنية. أدرك أنه بإمكانه تحويل نفسه إلى غراب والتحليق بأمان، ولكن ما الذي سيفعله بعد ذلك؟! أمسك بيدها قائلاً لها: «إن فعلتُ ذلك فلن أتمكن أبداً من العودة إلى هنا في الوقت المناسب».

اندفعا نحو الجدار البعيد فيما غطّت العناكب الباب. لم يكن قد سبق له أن رأى هذا العدد الكبير من العناكب من قبل؛ إلا في

أقرأناكموه

أرض الموتى. قال لنفسه: كل العناكب في بلاكستون جاءت إلى هنا. جاءت كلها من أجلنا.

ثم توقفت العناكب، واصطفّت مثل الجنود في صفوف مثالية، واحتشدت أمام الباب على شكل عارضة جامدة كما لو أنها تخشى تخطي العتبة.

سألته ليديا: «لماذا لا تهاجمنا؟».

فأجاب كاو: «لا أعرف». وسحب منقار الغراب، ورفعه أمامها.

بدأت العناكب تتحرك مجدداً، ولكن ليس إلى الأمام، وإنما إلى الأعلى؛ فتسلقت إطار الباب، واحتشدت فوق بعضها بعضاً، فيما بدأت عناكب أخرى تتدلى من الأعلى مثل خيوط الحرير. اكتفى كاو بالمراقبة فيما قامت آلاف العناكب بسدّ الباب بشبكة كبيرة مؤلفة من أجسامها الصغيرة.

تدفقت العناكب فوق خيوط الشبكة الكبيرة متشبثة بالحرير وببعضها، وصارت تبدو على شكل كتلة كبيرة من العناكب. ثم تحركت الشبكة العملاقة وتموجت، فاختفت كل الرطوبة من حنجرة كاو حين رأى شكلاً يتجسد أمامه. محجران للعينين، نتوءات للأذنين والأنف والشفتين، كلها مدعومة بشبكة العناكب. وعلى الفور، عرف كاو ما يحصل أمامه. إذ فجأة، فُتح فم في كتلة العناكب، وسُمع صوت همس.

قال الرجل الدوام: «مرحباً يا خارق الغربان».

ظل كاو ممسكاً بيد ليديا، ولوّح بمنقار الغراب مهدداً، ثم قال: «لقد قتلتك».

فتحركت العناكب على الوجه، وامتلأت الغرفة الصغيرة بضحكة خافتة. «لا يمكنك قتلي يا كاو، تماماً مثلما لا تستطيع قتل فكرة. فروحي لا تموت. وقد كنت أراقبك».

تصلبت أصابع كاو فوق مقبض السيف.

سأله الرجل المصنوع من العناكب: «كيف تجد هذا المكان؟».

نظر كاو في أرجاء الغرفة، فلاحظ أنها لم تكن تبدو مثل أي جزء آخر في المصح العقلي. إذ بدت قديمة ومهجورة؛ مثل شيء يرجع إلى زمن آخر.

همس الصوت: «أردت رؤيتك».

فسألته ليديا: «لماذا؟».

اختفت ملامح الوجه هنيهة فيما وقعت بعض العناكب على الأرض. بدا وكأن هذا الكائن سينهار في أية لحظة، لكن المزيد من العناكب انضمت إلى تلك المحتشدة على الشبكة، فظهرت القسمات مجدداً بوضوح.

قال الكائن المصنوع من العناكب: «قبل زمن بعيد، ماتت خارقة عناكب في هذه الغرفة. كان المستشفى حينها مخصصاً للمجانين مثلما هو الآن، لكنها لم تكن مجنونة».

فسألته ليديا: «إذاً، لماذا تم إحضارها إلى هنا؟».

فقال الصوت مجيباً: «من الأفضل أن تسألي جاك عن ذلك».

قال كاو: «لا أعرف ما تتحدث عنه».

فقال الرجل الدوام: «لكنك ستعرف». ووقع المزيد من العناكب على الأرض، فيما ترهل كامل الوجه مقدار إنش أو إنشين، وتابع

الرجل الدوام كلامه: «اعتبر ذلك بداية لتعليمك يا خارق الغربان. سوف تذهب في رحلة».

أبقى كاو منقار الغراب مرفوعاً وسأله: «إلى أين؟!».

فتنهد الرجل الدوّام، وارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتيه وهو يقول: «إلى أعماق اليأس وما بعده. سآخذ كل شيء منك... كل ما تملكه يا عزيزي».

أحس كاو أن ليديا قد تصلبت قربه، فيما تابع الرجل الدوام: «قبل أن تموت، سوف تدفع ثمن الجرائم التي ارتكبها أسلافك. إذ سوف تثأر العناكب منك، وسوف تلتهم لحمك يا خارق الغربان؛ حتى في أرض الموتى».

بدا التهديد والتوعّد واضحين في تلك الكلمات. لكن، بالرغم من الشعور بالخوف الذي سيطر على كاو، وضع سيفه أمام وجه الكائن الشرير، وسأله: «ما الذي فعلته بسيلينا؟».

فارتسمت ابتسامة على شفتَي رجل العناكب وقال: «أصبحت سيلينا لي أنا الآن».

الثقة الواضحة التي بدت في تلك الكلمات جعلت كاو يرتجف في أعماقه، فصرخ عالياً: «أين هي؟».

«إنها مجرد البداية يا خارق الغربان».

ازداد غضب كاو أكثر فأكثر، فغرز منقار الغراب وسط كتلة العناكب، وبدأ يحرّك النصل ذهاباً وإياباً، فتناثرت العناكب وتفكّكت الشبكة.

ثم قال الصوت وهو مكتوم: «حضّر نفسك يا جاك. أنا قادم».

أقرأناكموه

بعد تلك الكلمات، انهارت العناكب أرضاً وفقدت شكلها الواضح. فراقبها كاو باشمئزاز كبير فيما انسحبت عبر الباب، ومن ثم إلى الرواق، فالسلالم على شكل موجة كبيرة.

قال غلام: ماذا حصل الآن؟ لماذا لم يقتلنا؟!

وقالت شيمر: اعتقدت أنه مات.

كان قلب كاو يخفق بسرعة كبيرة لدرجة أنه شعر بالألم، غير أنه هزّ رأسه مجيباً: «إنها روحه ربما... أو شيء ما. قال إنه يريدني أن أتعذب».

فأضاف سكريتش: قبل أن يقتلك.

عندها، قاطعت ليديا الحوار قائلة: «فلنخرج من هنا».

أومأ كاو برأسه، ثم نظر في أرجاء الغرفة التي بدت مثل زنزانة سجن. هل كان الرجل الدوام يقول الحقيقة بشأن موت خارقة عناكب هنا قبل أعوام عدة؟ لكن، ما علاقته شخصياً بالأمر؟

ثمة شيء مؤكد؛ لا يمكنه معالجة هذه المسألة بمفرده. خبّأ كاو منقار الغراب مجدداً، وبدأ يركض في الرواق قائلاً: «علينا العودة إلى المنزل وإخبار الآخرين».

حاول أن يبدو صارماً، غير أنه لم يستطع تجاهل الخوف الكبير المسيطر عليه. كان بوسع الرجل الدوام أن يقتله- بسهولة- ولكنه قرر عدم فعل ذلك.

ومعه سيلينا.

ما يعني أنه لا يوجد وقت طويل.

أقرأناكموه

6

قالت ليديا: «علينا إحضار سيارة إسعاف إلى هنا، والشرطة أيضاً».

خرج كاو وليديا من مستشفى الأمراض النفسية، وباتا الآن يقفان على السطح. لم يحاول أحد اعتراض طريقهما. إذ إن الحراس والممرضين كانوا مستلقين أرضاً، أو معرضين لما هو أسوأ؛ وذلك بسبب السيد سيلك وأصدقائه.

حصل كل ذلك ليوصل الرجل الدوام رسالته.

لكن، كيف يعقل ذلك؟ فالغربان البيضاء مزقت خارق العناكب إرباً في أرض الموتى. لقد رأى كاو ذلك بأم عينيه. لكن، ذلك الكائن في الأسفل... إنه هو نفسه. كان كاو واثقاً من ذلك.

استدعى المزيد من الغربان، وطلب إليها إعادة ليديا إلى منزلها فوراً، وقال لها: «أيقظي أمك، وأخبريها بضرورة المجيء لملاقاتي مع الآخرين».

سألته ليديا: «وماذا ستفعل؟». فيما بدأت الغربان تحطّ على ذراعيها.

أجاب كاو: «لا أعرف. عليّ التفكير في الأمر».

وفيما راقب الطيور وهي تحمل صديقته في السماء السوداء المضاءة بالنجوم، مدّ ذراعيه فرفعته غربانه عن سطح المستشفى، وبدأت تحلق في الاتجاه المعاكس.

قرّر التحليق فوق ضواحي المدينة.

أقرأناكموه

ثمة شيء بدا أمامه من بعيد؛ سحابة شاحبة من الدخان المنبعث في الليل. أحسّ كاو بعدم الارتياح، واستجابة لشعوره ذلك، حلّقت الغربان أسرع. وسرعان ما تحول القلق إلى ذعر.

فالدخان المتصاعد آت من منطقته.

لا، بل إنه منبعث من منزله.

عندما حلقت الغربان فوق المنزل، لاحظ كاو بارتياح أن المنزل نفسه سليم، ولكن الشجرة العملاقة في الفناء الخلفي ليست كذلك. فالأغصان باتت سوداء وعارية، والأطراف متوهجة مثل الرماد المحترق.

صرخ: «لا...»

لقد تحوّل منزل الشجرة الخاص بكاو إلى رماد.

قالت شيمر: العش!

كان جوني فايفتايلز في الحديقة مع كرامب الذي يقف بيب إلى جانبه، ونصف دزينة من دلاء الماء قرب أقدامهم.

أفلت كاو من مخالب غربانه وهبط في الحديقة. كاد يقع أرضاً فيما ركض سريعاً صوب خارق الحمام، وعيناه مثبتتان على ما كان عشه؛ منزله طوال أعوام عدة. لقد تحوّلت الأوراق إلى رماد راح يتناثر في الهواء.

سأل: «ماذا حصل؟».

فنظر إليه كرامب بعينين واسعتين وسأله بدوره: «أين كنت؟».

فأجاب كاو: «كنت... أرى ليديا».

عندها، قال جوني فايفتايلز: «الحمد لله لأنك بخير». وكان

الرماد الرطب يغطي وجهه وذراعيه.

قال كرامب: «زارنا خارق النسور الجديد مع كوكتيل مولوتوف. حاولت رفع دلاء الماء إلى الأعلى بمساعدة طيور الحمام، ولكني آسف جداً يا كاو. لم يكن ذلك كافياً».

صرخت شيمر: ابتعدوا، أنتم في الأسفل!

نظروا إلى الأعلى فرأوا لهباً راقصة فيما انزاحت بقايا العش جانباً، ثم تدحرجت إلى الأمام. أبعد كاو كرامب من الطريق، فيما تحركت اللهب المحترقة بسرعة، جاعلة الأرض تحتها رماداً.

ارتطم شيء ما بذراع كاو، وعندما نظر عبر الدخان المتصاعد، رأى أن النار قد وصلت إلى كم سترته. حاول إطفاءها باليد الأخرى، غير أن بيب سكب الماء بسرعة فوق اللهب فأطفأ النيران. جفل كاو، إذ بدأ الألم ينبض في معصمه.

قال كرامب فيما اقترب منه: «دعني أرى ذراعك».

رفع كاو كمّه الممزق، ولاحظ أن بقعة صغيرة من بشرته أصبحت حمراء وبحالة سيئة. صفر خارق الحمام ارتياحاً وقال: «أنت محظوظ. لكنك تحتاج إلى ضمادة».

فقال كاو: «سأكون بخير».

عندها قال كرامب: «لكنك لن تكون بخير إذا التهبت ذراعك».

نظر كاو إلى بقايا عشه الحبيب المحطمة.

فقال له جوني مواسياً: «نستطيع ترميمه. المهم أن أحداً لم يتأذَّ بشكل بالغ».

أومأ كاو برأسه. كان هذا المكان ملاذه، وها قد تحول الآن

أقرأناكموه

إلى خشب فاحم.

قال كرامب وهو يلمس كتف كاو: «علينا دخول المنزل».

فقال كاو: «امنحني دقيقة فقط».

توجّه الآخرون إلى الداخل، فانتظر كاو حتى أصبح بمفرده، ثم أومأ إلى سكريتش. عرف الغراب ما يجدر به فعله، فحلّق مرتفعاً نحو الأغصان الميتة؛ إلى الأعلى حيث كان العش سابقاً. وبعد قليل، قال له مطمئناً: لا تقلق. إنه بخير.

ثم عاد سكريتش إلى كاو مجدداً، حاملاً حجر منتصف الليل من الحبل الذي رُبط به. اللافت أن الحجر لم يتضرر البتة، إذ كان محمياً جيداً. علّقه كاو حول عنقه، وأدار ظهره للدخان المتصاعد من الحطام.

حاول إقناع نفسه بأن هذا الهجوم على منزل الشجرة الخاص به مجرد صدفة. وأنه لا علاقة له أبداً بالرجل الدوام وبما رآه في مستشفى الأمراض النفسية. إن أعداءهم- السيد سيلك على الأقل- يعرفون موقع منزله، ولا بد أن يهاجموه في مرحلة ما. لكن، لمَ تمّ تدمير العش بدلاً من مهاجمة الخارقين في المنزل؟ فليست للأمر أي قيمة... إلا بالنسبة إلى كاو.

تذكر فجأة كلمات الرجل الدوام. سآخذ كل شيء منك... كل ما تملكه يا عزيزي.

وأدرك كاو أنها مجرد البداية.

عندما وصلت السيدة ستريكهام مع ليديا إلى منزل كاو، كان

جوني فايفتايلز يثبّت ضمادة من الشاش على ذراع كاو المصابة.

سألت والدة ليديا: «ماذا حصل؟ يبدو أن حريقاً قد اندلع هنا».

قالت ليديا: «كاو، هل أنت بخير؟». فيما أسرعت إليه.

فأجاب كاو: « إنه مجرد حرق صغير. أنا بخير الآن».

كانت ذراعه لا تزال تؤلمه، لكنّ هذا الألم غير مهم البتة مقارنة مع الأفكار التي تدور في رأسه.

قال راكلن: «علينا الردّ على الهجوم». وكان جالساً مع بقية الخارقين في أرجاء غرفة الجلوس. كانت الساعة تشير إلى الرابعة فجراً، ولكنّ أحداً لم ينم. «بيب، هل سمعت فئرانك عن أي شيء آخر في المدينة؟».

قال رجل نحيل يضع حيوان راكون على حضنه: «لسنا بأمان هنا». عندها، بدأ العديد من الخارقين الآخرين يتحدثون بعصبية وهم يؤيّدونه الرأي.

نظر كاو إلى السيدة ستريكهام، فكشفت له الهالتان حول عينيها عن تعبها، وتساءل إن كانت قد نامت الليلة. ونظراً إلى الانقباض الشديد في فكها والعبوس البادي على جبينها، أدرك كاو أن ليديا قد أخبرتها عن العناكب في مستشفى الأمراض النفسية فقال: «إنها أفعال الرجل الدوام».

لفظ الكلمات ببطء كما لو أنه يتحدث إلى نفسه، غير أن الجميع صمتوا ما إن سمعوا كلامه. عندها، وضع كرامب يده على كتف كاو قائلاً له: «اسمع يا كاو، لقد واجهتَ وقتاً صعباً، لكن...»

فقاطعه كاو: «لقد عاد. وقد التقيته، أعني التقيناه– وأشار إلى

أقرأناكموه

نفسه وإلى ليديا- الليلة في مستشفى الأمراض النفسية في بلاكستون».

فجأة، ضجّت الغرفة بالكلام، وأصدرت الحيوانات أصواتاً عالية فيما صرخ الخارقون ذعراً.

عندها، قالت له السيدة ستريكهام: «أعتقد أنه من الأفضل أن تشرح لنا الأمور... منذ البداية».

أحسّ كاو بأن جميع من في الغرفة قد استداروا إليه. لم يكن يعرف العديدين منهم؛ فهم جدد، وكانوا قد خرجوا من مخابئهم أو عادوا إلى بلاكستون على أساس أن زيادة الأمان ستتحقق بازدياد الأعداد. وها هو الآن يخبرهم بأن التهديدات القديمة قد عادت مجدداً. شرح لهم سبب ذهابه مع ليديا لرؤية أم الذبابات، ووصف لهم الحال التعيسة التي وصلت إليها. حاول إخبارهم عن الوجه الذي تشكل من العناكب، وأن الرجل الدوام قد خطف سيلينا، ولكنه كافح لإيجاد الكلمات المناسبة.

قال كرامب: «كاو، هل أنت واثق فعلاً؟ حسناً... يبدو الأمر مخيفاً جداً هناك. ربما خدعك عقلك...»

فقاطعته ليديا: «لقد رأيته أنا أيضاً. كان هو. الرجل الدوام».

عندها قال بيب بصوت هادئ: « إذاً، لا بد أنه من تحدّث عنه السيد سيلك حين ذكر «الأوامر». عرفت أنه لن يسمح أبداً لأحد المجرمين بالسيطرة عليه».

وقال آلي خارق النحل الذي ارتدى بذلة مرتبة جداً، وأرخى ربطة عنقه، وفكّ زر قميصه العلوي: «لكن، كيف يعقل ذلك؟!». وكانت بقع سوداء قد ظهرت على قميصه الأبيض بسبب الدخان.

أقرأناكموه

«فقد أخبرتنا أنك هزمته في أرض الموتى».

استطاع كاو سماع نبرة الاتهام في صوت آلي، ورأى أن العديد من الخارقين الآخرين أومأوا برؤوسهم دليل الموافقة على كلامه. حتى إن امرأة ذات شعر برتقالي اللون كانت تداعب عظاءة من تحت ذقنها قالت بغموض: «نعم، هذا ما قاله. لكن الأمور ربما لم تحصل على ذلك النحو».

عندها قال كاو: «لقد هزمته! على الأقل... اعتقدت أنني هزمته». وحين حدقوا إليه جميعاً، أُجبر على خفض عينيه. «اسمعوا، لا أفهم ما الذي يحصل، ولكنها معركتي. فهو يريد أن يعاقبني أنا».

فقال بيب: «ونحن سنقف معك».

قال خارق الراكون: «هه... هل تعتقد أنه سيتوقف عندك؟ جميعنا في خطر، وخصوصاً إذا جعل السيد سيلك والمجرمين الآخرين يعملون لصالحه. علينا أن نهرب الآن، فيما الفرصة لا تزال سانحة».

فجأة، وقف جوني فايفتايلز وقال: «ليس بهذه السرعة. أنت محق يا بابلو، فنحن في خطر. ولهذا السبب علينا الوقوف مع كاو والقتال إلى جانبه».

عندها، تحسنت معنويات كاو قليلاً.

غير أن خارق الراكون قال معترضاً: «أتعني في محاربة الرجل الدوام؟! أنت مجنون يا جوني. قد تكون جندياً محارباً، ولكنني لست كذلك. فأنا فقط أريد العيش بسلام».

أما راكلن فقال: «أنا أوافق جوني الرأي. فإما أن نحارب جميعنا

أقرأناكموه

معاً، أو نموت كلنا معاً».

عندها، قال تشين خارق الخفافيش: «تبدو مثل والدة كاو، ولكن انظر إلى ما حلّ بها».

فصرخ جوني فايفتايلز: «انتبه إلى ما تقوله عن ليزي كارميكايل!». وتوجّه نحو خارق الخفافيش مطبقاً قبضتَي يديه من شدة الغضب وتابع: «لقد ماتت كي يحيا الآخرون».

قفز ذئب من خلف السلالم ووقف بين جوني وتشين مزمجراً.

فقال راكلن: «اهدأوا جميعاً، فلن ينفعنا الشجار مع بعضنا».

فما كان من جوني إلا أن تراجع إلى الخلف، وقد اختفى الغضب من وجهه بسرعة. وفرح كاو لأن شخصاً ما دافع عن أمه.

سأل آلي: «الآن، ما الذي يجب علينا فعله؟ إذ قد يهاجموننا في أية لحظة. وفي المرة التالية، قد تهاجمنا مجموعة كاملة من النسور التي تحمل قنابل».

فقالت السيدة ستريكهام والنار متقدة في عينيها: «سنهاجمهم أولاً». وكانت والدة ليديا قد أرسلت الرجل الدوام إلى أرض الموتى في المرة الأولى، ولذلك كانت تعتبر المسألة شخصية بالنسبة إليها.

طقطق راكلن أصابعه، ثم مرر إحدى يديه على فرو ذئبه قائلاً: «لقد أعجبتني الفكرة. لكن، أين سنهاجمهم؟ أنفعل ذلك في المصح العقلي؟! هذا مستحيل، فالمكان يعجّ برجال الشرطة».

عندها، هزّ كاو رأسه قائلاً: «لا، إنه ليس هناك. فأنا لا أعتقد أننا رأيناه هو بالضبط، بل رأينا عناكبه فقط».

فقال جوني فايفتايلز: «كان في السابق يدير أعماله من مصنع

أقرأناكموه

الخياطة، أليس كذلك؟».

أومأ راكلن برأسه إيجاباً ثم قال: «تلك المساحة من المدينة مهجورة تماماً».

وقالت السيدة ستريكهام: «يبدو لي الاحتمال بعيداً. فهو يعرف أنه أول مكان سنبحث فيه».

أضاف كرامب: «هذا يعني أنه متفوق علينا، وأنه في انتظارنا. أستطيع إرسال بعض طيور الحمام للتحقق من الوضع».

فقال جوني : «تفكير جيد».

تذكّر كاو مصنع الخياطة المريع حيث التقى مامبا وسكاتل؛ مساعدَي الرجل الدوام. لم يحب فكرة العودة إلى هناك، غير أنه هذه المرة يوجد العديد من الخارقين الآخرين معه.

قال بيب: «وأنا أستطيع إرسال بعض الفئران لاستدعاء الخارقين الآخرين غير المتواجدين معنا، إذ يجب أن يكون الجميع هنا».

فابتسم جوني فايفتايلز ابتسامة عريضة وقال: «نعم. أستطيع فعل ذلك بسرعة». وسحب هاتفاً من جيبه، فلاحظ كاو أن بيب قد تورّد خجلاً.

قالت السيدة ستريكهام: «حتى لو لم نعثر على الرجل الدوام، فبإمكاننا القضاء على المجرمين».

ووقف الجميع.

قال كاو: «انتظروا قليلاً. ماذا عن سيلينا؟ إذا كانت مع الرجل الدوام، فعلينا توخي الحذر لعدم تعريضها للأذى».

فقال جوني: «إنها ابنة أم الذبابات، أليس كذلك؟».

أقرأناكموه

أجاب كاو: «نعم. لكنها ليست مثل أمها».

وقال راكلن: «لقد خدعتنا من قبل؛ إذ قادتنا إلى فخ في حديقة الحيوانات».

غير أن كاو دافع عنها قائلاً: «لم تكن تلك غلطتها. فهي إنسانة طيبة القلب... وقد خدعتها أمها».

أجاب راكلن ببرودة: «هذا رأيك».

عندها، ربّت جوني على ظهر كاو قائلاً: «طبعاً يا كاو. حسناً، اسمعوني جميعاً. أولويتنا هي القضاء على الرجل الدوام. ولكن، إن رأينا الفتاة فسنختطفها. هل اتفقنا؟».

أومأ معظم من في الغرفة برؤوسهم، وتمتموا موافقين.

وفيما بدأ الخارقون يتفرقون، اقترب كرامب من كاو وقال له: «لم يكن يجدر بك الذهاب إلى المصح العقلي بمفردك. لماذا لم توقظني؟».

فأجاب كاو وهو ينظر بعيداً: «لم أعتقد أن الأمر سيكون خطيراً هكذا». لكنّ السبب الحقيقي الذي منعه من الاستعانة بكرامب هو معرفته أن هذا الأخير لا يهتم لأمر سيلينا، ولا بد أنه كان سيمنعه من الذهاب.

فقالت السيدة ستريكهام التي كانت تقف مباشرة خلف كاو: «لم يذهب بمفرده بل أخذ معه ابنتي، وكاد يتسبب في قتلها أيضاً».

عندها قالت ليديا: «لم نكن نتوقع ما حصل. على أية حال، كنت تتشاجرين مع أبي كالعادة، ولم أشأ مقاطعتكما».

بدا الألم على وجه السيدة ستريكهام، غير أنها قالت بهدوء:

أقرأناكموه

«كنا نتشاجر لأنه يعتقد أن الخارقين يعرّضونك للخطر. ولو تعرّضت لـلأذى، لتأكـدت نظريتـه. لذا، أريد منك الآن أن تعودي إلى المنزل يا ليديا. فقد فعلت أكثر مما يكفي لليلة واحدة».

فأجابت ليديا بهدوء: «لا. هل تعتقدين أنني سـأكون أكثر أماناً في المنزل؟ فهم يعرفون أين نعيش يا ماما».

وقال كرامب مؤيداً كلامها: «إنها محقة».

عندهـا، اسـتدارت السـيدة سـتريكهام إليـه بغضـب وقالت له: «شكراً لك على نصيحتك يا كرامب».

فقال راكلن: «سأبقي عينيّ عليها. حين نصل إلى المصنع، لن يتركها تيتوس أبداً».

اقتـرب ذئـب وحيـد منهم، وكان رأسـه عاليـاً ويصل إلى كتف ليديا تقريباً.

فتنهدت السيدة ستريكهام مستسلمة للأمر الواقع وقالت: «لكن فور حصول أية مشكلة...»

عندها، عوى الذئب بصوت عالٍ.

فـي تلـك اللحظـة، وقـف جونـي فايفتايلـز عنـد البـاب وقال: «أحضرنا سيارة تشين وفيلما. من يملك عربة أيضاً؟».

فرفع آلي يده.

وقال رجل يقف ابن عرس على كتفه: «وأنا أيضاً».

فيما قال كاو: «أنا سأطير، وتستطيع غرباني نقل ليديا أيضاً».

عندها، أومأ جوني فايفتايلز برأسه، وبدت ملامح الجدية على وجهه، ثم قال: «حسناً. سننتظر حتى تؤكد لنا الطيور أن الموقع هو

أقرأناكموه

فعلاً مصنع الخياطة، ثم سنهاجمهم عند الفجر».

7

قالت ليديا فيما حلّقت قرب كاو مع بزوغ الفجر: «لم أعتقد يوماً أننا سنعود إلى هنا. يشعرني هذا المكان بالخوف».

كان كرامب قد أخبر كاو أن المنطقة الصناعية في بلاكستون كانت تعرف بمحرك المدينة؛ إذ كان العمال فيها يتناوبون على العمل لمدة أربع وعشرين ساعة يومياً، وذلك قبل زمن من تشييد المنطقة المالية. لكن بلاكستون لم تعد تصنع أي شيء؛ فالمباني الحجرية القديمة انهارت ببطء، وكشف معظمها عن نوافذ مكسورة وسطوح متصدعة ومداخن محطمة. أما الشوارع المرصوفة بالحصى الممتدة بينها فلم تعد تنظف قط، وباتت الجرذان تملأها أكثر من البشر.

وجّه كاو غربانه إلى الطابق الثاني من مرأب سيارات متعدد الطبقات على مسافة قريبة جداً من مصنع الخياطة. فدخلت الغربان المرأب، وحطّت على مساحة فارغة في الداخل. وحين لوّح كاو بيده، انطلقت الغربان مجدداً باستثناء شيمر وسكريتش وغلام.

قالت ليديا وهي تلف ذراعيها حول جسدها بسبب البرد: «هل تظن أننا سنجده؟». وتردد صدى صوتها في مرأب السيارات المهجور. «أتعنين الرجل الدوام؟».

كان كاو يتساءل عن الأمر نفسه عندما حملته غربانه فوق المدينة. «رأت حمامات كرامب المجرمين داخل المصنع».

قالت ليديا: «أعرف. لكن، ماذا عنه؟».

أقرأناكموه

صوت العجلات جعل الغربان تخفق بأجنحتها، غير أن الصوت في الواقع كان صادراً عن سيارة راكلن رباعية الدفع التي كانت قادمة من الطابق السفلي، وتتقدم موكباً من السيارات الأخرى. ما إن توقفت السيارة رباعية الدفع، حتى حطّت عدة حمامات على غطاء المحرك.

سأل خارق الذئاب كرامب وهو يخرج من سيارته: «هل أنت واثق من أن مصنع الخياطة هو المكان الصحيح؟».

فأجاب كرامب فيما نزل من الجهة الأخرى: «المكان ليس خالياً. أؤكد لك ذلك».

عندها، سأل سكريتش كاو: هل تريد رأياً آخر؟ إذ لا يمكن الوثوق كثيراً في طيور الحمام.

أجاب كاو: «لا. اصمت». وشعر بالقليل من الاطمئنان لأن غربانه الثلاثة معه.

باشر جوني في إعطاء التعليمات ما إن نزل من سيارة السيدة ستريكهام. إذ أراد أن ينقسم الخارقون إلى مجموعتين؛ واحدة ستتوجه إلى الطابق الأرضي بقيادة السيدة ستريكهام وراكلن، فيما ستتوجه الأخرى إلى الطابق العلوي، بالقرب من الهواء.

وقال: «سأقود المجموعة الثانية».

فقال كرامب: «أنا من سيقودها؛ فذئاب القيوط الخاصة بك ستكون على الأرض».

عندها قال جوني: «شكراً لك يا كرامب. لكن حيواناتي لن تكون بعيدة عني، صدقني».

بدأ كرامب بالقول: «لكن...»

غير أن راكلن قاطعه قائلاً: «انسَ الأمر يا كرامب. فجوني يدرك جيّداً ما يقوله».

تورد وجه كرامب خجلاً، ولم يقل أي شيء آخر.

قال كاو: «ماذا عني؟».

فأومأ جوني برأسه قائلاً له: «ستكون مساعدي. وبالإضافة إلى ذلك، أنا لا أعرف شكل تلك الفتاة سيلينا. لذا، عليك أن تدلني عليها».

قال كرامب: «إذا كانت موجودة هنا».

وبدأ غلام يقول: وإذا كانت لا تزال...

غير أنّ شيمر قاطعته قائلة: شششش... لا تصغِ إليه يا كاو.

فقال كاو محاولاً الابتسام: «أنا لا أفعل أبداً». غير أنه عرف أن مخاوف غلام قد تكون صحيحة. فبعد أن تؤدي سيلينا واجبها- أياً يكن- لن يتردد الرجل الدوام في قتلها.

فجأة، لمع البرق في السماء شرقاً فوق المنطقة المالية، وتحقق جوني من ساعته، ثم قال: «حسناً، هل الجميع جاهزين؟».

وفيما بدأ الخارقون المجتمعون يومئون برؤوسهم، توقفت دراجة نارية في المرأب، وترجّل منها سائق يرتدي سترة جلدية. رفع السائق الخوذة عن رأسه، فابتسم كاو ابتسامة عريضة حين رأى مادلين التي راحت تهزّ شعرها الأسود بعد أن حررته من الخوذة، ثم فتحت صندوقاً في الجهة الخلفية من الدراجة، فقفزت نصف دزينة من السناجب على الإسمنت.

حملت عصاها، وتقدمت نحوهم بخطوات عرجاء. وحين اقتربت منهم، فتحت ذراعيها على وسعهما، وابتسمت ابتسامة عريضة جداً. لاحظ كاو أن كرامب قد ابتسم لها، غير أنها مرّت من أمامه وعانقت جوني فايفتايلز وقبّلته على كلتا وجنتيه.

فقال جوني مستغرباً: «مادي! لم أظن أنك ستأتين!».

فردّت عليه قائلة: «أنت تعرفني جيداً. لا أفوّت أبداً موعداً كهذا».

عندها، تنحنح كرامب ثم قال: «مرحباً مادلين». ولوّح لها بخجل.

بدا له وكأنها لاحظته للمرة الأولى، وأصبح وجهها جدياً فجأة. ثم وضعت ذراعها على عكازها، وأمسكت يديه بكلتا يديها قائلة: «مرحباً ساموبل. عذراً لأنني لم أتواصل معك».

فنظر إلى وجهها وابتسم قائلاً: «أنا آسف أيضاً. أردت الاتصال بك... لكنني لم أعرف إذا كنت...» ونظر إلى الأعلى ثم إلى الأسفل قبل أن يتابع: «أنا مسرور جداً لأنك تسيرين مجدداً».

فقالت: «كان مشواراً طويلاً... فقد تطلب الأمر الكثير من العلاجات. لكنني لا أعرف إذا كنت سأتخلص من العكاز يوماً». وصمتت قليلاً ثم أضافت: «لكنّ رؤيتك ورؤية الخارقين الآخرين منحتني سبباً للاستمرار في المحاولة».

قال جوني: «حسناً، سيكون لدينا وقت للتكلم لاحقاً. مادي، ستكونين مع فيلما والقوى الأرضية. تذكري سبب وجودنا هنا؛ نحن هنا لنعثر على خارق العناكب».

أقرأناكموه

سأل آلي: «وماذا سنفعل بعد ذلك؟».

فأجاب فايفتايلز ببرودة: «سنقتله».

أومأ الجميع برؤوسهم، ووجد كاو نفسه يومئ برأسه مثلهم. لكن ليديا كانت عابسة؛ ربما تذكرت الشكل العنكبوتي في مستشفى الأمراض العقلية، وكيف طعنه كاو بسيفه في صدره. حتى لو كان الرجل الدوام هنا، فقد لا يكون قتله سهلاً مثلما يظن جوني؛ فهل يملك أصلاً جسماً ليتمكنوا من قتله؟

كان كاو على وشك قول شيء ما، غير أن المجموعة بدأت تنفصل. قادت السيدة ستريكهام فريقها إلى الطابق الأرضي، فلحقت بهم دزينة من الثعالب، بالإضافة إلى سناجب مادلين، ومجموعة من الكلاب والراكون، وبعض العظاءات.

قالت ليديا: «حظاً موفقاً». قبل أن تلحق بأمها برفقة ذئب راكلن.

قال كرامب فيما ركض خارق الفئران للانضمام إلى الآخرين: «توخَّ الحذر يا بيب».

وقال جوني: «هيّا بنا». ثم صعد على الدرابزين عند حافة مرأب السيارات، وقفز إلى سطح المبنى المجاور برشاقة واضحة، فقفز كاو خلفه، وأحسّ أن بقية غربانه تحلق فوقه. أما كرامب، فقد استخدم طيور الحمام لتنقله مع آلي إلى الأعلى. في حين أن خارقة ببغاوات البرّكيت المدعوة زيا هبطت بطريقة خرقاء نوعاً ما بعدما حاولت طيورها إنزالها برفق، وقالت: «لقد مضى زمن طويل».

لم يكن كاو قد شارك في الصيف المشؤوم، ولكنه تساءل عما إذا كانت الأجواء هكذا في ذلك الحين؛ إذ ثمة جيش من الخارقين

أقرأناكموه

يزحف في اتجاه أعدائه. جلسوا جميعاً القرفصاء، وتحركوا برشاقة فوق السطح، ثم توقفوا في الطرف البعيد، ورأى كاو ثلاثة ذئاب قيوط تتحرك تحتهم، فيما سُمع صوت طنين صادر من الأعلى نتيجة تحليق مجموعة من النحلات في الهواء. عندها، رفع جوني يده وأشار بصمت إلى معمل الخياطة، فخفق قلب كاو بقوة.

بدا المبنى متصدعاً أكثر ممّا كان عليه في المرة السابقة. وكان عبارة عن مستودع من طبقتين، مع قبو تحته، وهناك نافذة واحدة غير مكسورة في الطابق الثاني، فيما بعض النوافذ متصدعة، وبعضها الآخر غير موجود أساساً. لن تكون هناك مشكلة في دخول المبنى.

أشار جوني إلى إحدى النوافذ، وحاكى حركة الطيران. فاستدعى كاو وزيا وكرامب كل الطيور القريبة، وخلال ثوانٍ قليلة، انتقل الخارقون الذين كانوا على السطح إلى الداخل.

أخذ كاو نفساً عميقاً. كانوا في مكتب قديم ذي رفوف مائلة، وطاولات مغطاة بالأوراق المبعثرة، وكان ثمة باب يفضي إلى رواق. خفق قلب كاو بقوة عندما لمح شكلاً يراقبهم، غير أنه أدرك أن ما رآه مجرد عارضة بلاستيكية مغطاة بقطع قماشية.

تذكّر الردهة الكبيرة الموجودة في الطابق السفلي، والتي تحتوي على مئات آلات الخياطة المثبتة بترتيب على طاولات. لكنّ الغرف في هذا الطابق موزعة على شكل مكاتب، وهناك المزيد من العارضات البلاستيكية في المكتب، بالإضافة إلى الكتب والأقمشة، ورسوم لتصاميم ملابس. رأى كاو لوحة زيتية داكنة لرجل ذي لحية معلقة على الجدار، فتساءل عمّا إذا كان هذا الرجل صاحب المكان،

وعمّا سيكون رأيه فيه الآن. إذ بدا وكأن إعصاراً قد ضرب هذا المكان. تقدّم كاو من الباب برشاقة، فطقطقت الأرضية تحته.

فاحت رائحة كريهة في الهواء، وبدت كما لو أنها صادرة عن روث الحيوانات. ثمة أرائك جلدية مع بطانيات فوقها. رفع آلي نسخة من جريدة بلاكستون هيرالد ثم قال: «إنها جريدة البارحة».

وفيما خرج كاو من الباب، لاحظ آثار مخالب على الإطار. اصطفت غربانه في الرواق.

فرقع جوني بأصابعه، وأشار إلى اتجاهات مختلفة، طالباً منهم التوزع وتفتيش الطابق العلوي. فتفرق الخارقون وتوزعوا. زحف كاو في الرواق وقد أحس بتوتر كبير، فوجد في غرفة خلفية خريطة لبلاكستون معلقة على لوح، وقد خُربِش عليها بقلم ملون. نظر إليها عن كثب، فرأى دائرة حول منزله، كما رأى دائرة أيضاً حول مستشفى الأمراض النفسية، وأخرى حول منزل ليديا. فضلاً عن دوائر أخرى أيضاً ربما كانت تشير إلى بعض الأماكن التي سرقها المجرمون، أو إلى منازل خارقين آخرين وأماكن عملهم، فارتعد كاو خوفاً. إنها عصابة إجرامية منظمة ومن دون شفقة.

تمتم: «لا شك في أن هذا هو المكان». وفي تلك اللحظة، ظهر جوني قربه.

أطبق جوني فكّيه من شدة الغضب، ثم قال: «هاي، انظر إلى ما وجدته».

فلحق به كاو إلى نهاية رواق آخر، حيث يوجد مصعد قديم ذو باب فولاذي مفصّل. قال جوني: «هذا المصعد يقودنا إلى الطابق

السفلي. أراهن على أنهم لا يتوقعون هجوماً من الأسفل».

سأله كاو: «ألن يسمعونا ونحن ننزل إلى الأسفل؟».

فأجاب جوني: «لن يسمعوا أي صوت إذا انزلقنا على عمود المصعد. هل يمكنك فعل ذلك؟».

نظر كاو عبر الفجوات في المصعد الفولاذي، فرأى عموداً رفيعاً يمتدّ نحو الأسفل، مع كابلات سميكة في وسطه، وأنابيب حول جوانبه، كما لاحظ وجود سلم صيانة صدئ مثبت على الجدار.

فقال: «حسناً». وشعر ببعض الإثارة.

فتح جوني باب المصعد بصعوبة، فيما ظهر كل من زيا وكرامب وآلي في الطرف البعيد من الرواق. قال جوني: «انزلوا على السلالم الرئيسة».

غير أنّ كرامب قطّب جبينه قائلاً: «هل أنت واثق من...»

إلا أن عواء قوياً صادراً من مكان ما في الأسفل جعله يسكت، تبعه نباح متتابع، فتشبث جوني بالسلم المثبت على الجدار قائلاً: «هيّا اذهبوا. حظاً موفقاً».

انطلق كرامب وآلي وزيا مع حيواناتهم بسرعة كبيرة. وكان جوني متشبثاً بالعمود الحديدي حين وضع كاو قدمه على أولى درجات السلم. فجأة، سمع في الأسفل صوت إطلاق نار، وصوت رصاصة مرتدة، وبعدها سمع المزيد من أصوات الحيوانات. نزلت غربانه معه، وقفزت من أنبوب إلى أنبوب.

نزل كاو وجوني بسرعة، وعندما وصلا إلى الطابق الأرضي، رأى كاو من حيث يقف قرب باب المصعد فوضى كبيرة. إذ بدأ

الخارقون يخوضون معركة وحشية ضد بعضهم بمساعدة حيواناتهم. مرّ سرب من العث وحطّ على وجه مادلين، فحجب عنها الرؤية. عندها، حاولت إبعاد الحشرات عنها فيما قفزت سناجبها مذعورة. أما السيد سيلك فكان واقفاً على طاولة وقد رفع ذراعيه إلى الأعلى، ولكنه صرخ عالياً عندما زحف سنجاب على ظهره وغرز أسنانه في عنقه، فيما انقضت مجموعة من الثعالب على ظهر كوجر كان يحاول الهجوم عليها. أما ليديا فقد اختبأت مع بيب وراء أحد ذئاب راكلن، فيما تعارك راكلن نفسه مع لوغمان، ونجح في الإمساك بذراع المجرم ورميه فوق مجموعة من الطاولات محطماً عدداً من آلات الخياطة على الأرض. ثم رفع لوغمان إحدى آلات الخياطة ورماها على خارق الذئاب الذي تفاداها قبل أن ينقض على المجرم مجدداً. وهجمت القرود على السناجب، فيما حلق نسر في الغرفة على علو منخفض، ممسكاً براكون راح يصرخ بين مخالبه.

قال كاو: «علينا مساعدتهم».

فقال جوني: «لا». ونظر إلى ما يحصل في مسرح المعركة بسرعة، ثم بدأ ينزلق على العمود نزولاً وهو يقول: «الرجل الدوام ليس هنا. علينا الاستمرار في النزول».

ظهر آلي من باب جانبي، وتدفقت النحلات الغاضبة داخل الغرفة، فيما حلقت ببغاوات البرّكيت في الهواء مثل انفجار ألوان. لمح كاو السيدة ستريكهام تمشي في الغرفة. كانت ذراعها تنزف دماً بعد أن هاجمها كلب شرير. ولكنها أمسكته من حنجرته وأوقعته أرضاً. فجأة، رأى كاو مجرماً نحيلاً يحمل قضيباً معدنياً ويقترب

أقرأناكموه

منهـا مـن دون أن تنتبـه، فأدرك أن عليه القيام بشـيء ما لمسـاعدتها. لذا، حرّك يده، وأرسل مجموعة من الغربان عبر بوابة المصعد، فيما رفع الرجل النحيل القضيب المعدني فوق رأس والدة ليديا موشكاً علـى ضربهـا. غير أنه سـرعان مـا انقضت الغربان على وجه المجرم بمناقيرها ومخالبها، فوقع إلى الخلف، وأفلت سلاحه.

قال جوني من الأسفل: «هيّا يا كاو!».

نظر كاو إلى ساحة المعركة للمرة الأخيرة، فرأى ليديا تتحرك بيـن الطـاولات، فيمـا كان ذئـب راكلـن مشـغولاً بإبعـاد المزيد من الـكلاب. لقـد اختفـى بيـب، لكـن طيـور الحمام بدأت تشـارك في المعركة أيضاً؛ فقد أمسكت بأحد المجرمين من ساقيه وحاولت رفعه إلى الأعلى، فيما تشبث المجرم بحافة الطاولة بكلتا يديه.

قال كاو: «سكريتش، شيمر، انتبها إلى ليديا».

فطـار الغرابـان إلـى الطابـق الأرضـي، فيما لحـق كاو بجوني، واحتفظ ببعض غربانه معه.

وصـلا أخيـراً إلى أسـفل حجرة المصعد، ثـم خرجا إلى رواق معتم. عندها، وقف كاو هناك قليلاً محاولاً التقاط أي صوت، فيما نظر جوني إلى الاتجاهين ثم همس: «لا تقلق. ستكون ذئاب القيوط معنا قريباً».

ومدّ يده تحت سترته الجلدية وأخرج مسدساً.

فسأله كاو: «ولمَ هذا؟».

فأجاب جوني: «ما رأيك؟ لن أجازف مع خارق العناكب».

لم يكن كاو قد استكشف هذه المساحة جيداً في آخر مرة جاء

فيها إلى هنا، ولكنه تذكّر غرفة المستودع الكبيرة التي عبرت منها ليديا إلى أرض الموتى. هل عاد الرجل الدوام من هنا؟

كان المكان صامتاً، ولكن كاو أحسّ بأنهما يخضعان للمراقبة. وفيما انعطفا عند إحدى الزوايا، شاهد شباك عناكب؛ إذ كانت المئات منها ممتدة في الرواق على شكل طبقات سميكة. عندها، أحس كاو بذعر شديد.

قال جوني فايفتايلز: «إنه قريب». جاءت خلفهما مجموعة من أربعة ذئاب قيوط، فأحس كاو ببعض الارتياح لدى رؤيته إياها، وسأل جوني : «كيف وصلت إلى هنا؟».

فابتسم جوني ابتسامة عريضة وأجاب: «ذئاب القيوط كائنات محتالة. دعنا نتحقق من بعض الغرف. نادني إذا وجدت أي شيء». وانطلق قبل أن يتمكن كاو من الإجابة. تساءل كاو في سره: هل يجدر بنا فعلاً الانفصال هنا؟ لكنّ الأوان كان قد فات على المناقشة.

وبالرغم من كثرة شباك العناكب، لم يرَ كاو عنكبوتاً واحداً في أي مكان. دفع يده عبر الخيوط الحريرية وحاول إزاحتها، لكن الشباك التفت حول ذراعه، وتشبّثت ببشرته بقوة. عندها، سحب منقار الغراب من غمده وقطع الخيوط. وتوجّب على غربانه القفز على الأرض للحؤول دون وقوعها في شباك العناكب.

قال غلام وهو يلتصق بكاو: لا أحب هذا. ماذا لو كان فخاً؟

فهمس كاو: «سنكتشف الأمر قريباً». ولكن، مع كل خطوة كان يخطوها، أمره قلبه بالهرب.

سمع صوت خفقان أجنحة خلفه، فعرف أن سكريتش وشيمر

أقرأناكموه

قد وصلا من الأعلى.

قال كاو: «طلبت منكما البقاء مع ليديا».

فردّ عليه سكريتش: يوجد معها ذئب. أنت بحاجة إلينا أكثر.

وقالت شيمر: سوف نربح هذه المعركة على أية حال. ولكن، لا أثر للرجل الدوام.

في تلك اللحظة، أصغى كاو السمع بانتباه؛ إذ سمع صوتاً خفيفاً إلى يمينه. وعندما اقترب أكثر، رأى باباً في العتمة.

قال أحد ما من الداخل: «ساعدوني! من يوجد هنا؟ أرجوكم».

كان الصوت مكتوماً، لكن كاو عرف صاحبته فوراً، فخفق قلبه بقوة.

إنها سيلينا!

أمر غربانه: «استعدي». وأمسك بمقبض الباب وحاول برمه، لكن الباب كان مقفلاً.

قال سكريتش: ادفعه بقوة.

فيما صرخت سيلينا: «أرجوكم! أخرجوني من هنا!».

ضرب كاو القفل بحذائه بقوة ففتح الباب. كانت الغرفة مماثلة لتلك التي علق فيها مع كرامب؛ محترف أشغال. وقد احتوت الغرفة على آلات خياطة مكسورة ومبعثرة على الطاولات، ومصابيح ضوئية على مقاعد خشبية، بالإضافة إلى مجموعة من الأدوات. لمح شكلاً جالساً القرفصاء في زاوية بعيدة، وقد أدار وجهه. إنها سيلينا، وهي على ما يبدو ترتدي ثياباً رثة، وشعرها مغلف بشيء أبيض. وظن كاو أنه دقيق أو غبار ربما.

بدت خائفة من إدارة وجهها، فقال لها برفق: «سيلينا».

كانت ترتجف، فلم يستطع كاو تحمل التفكير في ما حصل معها منذ أن اختطفت من المستشفى. إذا أذاها الرجل الدوام...

غير أنه تجاهل أفكاره وقال: «لا بأس. أنا هنا الآن. سوف نخرجك من هنا».

قالت: «أين هو؟ لن يسمح لي بالمغادرة».

قال كاو: «لا أعرف. لكننا نستطيع الفرار... إذا ذهبنا الآن».

ثم اجتاز الغرفة، وجلس القرفصاء قربها. كانت سيلينا متقوقعة على نفسها مثل كرة، كما لو أنها خائفة منه. وكانت ملابسها- وهي «البيجاما» التي ألبسوها إياها في المستشفى- ممزقة ومتسخة بالغبار. وعندما وضع يده على كتفها، توقفت الرجفة وتجمدت في مكانها. أدرك كاو أن شعر سيلينا لم يكن مغطى بأي شيء على الإطلاق، بل بدا كما لو أنه مصبوغ.

فقال: «هيّا. هذا أنا صديقك كاو».

إلا أن الصوت الذي خرج من حنجرتها لم يكن متوقعاً البتة... فقد سمع ضحكة ناعمة وخفيفة ومريعة؛ ليست ضحكة سيلينا أبداً.

ثم قال صوت بنبرة خالية من العاطفة: «أعرف من تكون. وعرفتُ أنك ستأتي».

عندها، وقف كاو على قدميه بسرعة.

مدّدت سيلينا جسمها ببطء، ووقفت بحركة رشيقة لا تبدو بشرية إطلاقاً، ثم مدّت ذراعيها إلى جانبيها. كان شعرها أبيض تماماً، ووجهها شاحباً جداً. لكنّ عينيها اللتين كانتا باللون الأسود الحالك

أقرأناكموه

بدتا مثل حجرين مصقولين. مضى على وجودها في المستشفى أسبوعين فقط، لكن أظفارها ازداد طولها إنشات عدة وباتت مستدقة، ما جعل يديها اللتين أسدلتهما إلى جانبيها تبدوان طويلتين جداً.

قال كاو مستغرباً: «سيلينا!».

فردّ عليه الصوت ببرودة: «هذا الاسم لا يعني أي شيء بالنسبة إلى هذا الجسم. فالجسم مجرّد وسيلة بالنسبة إلي».

كان الصوت لا يزال صوت فتاة، غير أن الكلمات تخص شخصاً مختلفاً تماماً. فجأة، جفّت حنجرة كاو فيما حاول استيعاب ما يحصل.

وأخيراً قال: «هذا أنت».

لم يتحرك الشكل، لكن شعر سيلينا تحرك، وخرجت منه عنكبوت طويلة الأرجل. مشت العنكبوت بسرعة على جبين سيلينا قبل أن تختفي مجدداً. عندها، قال كاو: «ماذا فعلت بها؟».

فقال الصوت: «أنا الأرملة البيضاء».

وسرعان ما ظهر المزيد من العناكب التي تدفّقت من تحت المقاعد الخشبية، واحتشدت حول قدمَي سيلينا على شكل دائرة مثالية.

رفع كاو منقار الغراب يائساً وقال: «أفلتيها».

إلا أن عنكبوتاً بحجم الفأرة وقع فجأة من السقف، وغرز أرجله في يده، فشهق كاو متألماً وأفلت سيفه.

عندها قالت الأرملة البيضاء: «سأفلتها، ولكنها لن تعود مفيدة لأي كان».

أقرأناكموه

أحس كاو بساقيه ترتجفان.

فسأله سكريتش: هل أنت بخير؟

أسند كاو نفسه إلى مقعد خشبي، فيما قالت الأرملة البيضاء: «لا تقلق. السم ليس قاتلاً، فقد أخبرتك أنني لن أقتلك الآن، أليس كذلك؟ ليس قبل أن آخذ كل شيء منك».

فقال كاو: «لا أفهم». وسمع كلماته تخرج من بين شفتيه مرتجفة.

قالت الفتاة: «هناك الكثير من الأمور التي ستتعلمها». وبدت كما لو أنها انشطرت إلى نصفين فيما لم تعد رؤية كاو واضحة.

في تلك اللحظة، صرخ جوني فايفتايلز: «كاو، تحرك!».

استدار كاو، فرأى خارق ذئاب القيوط واقفاً عند الباب وقد شهر مسدسه.

فقال كاو فوراً: «لا!».

غير أن جوني دخل الغرفة مسرعاً وقد صوّب مسدسه على سيلينا التي تحركت بسرعة، وجعلت كاو يقف بينها وبين المسدس.

قال جوني: «ابتعد عن الطريق يا كاو». وظهر خلفه اثنان من ذئاب القيوط.

في تلك الأثناء، تدفقت العناكب على كاحلَي كاو، فتمايل مضطرباً، وترك جسمه يسقط، غير أن عقله ركّز على فكرة واحدة؛ غربانه. عندها، ارتطم شكل أسود بمسدس جوني، فيما ومض طرف المسدس وصدح صوت إطلاق نار في الغرفة. وبعد ذلك سُمِع طلق ناري آخر، فيما حاول جوني إبعاد الغربان عنه. ارتدّت

أقرأناكموه

الرصاصات عن الجدران والأرض، بينما صرخ جوني مستنكراً: «كاو، ماذا تفعل؟».

حاول كاو الإجابة: «إنها سيلينا». ولكنه لم يعرف إن كانت الكلمتان قد خرجتا من فمه فعلاً.

انتقلت العناكب من كاو إلى ساقَي جوني، فرمى خارق القيوط شيمر على أحد الجدران، فيما أزاح غلام جانباً بطرف مسدسه. رأى كاو سيلينا وهي تتراجع إلى زاوية الغرفة، وأدرك أنه لم يعد لديها مكان للهرب. في تلك الأثناء، مرّ جوني أمام كاو بسرعة وهو يحشو مسدسه، فأمسك كاو بساقه، ولكنه لم يفلح في منعه من التقدم. وجّه جوني مسدسه إلى سيلينا من مسافة قريبة جداً، فرفعت يديها فوق وجهها.

بآخر ما تبقى لديه من طاقة، انقضّ كاو على جوني، وارتمى على كتفه، فوقع خارق القيوط وكاو عبر الباب وتدحرجا أرضاً، وسحقا معهما مئات العناكب.

صرخ جوني: «اقتليها».

ثم سمع كاو زمجرة مريعة وصوت تحطم مفروشات. وحين استدار، شعر بأن الغرفة قد انقلبت رأساً على عقب.

لا، لم تكن الغرفة هي التي انقلبت، بل كانت سيلينا – أو الأرملة البيضاء– تمشي على أطرافها الأربعة على الجدار، فيما ضربها أحد ذئاب القيوط بقاتمته. غير أنها أفلتت من طلق ناري آخر، ومشت بسرعة على السقف فوق رأسيهما، ثم وقعت أرضاً قربهما وخرجت من الباب بسرعة.

أبعد جوني كاو عنه، وركض في الرواق خلفها. حاول كاو الزحف إلى الأمام، ولكنه أحسّ بالثقل في كل أطرافه.

كان خارق القيوط يطلق النار بجنون على شباك العناكب المتدلية من السقف، فيما مزقت ذئاب القيوط المزيد منها بمخالبها.

وحين نجح كاو بالإمساك بكاحلَي جوني بضعف شديد، قال له هذا الأخير: «ابتعد عني يا كاو. إنها تهرب». ثم حرّر رجله وركض متجهاً إلى المصعد، وأطلق ثلاث طلقات نارية إلى الأعلى. لا بد أن سيلينا قد هربت من هنا.

سأل صوت خلفهما: «ما كان هذا؟».

أدار كاو عنقه، فرأى الخارقين الآخرين يقفون في الممر. تقدمت السيدة ستريكهام ثعالبها، فيما وقف كرامب وراكلن إلى جانبيها. بدوا جميعاً مرهقين ولاهثين بسبب الجهد الكبير الذي بذلوه في المعركة، فيما كانت ملابسهم ممزقة.

وضع جوني المسدس إلى جانبه وقال: «كانت تلك خارقة العناكب الجديدة. وبفضل صديقنا هنا، هربت». ونظر إلى كاو بغضب.

فسألت مادلين: «أهي أنثى؟».

أراد كاو التحدث، لكن رأسه كان يدور، وجعله الغثيان الذي يشعر به راغباً في التقيؤ. ركض كرامب مسرعاً في الرواق وقال: «إنها الشرطة. علينا الخروج من هنا».

فيما صرخت السيدة ستريكهام: «فليذهب الجميع إلى مرأب السيارات!».

أقرأناكموه

وقف كاو على قدميه، فركضت ليديا للوقوف إلى جانبه وقالت: «استدع غربانك».

جاءت الغربان معاً، إذ استدعاها من دون أية كلمة، ومرّت عبر غرفة المصعد ثم الرواق. تفرّق الخارقون في كل الاتجاهات عند سماعهم صفارات سيارات الشرطة، ومن ثم صوت خطوات الرجال في الأعلى. وبالكاد كان كاو قادراً على المشي، ولذلك جعل غربانه تحمله على السلم.

خرجت الغربان من باب جانبي إلى الهواء الطلق، وحلقت عالياً في السماء. رأى كاو من الأعلى سيارات الشرطة وأضواءها الوامضة، فيما كان رجال الشرطة يطوّقون المبنى. وقد نجحت الغربان وطيور الحمام وببغاوات البرّكيت في حمل ليديا وعدد من الخارقين إلى بر الأمان.

وعندما هبطوا في مرأب السيارات قرب سياراتهم، وقف خارق ذئاب القيوط في وجه كاو، ودفعه نحو جدارٍ، ثم وضع إحدى يديه على حنجرة كاو، فيما أطبق أصابع يده الأخرى بقبضة حديدية.

عندها، صرخت ليديا: «ابتعد عنه!».

تمالك كاو نفسه، لكن راكلن ظهر من حيث لا يدري أحد، وأمسك بذراع خارق القيوط قبل أن يقضي على كاو. وبعد قليل، وصل الخارقون الآخرون بقيادة السيدة ستريكهام إلى مرأب السيارات، وكانت ملابس الكثيرين منهم ممزقة، وهناك خدوش على وجوههم وأطرافهم.

أدار جوني وجهه، فيما أحس كاو باليد التي تطبق على عنقه

وهي تتصلب لبضع ثوانٍ، كما شعر بغضب جوني مثل الكهرباء الساكنة في الهواء. فجأة، أفلته خارق القيوط وتراجع إلى الوراء وهو يصرخ بصوت عالٍ، فيما وقف ذئب بينه وبين كاو.

صرخ جوني: «ماذا كنت تفعل بحق الله؟ كان بوسعي قتلها، ولكنك كدت تتسبب بقتلنا!».

تنفس كاو بصعوبة فيما شعر بنوبة غثيان أخرى. وأخيراً، استعاد صوته فقال: «كانت تلك سيلينا».

وفي تلك اللحظة، تغيّرت ملامح جوني فوراً، واختفى الغضب من وجهه.

قال جوني: «أكانت تلك صديقتك؟! أهي خارقة العناكب؟».

وقال كرامب: «كاو، هل أنت واثق؟».

نظر كاو إليهم. بالرغم من ملابسهم الممزقة والخدوش الكثيرة التي أصيبوا بها، فرح كاو حين أدرك أن كل الخارقين غير متضررين بشكل بالغ.

قال: «كانت هي. لقد تبدلت؛ شعرها تغير وعيناها أيضاً. ولكنها هي». وارتعد رغماً عنه.

فقال جوني: «ولكنها خارقة عناكب! لا بدّ أنها ابنته».

عندها، هزّ كاو رأسه نافياً. فرغم أن عقله لا يزال مشوشاً، إلا أنه يعرف تماماً مع من تحدث هناك. «لا، هذا ليس صحيحاً. إنه الرجل الدوام، لقد احتل جسدها؛ وهو داخلها نوعاً ما. لقد أطلق عليها اسم الأرملة البيضاء».

قالت زيا، خارقة ببغاء البرّكيت: «كيف يمكن أن تكون الرجل

الدوام والأرملة البيضاء في الوقت نفسه؟».

وقال راكلن: «بالضبط. إذا كانت خارقة عناكب، فإذاً هي ليست صديقتك».

وأضاف جوني: «لقد خسرنا للتو أفضل فرصة ممكنة للقضاء عليها».

في تلك اللحظة، وصلت بعض طيور الحمام الخاصة بكرامب، وجثمت على سقف سيارة السيدة ستريكهام، وأطلقت إحداها سلسلة من الصيحات، فتنهّد كرامب قائلاً: «لقد رحل خارق العناكب».

عندها، ضرب جوني فايفتايلز بقبضة يده على غطاء محرك السيارة ثلاث مرات، ثم استدار وأسند وركيه على دولاب السيارة، وأبعد خصلة شعر عن جبينه المتعرق قائلاً: «عمل رائع يا كاو».

8

رغم مرور خمس عشرة دقيقة، كان الخارقون لا يزالون غارقين في مناقشة حامية، فيما استمرت الغربان وطيور الحمام في المراقبة. وكان فايفتايلز يذرع المكان ذهاباً وإياباً، ملقياً بظل طويل على الإسمنت. وأشار الصوت البعيد الصادر عن محركات السيارات وأبواقها إلى بداية الازدحام الصباحي.

جلس كاو بعيداً، متكئاً على جدار مرأب السيارات، ومتأملاً الجرحين في يده. كانت يده متورمة قليلاً، وهناك لون أرجواني تحت بشرته، وقد آلمته معدته بين الحين والآخر.

ارتعد مجدداً حين تذكّر وجه الأرملة البيضاء الشاحب، وعينيها

أقرأناكموه

المخيفتين، وصوتها المليء بالخبث. هل لا تزال سيلينا موجودة بعد كل ما تم سلبه من حياتها؟ لم تبدأ صداقتهما بطريقة طبيعية، فقد حملت سيلينا عصا بايسبول في وجه كاو عندما عثر عليها جالسة القرفصاء في منزله. وظلت تكذب عليه لبعض الوقت؛ إذ كانت تعمل لصالح أمها. ولكن، عندما حان الوقت وتوجب عليها الاختيار، وقفت في وجه أمها، وكانت مستعدة للموت لإيقاف المجرمين. هل يمكن أن تكون سيلينا التي عرفها قد رحلت إلى الأبد؟ أم أن روحها لا تزال في مكان ما، في انتظار تحريرها؟

تشنجت معدة كاو مجدداً، فطارت كل الأفكار من رأسه، وأغمض عينيه منتظراً زوال التشنج. قالت ليديا: «كاو، يمكننا اصطحابك إلى المستشفى». فيما وضعت يدها على كتفه.

فرفض عرضها قائلاً: «لا. أنا بخير».

غير أنها قالت: «أنت لا تعرف ذلك. فالسم قد يُحدِث الكثير من التلف الداخلي».

عندها، وقف بصعوبة قائلاً: «لقد أخبرني الرجل الدوّام أن السم غير قاتل».

«وهل تثق فيه؟».

«إنه يريد معاقبتي، وما تتعرض له سيلينا جزء من ذلك، وكذلك ما حصل للعش أيضاً. وقد وفى بوعده لغاية الآن».

فتنهدت ليديا قائلة: «أعرف ما يعنيه ذلك المكان بالنسبة إليك يا كاو. أنا آسفة».

فجأة، قال جوني فايفتايلز وهو يقترب من كاو وليديا مع

أقرأناكموه

الخارقين الآخرين: «لم أفهم. إذا كانت الأرملة البيضاء هي خارقة العناكب الجديدة، فلا بد إذاً أنها ابنة الرجل الدوام».

فقالت السيدة ستريكهام: «ليس بالضرورة».

قال جوني: «ما الذي يعنيه ذلك؟ فالطريقة الوحيدة ليصبح الشخص خارقاً هي أن ينقل الأهل قوتهم إلى ولدهم بعد موتهم. حسناً، قد تكون هناك طريقة واحدة أخرى؛ مثل تلك التي حصل فيها السجناء على قواهم بفضل أم الذبابات...»

عندها، لاحظ كاو أن السيدة ستريكهام نظرت إليه بسرعة، فلمس حجر منتصف الليل وقد أخفض عينيه إلى الأسفل. نعم، إنه لا يزال في مكانه. وعرف ما يفكر فيه جوني. فإذا لم تكن سيلينا ابنة الرجل الدوام، فكيف حصلت على قوى خارق العناكب من دون مساعدة كاو لها؟ لكن، لا مجال أبداً لأن تكون قواها قد وصلت إليها من حجر منتصف الليل؛ فهو يخضع لحماية كاو منذ تلك المعركة التي حصلت على سطح الشقة. وحتى لو لمسته سيلينا في الوقت نفسه مع أحد العناكب، فذلك لا يبرر حصولها على روح الرجل الدوام. لن ينسى كاو تينك العينين السوداوين اللتين نظرتا إليه بكراهية شديدة. الأرملة البيضاء ليست فقط خارقة العناكب الجديدة، بل تحمل أيضاً روح عدوه اللدود.

وعندما نظر كاو إلى الأعلى، رأى جوني فايفتايلز يقود الآخرين بعيداً، خلف بعض سيارات الخارقين.

سألت ليديا: «ما الذي يفعلونه؟».

فأجاب كاو: «لا أعرف، ولكنني سأكتشف الأمر». فيما نظر

إليهما جوني بسرعة.

عندها، قال سكريتش وهو يجثم قربه: من الأفضل ربما ألا نتدخل.

فتمتم كاو: «لا مجال». لماذا ابتعدوا للتكلم سراً؟ يفترض أن يكونوا جميعاً في الفريق نفسه.

قالت شيمر: إذاً، فلنصغِ إلى ما يقولونه.

لكنّ كاو أراد الإصغاء إليهم مباشرة، لذا اختبأ وراء السيارات، واقترب منهم رغم أنه لا يزال غير ثابت على ساقيه، ولحقت به ليديا. كان الخارقون الآخرون يتحدثون بأصوات خافتة، مستغرقين جداً في حديثهم حيث لم يلاحظوا اقترابه منهم.

كان جوني فايفتايلز يقول: «ورغم ذلك وثقتم في سيلينا تلك!».

فقالت السيدة ستريكهام: «لقد ساعدتنا. لا أظن فعلاً أنها كانت على علم بأن أمها خارقة ذباب».

وقال كرامب: «وإن علمت فقد أنكرت الأمر».

عندها، وضع جوني يديه على وركيه قائلاً: «وهل تعتقدون أنه يمكن الوثوق فيه؟». وأدار رأسه بسرعة نحو المكان الذي كان كاو جالساً فيه قبل لحظة، فحبس كاو أنفاسه.

قال كرامب معترضاً: «لا تفكر في ذلك. حتى إنه لا يمكنك أن تقترح...»

فقاطعه جوني قائلاً: «أنا أفترض كل شيء».

عندها، رفعت السيدة ستريكهام يدها وقالت: «جوني، لقد عشت الكثير مع كاو. بحق الله، إنه ابن ليزي كارميكايل».

وبعد ذلك ساد الصمت قليلاً، قبل أن يتنهد جوني قائلاً: «أعرف، ولكنّ وفاءه مشتت. فقد هاجمني عندما كان بوسعي قتل خارقة العناكب».

فبدأ كرامب يقول: «لقد ظنّ أنها صديقته...»

غير أن جوني قاطعه: «ولكنك قلتَ بنفسك إنه عرفها لأيام قليلة فقط. إذا كان هذا صحيحاً...»

عندها، جلس كاو القرفصاء في الظل، ولم يصدق أنهم يتحدثون عنه هكذا. ثم أطبق قبضتيه بإحكام، فوضعت ليديا إصبعاً على شفتيها، وأومأ لها كاو برأسه.

تابع جوني كلامه: «نحتاج إلى جبهة موحدة إذا أردنا مواجهة هذا التهديد الجديد. وكاو مضطرب. إنه منزعج، لذا علينا نقل العمليات بعيداً عن منزله».

هزّ كرامب رأسه رافضاً الفكرة، لكنّ راكلن وزيا وآلي أومأوا برؤوسهم موافقين، فيما حدّق جوني إلى والدة ليديا وسألها عن رأيها: «فيل، ما رأيك؟».

عندها، أغمضت السيدة ستريكهام عينيها قليلاً، وعندما فتحتهما، أومأت برأسها أيضاً ثم قالت: «دعوني أتحدث إليه».

فما كان من كاو إلا أن خرج من خلف السيارة وقال لهم: «إذا أردتم قول شيء ما، فقولوه في وجهي».

فقالت السيدة ستريكهام: «أعرف أن الأمر صعب عليك يا كاو. فالجميع مضطربون».

قال: «وأنا أيضاً. غير أنني لم أهاجم جوني، بل منعته فقط من

أقرأناكموه

إطلاق النار عليها. لا أعرف كيف أثبت لكم أنني معكم. في الواقع، لا يجدر بي القيام بذلك أصلاً». وكان صوته عالياً جداً.

فقال كرامب: «لا أحد يعتقد أنك لست معنا».

قال جوني: «لم أقل إنك خائن. ولكن يا كاو، إذا أردت إثبات نفسك...» ثم نظر بسرعة إلى السيدة ستريكهام قائلاً: «حجر منتصف الليل».

كانت نظرة فيلما ستريكهام واضحة مثل البلور، وفي لحظة واحدة أدرك كاو أنها أخبرت خارق القيوط كل شيء عن الحجر.

هزّ جوني كتفه وتابع: «أعرف ما حصل مع أم الذبابات، وأعرف كيف ابتكرت جيشها». ثم حدّق إلى كاو وسأله: «إنه معك، أليس كذلك؟».

فأجاب كاو بعد فترة صمت وجيزة: «أجل».

عندها، قال جوني وهو يتقدّم منه: «حسناً، فلنستخدمه. يمكننا إنشاء جيش خاص بنا».

غير أن كاو رفض ذلك الاقتراح: «لا. هذا خطير. لقد أقسمت سلالة الغربان على حماية الحجر».

وحدّق كرامب إلى جوني وسأله: «هل تتحدث عن إحضار أناس عاديين وجعلهم يحاربون معنا؟ هذا جنون!».

فقال جوني: «حقاً! إذاً، ما سبب وجود هذا الحجر؟ عندما تنقرض سلالة فبإمكاننا إعادتها. إنه السلاح الأخير، أليس كذلك؟». كان وجهه مضطرباً وصوته متوسلاً.

قالت السيدة ستريكهام: «تمهّل يا جوني، نحن لم نتحدث في

هذا الموضوع».

فقال خارق القيوط وقد هدأ فجأة: «حسناً. حتى لو قررنا عدم استعماله على الفور، فمن الأفضل أن يسمح لنا كاو بالاهتمام به. إذ سيكون أكثر أماناً مع شخص يستطيع ضمان سلامته».

وقال كاو بمرارة: «وشخص يمكنك الوثوق فيه، أليس كذلك؟».

لم يتحدث أحد، لكن الجميع نظروا في اتجاه السيدة ستريكهام التي حدقت بعيداً وقد أطبقت فكّيها، ثم نظرت إلى كاو ببطء، فانفطر قلبه لأنه عرف تماماً ما ستقوله.

«نحن نثق فيك يا كاو. طبعاً نثق فيك. لكنّ... جوني محق».

بدأ كاو يهزّ رأسه، ولكنها تابعت قائلة: «إذا عاد الرجل الدوام، وإذا أراد الانتقام منك، فمن المستحسن أن يكون الحجر معنا؛ في مكان نستطيع حمايته». ومدّت يدها.

عندها، تراجع كاو إلى الخلف، فيما بدأ راكلن يقترب منه وذئبه خلفه.

وقال خارق الذئاب: «هيّا يا كاو».

فقال كرامب: «امنحه بعض الوقت. هذا كاو! إنه واحد منا».

عندها، قال آلي بغضب: «يسهل عليك قول ذلك. أما أنا فقد خسرت نصف حيواناتي هناك. لقد ماتت من دون جدوى».

قال كاو: «تراجع. لن تحصل عليه».

وقالت ليديا بتوسل: «أرجوكم، اتركوه وشأنه».

وقال جوني: «كن صريحاً معنا يا كاو. هل استخدمت حجر منتصف الليل مع صديقتك سيلينا؟ هل شعرت بالأسف عليها،

أقرأناكموه

وظننتَ ربما أن منحها قواها هو الطريقة الوحيدة لإنقاذها؟».

فأجاب كاو: «لا. أنتم مخطئون».

وارتطم ظهره بالجدار السفلي عند حافة مرأب السيارات.

سأله جوني: «ولماذا تهرب؟».

عندها، قالت ليديا مجدداً: «اتركوه وشأنه». فأمسكت السيدة ستريكهام بابنتها وأرجعتها إلى الخلف.

سأله جوني: «هل هو في جيبك؟».

وأضاف راكلن: «أعطنا إياه».

قال غلام: كاو، انتبه إلى يسارك.

وكان ذئبا قيوط قد وصلا إلى مرأب السيارات.

فقال كرامب: «لا داعي لذلك». ووضع يده على كتف جوني، لكن خارق القيوط أنزلها.

قال كاو: «ابتعدوا عني!». وقبل أن يفكر في الأمر ملياً، سحب منقار الغراب من قرابه.

قال جوني رافعاً يديه: «أو ماذا؟ أستقتلني؟ هل أنت واثق من أننا في الفريق نفسه؟».

قال بيب: «كاو، لا تفعل ذلك». وبدا على وشك البكاء.

وقالت السيدة ستريكهام: «اهدأوا جميعاً. تذكروا من نكون! كاو، دعنا نتحدث بهدوء».

قال كاو: «أنت تريدين فقط أخذ الحجر. لقد حسمت أمرك».

في تلك اللحظة، لوّح جوني بيده ودفع منقار الغراب الخاص بكاو جانباً، فراقبه كاو وهو يقع على الإسمنت، وينزلق تحت

أقرأناكموه

الدرابزين، ويقع فوق حافة مرأب السيارات.

قال جوني: «أعطني حجر منتصف الليل، وسوف نعتني به. أعدك».

اقترب منه راكلن وآلي من كلا الجانبين.

فقال كاو: «تراجعوا!». فيما أمره عقله بالطيران. وشيئاً فشيئاً، أصبح وجه جوني مشوشاً، فيما باتت جمجمة كاو أكثر ليونة وأصغر حجماً، وسرعان ما تحوّل شكل جسم كاو، وتصلّبت ساقاه وتدفقت القوة إلى كتفيه.

قال خارق القيوط: «هاي، ماذا تفعل؟ لا!».

بدأ العالم يتحول إلى منحنيات، فيما أصبح كاو غراباً.

اندفع خارق القيوط إلى الأمام للإمساك به، وفي اللحظة نفسها وقف سكريتش وشيمر في وجهه. صرخ جوني عالياً، وتدحرج كاو فوق أعلى الدرابزين. بدأ يسقط لثانية، قبل أن يلامس جناحاه الهواء ويحلّق بعيداً. نظر إلى الخلف، فرأى ليديا تناديه: «كاو! عد إلى هنا!».

قال غلام: فلنبتعد من هنا.

حام كاو في مكانه، في انتظار شيمر وسكريتش، ثم خفق بجناحيه القويين وحلّق بعيداً عن مرأب السيارات.

قالت شيمر: لدينا رفاق.

إذ كانت طيور الحمام تطير عن سطح المبنى، المئات منها.

استدعى كاو غربانه، ومثل سحابة سوداء، طار المزيد من الغربان عن الأرض. أراد الابتعاد، ولكن طيور الحمام- مثلما أخبره

أقرأناكموه

كرامب دوماً- كانت أسرع من غربانه، لذا سرعان ما أحاطت بكاو وغربانه.

أمر كاو غربانه: انفصلي وحاولي تضليلها.

وعلى الفور، توزّعت غربانه في السماء، فتفرّقت طيور الحمام؛ حيث تعقبت كل حمامة غراباً مختلفاً. حلّق كاو على علو منخفض بين المباني، ومن ثم فوق وادٍ، وتحت جسر قديم، ثم صعد إلى الجهة الأخرى. كانت طيور الحمام أسرع من الغربان، لكن هذه الأخيرة أكثر رشاقة. حلّق تحت الجسر مجدداً، ثم جثم على إحدى الدعامات الفولاذية تحته، فيما تابعت الحمامة التي كانت تطارده تحليقها بعيداً.

عندها، انتظر كاو في مكانه وقلبه يخفق بقوة. لقد حصل ذلك بسرعة كبيرة، فقد انقلبوا جميعاً ضده.

بعد قليل، وصل سكريتش وغلام وشيمر إلى تحت الجسر، وجثمت الغربان قربه.

قالت شيمر: كان هذا جنوناً.

وقال سكريتش: لكننا نجحنا في الهرب. ماذا سنفعل الآن؟

فكّر كاو هنيهة. لقد ترك منقار الغراب هناك. ربما يستطيع العودة. يستطيع شرح الأمور كما يجب، والاعتذار منهم لأنه شهر سيفه في وجوههم. لا! فهو لا يدين لهم بأي اعتذار.

لم يكن بإمكانه العودة إلى منزله، كما أن منزل ليديا غير آمن أيضاً، ولا يستطيع الآن الاعتماد على السيدة ستريكهام.

ثم خطرت له فكرة. عرف الشخص الوحيد الذي يستطيع

أقرأناكموه

مساعدته الآن، غير أن المشكلة هي أن كاو لا يعرف أبداً كيفية إيجاده.

غير أنه بسط جناحيه، وحلّق مجدداً في الهواء، وطار من تحت الجسر. كانت ثمة مجموعة صغيرة من الغربان جاثمة على إطار نافذة مهترئ ومتدلٍّ من مبنى مهجور. تعرف إلى كراك خالة شيمر، وهي أنثى قاسية؛ علماً أن صلات القربى العائلية لا تعني الكثير بالنسبة إلى الغربان. حطّ كاو قرب الغربان، وراح يتحدث إليها.

قال كاو: أريد منك أن تذهبي لإحضار منقار الغراب. ولكن، إذا واجهت صعوبة كبيرة في ذلك، فانسي الأمر.

قالت كراك: حدِّد تعريفك للصعوبة.

فابتسم كاو قائلاً: لا تعرّضي نفسك للأذى.

انطلقت كل الغربان على شكل سحابة سوداء، باستثناء غلام وسكريتش وشيمر.

عندها، قال كاو لسكريتش وشيمر: أريد منكما البحث عن القطة. أخبرا بقية الغربان وعودا إلى المعمل القديم. سأنتظر هناك.

قال سكريتش: القطة! إنها كائنات مريعة...

فقال كاو: ابحثا عن أية مجموعات منها، ولاسيما تلك التي تتصرف بغرابة.

سأله غلام: ما الذي تريده منها؟

أجاب كاو مكشّراً: إذا وجدنا القطة، فبإمكاننا إيجاد فيليكس كوايكر. غلام، تعال معي.

قد يكون فيليكس كوايكر الصديق الوحيد الذي بقي لكاو.

أقرأناكموه

كان معمل الكهرباء القديم مكاناً مقفراً؛ فهو عبارة عن مجموعة من المباني الفولاذية المتصدعة والمباني الحجرية العارية المحاطة بسياج حديدي. وقد انتصبت أوعية تخزين عملاقة وأبراج بشعة في الأفق. وثمة فرع من نهر بلاكواتر الذي كان سابقاً يتدفق تحت أبراج التبريد قد وصل إلى هناك على شكل مستنقعات راكدة ومعتمة. أما الطرقات الحصوية التي كانت في ما مضى تعجّ بالشاحنات فقد باتت الآن مغطاة بالأعشاب الضارة. وثمة جانب في المعمل قد تحوّل إلى مكب للنفايات، وقد اشتمل على أجهزة كهربائية قديمة ونفايات معدنية؛ مثل الغسالات وأجهزة التلفاز والعارضات المعدنية الملتوية.

لم يعد أحد يأتي إلى هنا الآن.

حطّ كاو- الذي كان لا يزال على شكل غراب- على طرف برميل فولاذي فارغ، فجثم غلام قربه متوازناً على هوائيّ منحرف، ونفض ريشه.

سأله: هل تظن فعلاً أن خارق الهررة يمكنه أن يساعدك؟

فقال كاو: إنه خبير في شؤون الخارقين، ويعرف كل تاريخنا. وإذا كانت هناك طريقة لمساعدة سيلينا، فلا شك في أنه يعرفها.

مرّ بعض الوقت قبل أن تبدأ بقية الغربان بالوصول. وكان معظمها يحمل معلومات غير مهمة، لكن مورتون، وهو غراب عجوز عاش خلال الصيف المشؤوم، حمل الخبر الذي كان كاو بانتظاره.

إذ قال: هناك ثلاث منها. بدت مراوغة. في منطقة لاينز.

أقرأناكموه

أحس كاو بجرعة أمل. فمنطقة لاينز هي كل ما بقي من بلاكستون القديمة، وهي موجودة قرب ما كان في السابق أحواض النهر. ومعظم المباني هناك عبارة عن فنادق رخيصة، ومكاتب، ومتاجر حسومات. وحين كان كاو أصغر سناً تجوّل أحياناً في شوارعها؛ فهي المكان الوحيد في بلاكستون الذي يتمكن فيه ولد وحيد يرتدي ملابس رثة وممزقة من عدم لفت الانتباه.

بدا المكان غريباً ليختبئ فيه كوايكر؛ فلا مطاعم هناك، ولا وجود للخياطين أو المتاجر التي تقدم الأشياء الراقية التي يحبها.

لكن، إذا تواجدت قطة هناك...

طلب كاو من غربانه البقاء حيث هي، باستثناء مورتون وغربانه الثلاثة التي تلازمه دوماً. ثم حلّق باتجاه النهر وتبعته غربانه الأربعة.

خفق غلام بجناحيه بقوة للبقاء بمحاذاة كاو، وقال: إنها قلقة.

سأل كاو: من؟

فأجاب غلام: الغربان. فهي لم تحب سيلينا يوماً.

قال كاو: إنها لا تعرفها مثلما أعرفها.

فسأله غلام: وهل أنت واثق من أنك تعرفها؟

لم يجب كاو على الفور، وتذكر كيف تحدّت الجاذبية حين رآها آخر مرة، ومشت على السقف. كما تذكر شكلها، وشعرها الأبيض، وعينيها الخاليتين من البياض. إذا كانت الأرملة البيضاء، فهل بقي أي شيء من سيلينا فيها؟

قال غلام: إنها خائفة أيضاً، فهي تخشى أن تكون العناكب أقوى هذه المرة.

أقرأناكموه

فقال سكريتش: لا مشكلة. سنحاربها مثلما فعلنا دوماً. وإذا طلب منا كاو إنقاذ سيلينا، فعلينا مساعدته.

أجاب غلام بتذمر: لم أقل قطّ إنه لا يجدر بنا مساعدته، بل أتساءل فقط عمّا إذا كان ما نفعله هو الشيء الصحيح.

عندها، سأل كاو وقد ازداد غضبه: وما هي الخيارات الأخرى المتوافرة؟

كان غلام يلهث فيما حاول البقاء بمحاذاة كاو وأجاب: لست... مضطراً إلى القيام بذلك بمفردك. لا يعود إليك وحدك معالجة كل مشكلة تطرأ.

أسرع كاو في تحليقه لترك بعض المسافة بينه وبين غربانه. قد يكون غلام محقاً، لكنّ الخارقين الآخرين لم يمنحوه أي خيار، أليس كذلك؟ فقد أرادوا فقط قتل الأرملة البيضاء ونسيان أمر سيلينا.

أخيراً، وصلوا إلى الوديان الملتوية التي تؤلف منطقة لاينز. من الأعلى، بدت المباني الطويلة وكأنها متكئة على بعضها بعضاً في مجموعات.

قال مورتون: هذا هو المكان، وأشار بمنقاره نحو سقف مائل فيه كوّة مفتوحة، ثم تابع: اختفت القططة هنا.

عندها، قال كاو: شكراً لك. عُد إلى الغربان الأخرى. سنعود قريباً.

حلّق كاو متجهاً إلى الأسفل، وجعل مخالبه تستقر على السقف، حيث تحوّلت رجلاه إلى قدمين مجدداً. إنها أطول مرة يبقى فيها على شكل غراب. وبعد أن استعاد شكله البشري، نظر عبر

أقرأناكموه

الكـوّة ورأى غرفـة معتمـة في الداخـل. وضع يده على إطار النافذة، فخرجت منها كفّ مكسـوة بالفرو وخدشـت معصمه، فسـحب كاو يده شاهقاً بصوت عالٍ.

بعد ذلك، سمع صوت خطوات سريعة، ثم ظهر فيليكس حاملاً عصا كريكيت بإحدى يديه وموسى حلاقة كبيراً باليد الأخرى. صرخ كوايكر: «من هنا؟».

كان يرتـدي رداء نـوم قرمـزي اللون، ذا حافة من السـاتان، ولا يزال نصف وجهه مغطى برغوة الحلاقة، فيما انسدل شعره الرمادي المتمـوج فـوق كتفيـه. ومـا إن رآه حتى اتسـعت عيناه من الدهشـة: «كاو!».

هسهست القطة.

سأل كاو: «هل أستطيع الدخول؟».

عندهـا، وضـع كوايكر عصا الكريكيت على الطاولة ثم سـأله: «كيف وجدتني؟ من فضلك يا بلوبيرد، دعه يمرّ».

فتح كاو النافذة بحذر، ثم مرّ عبرها، وهبط على أرضية خشبية تالفة ومتشققة، فلحقت به غربانه الثلاثة.

راقبت دزينة من القططة كاو بحذر من زوايا الغرفة.

فيما قال خارق القططة بفرح: «أهلاً بك في قصري».

لم يتخيل كاو شيئاً أكثر اختلافاً عن عظمة مقرّ كوايكر القديم، أي غـورت هـاوس. ففـي هذا المـكان الضيق، يوجد كرسـي واحد خرجت منه حشوته، وكرسي منخفض واحد. وثمة موقد تخييم مع قدر صغيرة على مكتب قديم. وحدها الرفوف احتوت على ما تبقى

أقرأناكموه

من غورت هاوس، إذ امتلأت بأشياء عتيقة عرف كاو أنها تذكارات تخص خارقين؛ عصا مكسوة بالريش، كوب زجاجي مزخرف، جمجمة كانت لكلب كبير أو ربما لماعز.

قال فيليكس: «أتتناول الشاي؟». فيما تقوقعت قطة على الكرسي وقد أغمضت عينيها. «أخشى أنني لا أملك أوراقاً طازجة، وإنما لديّ أكياس فقط».

أجاب كاو: «لا، شكراً». ثم نظر حوله، فرأى صفاً من الكتب الجلدية. لا يشبه المكان هنا أبداً المكتبة الواسعة في منزل كوايكر القديم.

قال كاو: «أحتاج إلى مساعدتك».

عطس كوايكر، ووضع إبريقاً فولاذياً على الموقد، وأشعل النار باستعمال عود كبريت، ثم سأله: «وكيف يمكنني أن أساعد خارق الغربان؟».

وبعد ذلك، جلس على الكرسي المنخفض حيث وضع وعاء ماء ومرآة مكسورة أمامه، وتابع حلاقة ذقنه باعتماد حركات قصيرة وسريعة بالموسى.

قال كاو: «لقد عاد الرجل الدوام».

عندها، توقّف كوايكر عن حلاقة ذقنه، ثم نظر إلى عينَي كاو عبر المرآة للحظات، قبل أن يتابع الحلاقة وهو يقول بهدوء: «هذا ليس ممكناً».

فقال كاو: «لقد نجح نوعاً ما في اختطاف سيلينا من المستشفى، وسيطر على جسدها. إنها الآن تطلق على نفسها اسم الأرملة البيضاء.

أقرأناكموه

وقد تحدث إليّ عبرها».

مسح كوايكر وجهه بمنشفة أكلها العث، وبدا كما لو أنه شاخ عشر سنوات خلال الأسبوعين الماضيين. فقد خسر بعض الوزن، وبدت ساقاه نحيلتين جداً تحت سرواله الفضفاض، أما وجهه فترهل في طيات عدة.

مكتبة الرمحي أحمد

قال كاو: «حسناً، ألا تريد قول أي شيء؟».

صفر إبريق الشاي، فتوجّه كوايكر نحوه ليضع كيساً من الشاي في كوب ويسكب فوقه الماء المغلي.

«هل أنت واثق من أنك لا ترغب في كوب من الشاي؟».

قال سكريتش: اسأله إن كان يملك البسكويت.

فأجاب كاو: «لا! هل سمعتني؟».

عندها، استدار كوايكر، وهسهس للقطة الجالسة على الكرسي، فنفضت هذه الأخيرة جسدها ثم قفزت إلى الأرض. وبعد أن جلس مكانها قال له: «سمعت أن الأمور سيئة في المدينة».

فقال كاو: «المجرمون يصبحون أكثر قوة يوماً بعد يوم. وهم يعملون الآن لصالح الأرملة البيضاء. لا نعرف ما يجدر بنا فعله».

قال كوايكر: «يمكنك الهرب. فإذا وجد طريقة للعودة، فلا شك إذاً في أن قواه أكبر مما تتصور».

عندها قال كاو: «ولهذا السبب جئت إلى هنا. فأنا بحاجة إليك».

أمسك كوايكر بكوب الشاي بين يديه وقال: «أنا لست مقاتلاً. أنت بحاجة إلى فيلما ستريكهام، وراكلن، وإلى خارقين حاربوه من قبل».

أقرأناكموه

«إنهم يريدون قتل سيلينا».

فقال كوايكر: «أتقصد الأرملة البيضاء؟». ونظر إلى كاو رافعاً حاجبه فيما ارتشف شايه.

فما كان من كاو إلا أن هزّ رأسه بغضب وقال: «لا بد من وجود طريقة أخرى. ماذا عن حجر منتصف الليل؟ بإمكانه امتصاص القوى الخارقة، أليس كذلك؟».

نظر كوايكر إلى الأعلى وقد لمعت عيناه، ثم قال: «حجر منتصف الليل خطير. كيف جعلت خارقة العناكب الجديدة تلمسه من دون وضعه بين يديها؟! إذا حصلَتْ عليه- أو الأسوأ من ذلك، إذا حصل عليه هو- فستكون في ذلك نهايتنا جميعاً».

لم يحبّ كاو نبرة كوايكر؛ إذ بدت فيها الهزيمة والجُبن، ولكنها الحقيقة. أراد تحطيم الكوب الموجود بين يدَي خارق الهررة ورفعه إلى الأعلى من ياقة ردائه، غير أنه قال: «لن أسمح لهم بقتلها».

فقال له كوايكر: «اسأل نفسك، أليس من الأفضل أن تكون ميتة؟».

أجاب كاو: «طبعاً لا».

عندها، تنهّد كوايكر قائلاً: «إذا امتلكت سيلينا روح الرجل الدوام- ولا أعرف فعلاً كيف حصل ذلك- وإذا كان قد سيطر على جسدها فعلاً، فأنا عاجزٌ تماماً عن إخراجه منها مجدداً».

قال كاو: «كنتَ أملي الأخير».

في تلك اللحظة، قفز قطّ رمادي على المكتب، فربّت كوايكر على رأسه، ثم قال: «لكن... لا بد من وجود استعمال آخر للحجر.

هل تحمله معك الآن؟».

وبسرعة، مدّ كاو يده تحت ياقته وأخرجه، علماً أنه كان لا يزال ملفوفاً بكيسه ضمن الحبل الملتف حول عنقه.

تصلّب كوايكر بوضوح، ولم يقترب من الحجر قط، رغم أن عينيه كانتا مركزتين عليه.

قال كوايكر: «يُقال إن جدك الأعظم- بلاك كورفوس- كان أقوى الخارقين على الإطلاق. كان أكثر قوة من كل معاصريه. يعرف عدد قليل من الأشخاص هذه الحقيقة، ولكنه عندما مات، بالكاد استطاعت ابنته- خارقة الغربان الجديدة- إبقاء الطيور معها لأعوام عدة. وقد قال البعض إن بلاك كورفوس استثمر روحه الخارقة في حجر منتصف الليل خلال ساعاته الأخيرة...»

سأل كاو: «لكن كيف؟ ولماذا؟».

هزّ كوايكر كتفه وقال: «ربما لم يتحمل فكرة الموت، واعتبر القيام بذلك طريقة للاستمرار. وثمة من قال إنه غار من فكرة امتلاك شخص آخر قوته؛ حتى لو كان من لحمه ودمه».

عندها، قطّب كاو جبينه قائلاً: «لكنّ بلاك كورفوس هو الذي ابتكر حجر منتصف الليل لخير كل الخارقين، أليس كذلك؟ كي لا تنقرض أية سلالة من الخارقين؛ حتى لو لم يكن لدى الخارق أولاد يرثون قواه». وكان كاو قد رأى بلاك كورفوس مرة واحدة من قبل، في ذكريات بوتلايس خارق الديدان، وقد كشف جده الأعظم يومها عن تعبير صارم وصوت مليء بالثقة.

قال كوايكر: «هناك أشكال عدة للخير والشر. الأمر مرتبط

بموقفك».

فسأل كاو: «هل تقول إن الرجل الدوام قد وجد طريقة لتحويل روحه، والحفاظ على نفسه، حتى بعد الموت؟».

أجاب كوايكر: «أقول إنه إذا كان باستطاعة أي كان وصف ما عاناه خارق العناكب، فإنه بلاك كورفوس نفسه».

سألت شيمر: هل تفهم شيئاً؟

أجاب غلام: بالكاد.

فيما قال سكريتش: ما زلت أنتظر البسكويت. لا بد من وجوده في مكان ما، فهناك فتات منه على الطاولة.

قال كاو: «لكن، كيف أستطيع التحدث إلى بلاك كورفوس؟».

فأجاب كوايكر: «عليك البحث عنه». وأومأ إلى الحجر في يد كاو الملفوف بقطعة قماشية.

قالت شيمر: حسناً، أنا مسرورة لأنه أوضح الأمر.

رفع كاو الكيس الصغير المربوط بحبل من فوق رأسه، ووضع حجر منتصف الليل برفق على الكرسي المنخفض، فعكس سطحه الأسود المصقول شكل الغرفة ووجه كاو المتكئ فوقه.

قال كوايكر: «المسه».

فسأله كاو بعصبية: «ألن يسلبني قواي؟».

أجاب كوايكر: «لا أظن ذلك. فالحجر يخص سلالة الغربان».

قالت شيمر: لا يظن ذلك!

وأضاف غلام: ليس هذا مطمئناً.

غير أن خارق الهررة تابع قائلاً: «إذا كان بلاك كورفوس هناك،

فربما يجدك».

عندها قالت شيمر: اسمع يا كاو، لست واثقة تماماً من صحة قيامك بهذا.

فأجاب كاو: «عليّ فعل ذلك. فما من طريقة أخرى لمساعدة سيلينا».

ثم مدّ أصابعه وتوقف، قبل أن يجعلها ترتاح على حجر منتصف الليل. لم يسطع وميض مفاجئ، ولكن سطح الحجر الأسود الحالك كان أكثر برودة مما توقع، لا بل كان جليدياً تقريباً، فأرجع يده إلى الوراء، ثم تشبثت أطراف أصابعه بالحجر هنيهة أخرى قبل أن يبعدها مجدداً.

سألت شيمر: هل أنت بخير؟

أومأ كاو برأسه، ثم لمس الحجر مجدداً، فانتشرت البرودة فوراً عبر أصابعه على شكل دفعات خفيفة؛ كما لو أن حجر منتصف الليل قلب جليدي نابض. قاوم كاو رغبته في إبعاد يده مجدداً، وأغمض عينيه.

قال كوايكر: «سيطر على الحجر، استخدمه».

انتشرت البرودة القاتلة في ذراع كاو، بالترافق مع إحساس بالخدر. وأحس كاو بدمه ينبض بقوة، وإنما بعيداً عن ذراعه المتجمدة.

همس: أين أنت يا كورفوس؟

استمر حجر منتصف الليل في إدخال جليده إلى جسم كاو، غير أن كاو قاوم بعقله، وركز على مكان التقاء دمه بالنبض الجليدي

أقرأناكموه

للحجر، فأحسّ بموجات البرد والحرّ ترتطم ببعضها.

قال: كورفوس، كورفوس.

تحوّلت أفكار كاو إلى دوامة سوداء، إلى إرادة قوية جداً. وشيئاً فشيئاً، أحس بالبرودة تتراجع. عندئذ، دفع كاو روحه عبر ذراعه، نزولاً عبر معصمه فأصابعه. وبنبضة قوة أخيرة، ترك جسمه ودخل حجر منتصف الليل.

فجأة، أحسّ بتوتر في الجهة الخلفية من عنقه، وأدرك أنه ليس بمفرده.

9

فتح كاو عينيه، فوجد نفسه في غرفة مختلفة تماماً. إذ كانت الجدران عبارة عن ألواح خشبية داكنة، وثمة موقد عملاق مليء بالجذوع الخشبية. رأى مكتباً جلدياً موضوعاً تحت نافذة كبيرة، وعلى سطحه ريشة كتابة ومحبرة. بدا المكان مألوفاً له، لكن كاو لم يعرف السبب. كان هناك عدد من الأباريق الفضية على أحد الرفوف، فيما غاصت قدماه في سجادة سميكة.

قال صوت عميق: «أهلاً بك يا جاك».

وحين استدار، رأى رجلاً مغطى باللون الأسود من أعلى رأسه وحتى أخمص قدميه، باستثناء طرفَي كمَّي قميصه اللذين كانا أبيضَي اللون، واللذين ظهرا من تحت السترة المخملية السوداء. كما كان أيضاً يلبس قفازين جلديين أسودين. ومن فوق اللحية السوداء المشذبة بترتيب، راقبت عيناه الداكنتان كاو بتكبّر. لم تكن نظرة

أقرأناكموه

ودوداً ولا عدائية، وإنما كانت نظرة فضولية بطريقة غريبة. سبق لكاو أن رأى هذا الوجه من قبل.

قال: «بلاك كورفوس».

فأحنى الرجل رأسه قليلاً وأجاب: «نحن من العائلة نفسها يا جاك. لذا، عليك أن تناديني باسمي الحقيقي: توماس».

في تلك اللحظة، تذكر كاو من أين يعرف هذه الغرفة؛ إذ سبقت له مشاهدتها في الرؤية التي حصلت له في مخبأ خارق الديدان. فقد رأى هذا المكان عندما أقسم جميع الخارقين على منح حجر منتصف الليل جزءاً من قواهم. غير أنها بدت له الآن مختلفة- رغم أنه موجود فيها فعلياً- إذ بدت أكثر غموضاً وأقل وضوحاً. وأحسّ كاو أنه في كل مرة استدار فيها لمواجهة شيء جديد، فإن الشيء الذي ينظر إليه يختفي.

قال: «وجدتك».

فقال بلاك كورفوس: «أنا من وجدك. لست الأول يا جاك. هيّا، تعال معي». كان صوته صارماً، فأطاعه كاو من دون أي سؤال.

نزلا على سلم خشبي ضيق. وفي الأسفل، فتح بلاك كورفوس باباً فظهر خلفه العالم الخارجي. كان ثمة شارع عريض موحل، فيه مبانٍ خشبية من الجانبين، وقد فاحت رائحة دخان في الهواء. لحق كاو بكورفوس الذي انطلق في الشارع، غير أنه اضطر إلى التراجع عندما اندفعت نحوه عربة يجرها حصان. تحركت العربة على عجلات خشبية كبيرة، وقذفت بالوحل المتراكم في حفر الطريق. وعلى المقعد الخلفي فيها، جلست امرأة تعتمر قبعة وردية مع رجل

أقرأناكموه

اعتمر قبعة طويلة. كانت المرأة تنظر في اتجاه كاو، ولكنها لم ترَه على ما يبدو. وبعد أن اختفت العربة، أشار كورفوس إلى كاو للحاق به.

اجتاز كاو الشارع، وداس على كومة من روث الحصان، ورأى هذا العالم يتموج ويصبح ضبابياً في رؤيته الجانبية. كان هنا، ولكنه ليس هنا. إنها صورة واحدة يستطيع الإحساس بها بكل حواسه، وعرف أنها يمكن أن تختفي في أية لحظة. نظر إلى الخلف إلى المنزل الذي خرج منه، فرأى مبنى خشبياً طويلاً، ذا نوافذ علوية في الجهة الأمامية، تدعمها عارضات خشبية في الأسفل. بدا المنزل ضخماً جداً.

سأل: «ما هذا المكان؟». فيما تأملت عيناه الشارع. مرّا أمام مبنى دار عبادة خشبي بعيد عن الطريق العام، وهناك شكل ديك صغير يدور فوق برجها. قرب دار العبادة، وعبْر مجموعة من الأبواب المفتوحة، رأى كاو رجلاً يضع مئزراً جلدياً ويطرق على قطعة معدنية متوهجة. توقف الرجل عما يقوم به، وأومأ برأسه إلى بلاك كورفوس الذي أخفض قبعته قليلاً مستجيباً للتحية. ومجدداً، أحسّ كاو أنه غير منظور هنا.

قال كورفوس: «هذه بلاكستون». ثم توقف بسبب قطيع من الأغنام اعترض طريقهما.

فقال كاو وهو يسير مسرعاً خلفه: «متى؟».

قال كورفوس: «السنة غير محددة. قرابة العام 1680. يحمل حجر منتصف الليل ذكرياتي، وهذا المكان مصنوع منها. أنا مسرور

أقرأناكموه

لأنك جئت يا جاك».

قال كاو: «أحتاج إلى مساعدتك».

فردّ كورفوس: «دعنا نذهب إلى مكان نستطيع التكلم فيه».

مـرّا أمـام مقهـى واصطبـل، وأمام مجموعة من النسـاء اللواتي خرجن من متجر يعرض فساتين خلف واجهته الزجاجية. ثمة صبي اجتاز الشارع حاملاً كومة من لفافات الخبز على صينية.

بلاكستون صغيرة، ولكنها مكان يضجّ بالحيوية. أخفض رجلان يلعبان الورق ويجلسان على إحدى الشرفات قبعتيهما لإلقاء التحية على بلاك كورفوس، فلوّح لهما.

وفـي نهاية الشـارع، كان هناك جسـر خشـبي فـوق نهر صغير. عبرا الجسر، ثم صعدا على هضبة بين المراعي، حيث سنابل القمح الذهبيـة تتمايـل بفعـل النسـيم البـارد. لحـق كاو برفيقه الذي تسـلق الهضبة بسرعة. كان كاو يلهث عندما وصلا إلى القمة، حيث توجد شجرة واحدة أغصانها ممتدة فوق بئر صغيرة.

سأله كورفوس بعد أن جلس على حافة البئر: «ماذا تريد مني؟».

فأجاب كاو: «أحتاج إليك لأتمكن من مساعدة صديقتي».

عندهـا، نظـر كورفـوس إلى البلدة تحتهمـا. كانت فعلاً صغيرة جـداً، فهـي تضـمّ فقـط ثلاثيـن مبنـى ربمـا مـع حقول خلفهـا تمتد على مسـاحات شاسـعة. بعد قليل، تنهد كورفوس ثم قال: «الأرملة البيضاء».

فسأله كاو مستغرباً: «كيف عرفت!؟».

«أحـس بالأشـياء عبـر الحجر. إنه صلة الوصـل بين هذا العالم

أقرأناكموه

وعالمك؛ إذ تستطيع الأشياء المهمة التسلل إليه، والتغلغل عبره».

قال كاو: «لا بد من وجود طريقة لتحريرها». وارتجف، إذ أصبح الهواء أكثر برودة.

غير أن بلاك كورفوس قال: «لا توجد طريقة». ثم استدار، وثبتَ عينيه السوداوين على كاو قبل أن يتابع: «لا تقلل من أهمية عناد سلالة العناكب يا جاك. فهي لا تتوقف أبداً عن حياكة شباكها الشريرة. إنها تكرهنا، ولطالما كرهتنا. والأرملة البيضاء تكرهك أيضاً، ولن ترتاح قبل أن تموت».

فقال كاو: «لكن الرجل الدوام هو الذي يكرهني، وليس سيلينا. لقد استولى على جسدها نوعاً ما، وحوّلها إلى الأرملة البيضاء».

فقال بلاك كورفوس موضّحاً: «اسم عدوك ليس مهماً؛ فكل خارقي العناكب أشرار. هذا ما يجدر بك معرفته». ثم وقف ورفع الغطاء الخشبي الموجود في أعلى البئر.

«لكن...»

غير أن كورفوس قاطعه مشيراً إلى الأعماق: «تعال، وسترى».

عندها، اقترب كاو من البئر ونظر من فوق حافتها، فعكست المياه السوداء صورة وجهه هنيهة، وذكّرته بسطح حجر منتصف الليل. ثم تمدد كورفوس ممسكاً حصاة بيده قبل أن يفلتها. وفيما انتشرت التموجات على سطح الماء، تكوّنت صورة في السائل، مؤلفة من ظل وضوء، ولكنها كانت واضحة تماماً.

إذ ظهر ولد في زاوية غرفة والعناكب تتجه صوبه من كل جانب، فيما وقف رجل عجوز قربه ضاحكاً على نحو متقطع. ثم وقعت

حصاة أخرى على سطح الماء، فتبدلت الصورة، وظهرت امرأة شاحبة مستلقية بسكون على سرير مزخرف فيما العناكب تزحف فوق منضدتها وهي تحمل قلادة على ظهورها. سأل كاو: «ما هذا؟».

فأجاب بلاك كورفوس: «إنه التاريخ. سلسلة العناكب شريرة في الصميم، ومهمتنا هي القضاء عليها إلى الأبد».

عندها، نظر كاو إلى عينَي كورفوس قائلاً: «لكنني لا أستطيع قتل صديقتي».

فما كان من كورفوس إلا أن وضع يداً على كتفه، وشدّ عليها قليلاً وهو يقول: «أنت لا تفهم. لقد ماتت أصلاً، يا كاو. فهي مثل الفريسة العالقة في شرنقة حريرة ويتم استنزافها ببطء. ففي اللحظة التي استولى فيها الرجل الدوام على جسدها، أخذ منها قوة الحياة. وسيصبح قريباً قوياً بما يكفي للتواجد من دونها».

فسأله كاو مرتعداً: «ماذا تقصد؟».

أجاب كورفوس: «أقصد أنها إناؤه المؤقت، وسوف يستنزف جسمها ويترك قالباً فارغاً، قبل أن ينهض مجدداً».

هزّ كاو رأسه بقوة رافضاً الفكرة وقال: «لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً. فالرجل الدوام قد مات».

فقال كورفوس: «طالما أن روحه حية فسيجد طريقة للعودة. والفتاة هي تلك الطريقة. أتعاطف معك يا كاو، فقد خسرتُ الكثير من الأصدقاء بسبب العناكب، وبالتالي أفهم شعورك». ثم أعطى كاو حصاة،

فأخذها كاو ورماها في البئر. وفيما غرقت الحصاة تحت الماء

رأى صورة أخرى؛ عناكب تتدفق فوق رجل وامرأة راحا يتلويان ألماً قبل أن يسقطا. إنهما والداي.

نظر كاو بعيداً ثم قال: «كان هذا الرجل الدوام وليس الأرملة البيضاء».

فأجاب كورفوس: «إنهما الكائن نفسه. لديك واجب يا جاك؛ إذ عليك الحؤول دون تعرّض صديقتك للمزيد من العذاب. يجب عليك القضاء على سلالة العناكب إلى الأبد. لأجلنا، ولأجل أمك، ولأجل كل خارق آخر يعيش حياة طيبة».

شعر كاو بالغثيان، وثبّت نفسه على حافة البئر مراقباً الماء الذي راح يتحرك في الأسفل. اضطربت معدته فأغمض عينيه، لكنّ المشهد الذي رآه على صفحة المياه ظلّ ماثلاً أمام عينيه.

«كاو». ناداه صوت لا يخص كورفوس. وحين حدق إلى الأسفل، رأى وجهاً آخر في الماء، مشوشاً وغير واضح. اختفى الهواء البارد الذي كان يهب على الجهة الخلفية من عنقه، فأدرك كاو أن هذه الرؤية تحرره. أحسّ بسطح قاسٍ تحت وجهه، وشعر بذراعين تهزانه، ثم شعر بوخز ساخن في وجنته.

وما إن طرف عينيه حتى رآى وجهاً ممتلئاً يحدق إليه، وارتفعت يد فيليكس كوايكر لصفعه مجدداً. عندها، عاد كاو إلى العلية، وشعر بالغثيان فيما تمايلت الغرفة أمام عينيه، فأبعد يده عن حجر منتصف الليل.

قال خارق الهررة: «حان الوقت».

وكانت الغربان تنعب بغضب.

سأل كاو: «ماذا يجري؟».

فقال غلام: وأخيراً! اعتقدنا أنك فقدت صوابك.

أحس كاو بتشوش كبير. كان منقار الغراب ملقى على الطاولة. لم يكن هنا من قبل، أليس كذلك؟ ثم تذكر أنه سبق له أن طلب إلى الغربان إحضاره من المعمل حيث وقع. لا بدّ أن كراك والغربان الأخرى أحضرته إلى هنا. تمتم: «كم الساعة؟».

قال كوايكر: «مضى على غيابك عنا قرابة الساعتين».

طرف كاو عينيه بشدة، إذ شعر أنه لم يمرّ أكثر من عشر دقائق على وضعه يده على الحجر، ثم قال: «تحدثت إلى بلاك كورفوس».

قالت شيمر: وماذا قال؟

نظر كاو إلى كل من غربانه ثم أجاب: «قال إنه لم يعد بوسعنا القيام بأي شيء لإنقاذ سيلينا بعد أن تحولت إلى الأرملة البيضاء».

فقالت شيمر: أوه!

وأضاف كاو: «قال إن الرجل الدوام يستخدمها، وإنها وسيلته ليعود إلى الحياة».

فقال كوايكر: «وهل صدقت الآن؟». وقطّب خارق الهررة جبينه بشدة.

سأله كاو: «هل كل شيء على ما يرام؟».

أجاب كوايكر: «أنت أخبرني». وأشار إلى زاوية الغرفة حيث كانت حمامة ميتة ملقاة على الأرض، بعد أن انتزعت منها كتل عدة من الريش. ثم تابع: «وجدتها قططي تتجسس علينا. من يعرف أنك هنا؟».

أقرأناكموه

فأجاب كاو: «لا أحد. أو هذا ما اعتقدته على الأقل».

توجّه كوايكر إلى السرير بغضب، وسحب حقيبة من تحته قائلاً: «عرفتُ أنه لم يكن يجدر بي التدخل. كل ما أردته هو مكان أعيش فيه بسلام! لماذا لا تتركونني وشأني؟!». وبدأ يوضب ملابسه في الحقيبة المفتوحة.

فقال كاو: «هكذا إذاً! أترغب في الانعزال؟».

توقف كوايكر وقد أدار ظهره إلى كاو فيما احتشدت القطة حول قدميه وقال: «لم أرغب في أي مما حصل». ثم توجه نحو الباب وهو يتابع كلامه: «سأسوّي المسألة مع مالك الأرض». وبعد ذلك اختفى.

جثم سكريتش على كتف كاو قائلاً له: مرحباً سيدي.

فقال له كاو: «إذا أردت السؤال عن البسكويت مجدداً، فأرجوك لا تفعل».

قال سكريتش: اسمع، أنت تعرف أنني مستعد للحاق بك إلى كل مكان. وبدا صوته جدياً أكثر مما عهده كاو.

فقال كاو: «سكريتش، أنت وفيّ جداً».

غير أن الغراب تابع كلامه قائلاً: لكن، هذه المرة... يبدو الأمر مختلفاً. أقصد، لقد قتلته، ولكنه عاد الآن. أعتقد أنه من الأفضل...

فسأله كاو بعصبية: «ما الذي تريده مني؟».

رفع سكريتش جناحه بطريقة عصبية وقال: يجدر بنا ربما عقد الصلح مع بقية الخارقين. نستطيع تدبر الأمر بمفردنا، لكن القوة في العدد، أليس كذلك؟ على الأقل، إلى أن نعرف ما الذي ينتظرنا.

أقرأناكموه

عندها، هزّ كاو كتفه فوقع سكريتش وهبط على الأرض.

قال كاو: «ليس الآن». ثم لفّ حجر منتصف الليل بقطعة القماش مجدداً، ووضع منقار الغراب في غمده وقال: «عليّ التفكير».

قال سكريتش: صحيح. تعرف أنني معك دوماً. مهما حصل.

في تلك اللحظة، هبط مورتون وغراب آخر من السماء وجثما على الطاولة، وكانا مضطربين.

فسألهما كاو: «ماذا يجري؟».

قفزت الغراب الجديدة من جانب إلى آخر وقالت: العناكب منتشرة في كل مكان! لقد عادت إلى معمل الكهرباء. نحن نتعرّض للهجوم!

فجأة، لم يعد مكبّ النفايات مجرد مساحة مليئة بالنفايات وخالية من الحياة، فقد انتشرت فيه العناكب بأعداد هائلة. لا بدّ أنها فاجأت الغربان وزحفت من الأسفل؛ لأن العديد من الغربان كانت عالقة على الأرض، وهي تحاول عبثاً التحرر والإفلات من الشباك.

حلّق كاو في الأعلى بمساعدة غربانه، ورأى كراك وهي تحاول التحليق بجناحين ضعيفين، ثم تنهار مجدداً. وثمة غربان أخرى وقعت أرضاً وراحت تحاول إبعاد العناكب عنها، غير أنها سرعان ما كانت تُغطى بالعناكب مجدداً.

حلّق غلام وسكريتش وشيمر في الهواء، فيما حلّق كاو فوقها. كانت العناكب في كل مكان. طلب كاو من غربانه التي تحمله أن تنزله، وسحقت قدماه العناكب عندما ارتطم بالأرض. راح يسحق العناكب بقدميه منقذاً الغربان حيث استطاع، ومُبعداً العناكب عن

أقرأناكموه

أجنحتها، ورافعاً الغربان إلى الأعلى لتصبح في الهواء بأمان. آلمته يداه من شدّة اللدغات، وأحس بالعناكب تتغلغل تحت ملابسه.

صرخ: «انسحبي!».

فصرخ مورتون: أنقذي نفسك أيتها الغربان. لكن، فيما ارتفعت موجة من الغربان إلى الأعلى، بقي العديد من الغربان الأخرى عالقة على الأرض. رأى كاو شباك العناكب تلتف حول ظهورها، وبين ريشها، وحتى فوق عيونها. هذا ليس هجوماً عشوائياً، بل مجزرة تم التخطيط لها.

ثم رأى حركة في أعلى جدار معمل الكهرباء القديم.

ثمة شيء شاحب ينظر عبر نافذة.

الأرملة البيضاء.

استدعى كاو غربانه فرفعته عن الأرض بمخالبها، ووقعت العناكب عن جسمه. تجاهل وخزات الألم التي يشعر بها بسبب لدغ العناكب له، وركّز على معمل الكهرباء. غير أنه لم يعد قادراً على رؤية أي شيء حين زحفت العناكب على وجهه، وتوجّب عليه خدش بشرته لإبعادها عنه.

وأخيراً، حملته الغربان عبر نافذة المبنى المهجور، ووضعته في ردهة مستديرة عملاقة. كانت هناك قضبان معدنية عملاقة تتشابك في المساحة الفارغة، فيما الأرض تحتها مليئة بالأوساخ. تحرك كاو ذهاباً وإياباً، ومسحت عيناه كل زوايا المبنى. لا أثر أبداً للأرملة البيضاء. دخل عبر نافذة أخرى وارتفع صوب السقف.

عندها، سمع كاو شيمر تصرخ: إنها تنسحب!

وفيما أعادته غربانه إلى فناء مكب النفايات، رأى آخر العناكب وهي تختفي عبر فجوات بين النفايات، وتغيب عن الأنظار مثل المياه السوداء المتغلغلة في الرمال، وقد تركت خلفها عدداً كبيراً من الغربان المصابة التي خفقت بأجنحتها بضعف أو مشت وهي تعرج. لم يعرف كاو ما يجب عليه فعله، كما لم يعرف السبب الذي جعل الأرملة البيضاء تسحب كل عناكبها.

هبطت الغربان على الأرض تدريجياً للانضمام إلى السرب، فيما ظلّ غراب واحد يحلّق في الهواء، ووقف كاو وسط المشهد المريع.

قال غلام: أين سكريتش؟ سكريتش! وراح يحلق ذهاباً وإياباً باحثاً عنه.

تأملت عينا كاو النفايات بحثاً عن غرابه الوفي. ولمح مجموعة صغيرة من الغربان تقف قرب بركة كبيرة من الماء الراكد. وقفت كلها في الاتجاه نفسه، من دون حراك. وفي تلك البركة من المياه القذرة، كان ثمة شيء يطوف على جانبه، شيء أسود يبدو مثل الخرقة البالية.

بدأ كاو يركض فوق كومات النفايات. تعثر ووقع، ثم نهض وركض مجدداً. تردد في أذنيه صوت نعيب قويّ لم يسمعه من قبل قط؛ صراخ غراب عرف أنه آتٍ من غلام.

ومرّت شيمر أمامه صارخة: لا... لا...

وقفت الغربان جانباً حين وصل كاو إلى البركة. فنظر إليها مباشرة آملاً في قرارة نفسه أن يكون مخطئاً، غير أن ما رأته عيناه

أقرأناكموه

أثبت له أنه غير مخطئ.

رفع جثة سكريتش من المياه بين يديه.

10

هبّت رياح قوية فوق مكبّ النفايات، فعصفت بملابس كاو المتسخة، ونفخت ريش غربانه. حمل كاو سكريتش بين يديه، وكان عديم الوزن، فيما تدلى رأسه الصغير بلا حياة وتقوّست مخالبه، وتحوّل لون عينيه إلى لون الغموض الأبيض ضمن عمقهما الأسود، كما لو أن هذا إنذار بدخول أرض الموتى.

استدار غلام بعيداً عاجزاً عن رؤية المشهد، فيما كانت شيمر تتحدث إلى الغراب الأكبر بصوت خافت لا يستطيع كاو سماعه. أما بقية الغربان فراقبت سيدها بعيون شاخصة. جلس كاو على الأرض شابكاً ساقيه، ثم وضع جثة الغراب في حضنه وبدأ يبكي.

كان سكريتش معه منذ البداية تقريباً. فقد كان أول غراب فهمه كاو فعلاً، وأول غراب أحضر له نصف شطيرة بدلاً من دودة حية. لقد كبرا معاً مثل أخوين، وفيما تحوّل كاو من ولد عمره خمس سنوات إلى مراهق، بقي سكريتش على حاله؛ مضحكاً، وذكياً، ووفياً.

لطالما عرف كاو أن سكريتش مستعد لدخول النار من أجله، كان مستعداً ليعطيه حياته.

وها قد فعل ذلك الآن.

لم يخف سكريتش من الخطر يوماً، بل لحق بكاو إلى كل مكان؛ حتى عندما طلب إليه كاو عدم فعل ذلك. لطالما كان إلى

جانب سيده.

«لا يمكنه أن يرحل. لا يمكنه».

قالت شيمر: أوه، كاو.

لم يدرك كاو أنه تحدث بصوت عالٍ. جثمت شيمر على ركبته وأخفضت رأسها لجعله بالقرب من رأس سكريتش. إذ لطالما اتفق الغرابان على كل الأمور، لكن المنافسة بينهما كانت قوية أيضاً. فقد أحب سكريتش الظهور، فيما استمتعت شيمر بتحطيم كبريائه.

قالت له: تقول الغربان إنه أنقذ ثلاثة غربان أخرى قبل أن تقتله العناكب.

أجهش كاو بالبكاء بصوت عالٍ ما إن سمع كلامها، وحاول السيطرة على ذلك. وظل يتوقع أن يخفق سكريتش بجناحيه، وأن يسمع صوته وهو يقول له: لقد خدعتك!

لكن سكريتش لم يعد يشبه نفسه.

مسح كاو عينيه ونظر إلى غلام. كان الغراب العجوز يحدق بعيداً، فناداه كاو: «غلام».

استدار غلام نحوه منخفض الرأس وقال: أخبرتك أنك لا تستطيع القيام بذلك بمفردك. وقد حاول سكريتش قول ذلك لك أيضاً.

بدا كاو مرتبكاً وقال: «لم أعرف أن هذا سيحصل. ظننتُ أننا بأمان هنا».

غير أن غلام هزّ منقاره بغضب وقال: لن تكون بأمان من العناكب أبداً. اعتقدتَ أنك غلبت الرجل الدوام مرة، وأنك بالتالي

أقرأناكموه

تستطيع أن تغلبه مجدداً بمفردك.

فقال كاو: «لا! بل أردت فقط مساعدة سيلينا».

عندها، أصدر غلام صوت اشمئزاز واستنكار وقال: غطرستك هي التي تسببت في قتل سكريتش.

فما كان من شيمر إلا أن تدخلت قائلة: غلام، هذا ليس عادلاً. كاو...

لكنّ غلام راح يقفز بعيداً فوق النفايات.

قال كاو: «غلام، انتظر!».

فقالت له شيمر: دعه يذهب. امنحه بعض الوقت.

عندها، تنهد كاو حزيناً. فإذا كان سكريتش مثل أخ له، فقد كان بمثابة ابن بالنسبة إلى غلام. صحيح أن الغربان لا تملك عائلة مثل البشر، لكن الحب العميق الذي كنّه غلام لسكريتش كان واضحاً جداً من تصرفاته.

وهو محق في ذلك.

لو تصرف كاو بطريقة مختلفة، فهل كان سكريتش سيبقى على قيد الحياة؟

قالت شيمر كما لو أنها تقرأ أفكاره: لا تصغِ إليه. إنه منزعج فقط.

لكنّ كلماتها لم تفلح في تخفيف الألم الذي يشعر به. وتساءل كاو عمّا إذا كان رأي شيمر في أعماقها مماثلاً لرأي غلام. وماذا عن الغربان الأخرى؟ لقد ترعرع طوال أعوام عدة مع ثلاثة غربان فقط إلى جانبه، ولم يكن يعرف أنه قادر على التحكم في المجموعة

أقرأناكموه

كلها. لقد حصلت التغيرات بسرعة كبيرة، حيث أدرك كاو أنه أحياناً سلّم بها جدلاً. هل ستلحق به الغربان دوماً، أم أن لوفائها حدوداً؟

نظر إلى الخلف نحو النافذة التي رأى عبرها الشكل الشاحب وقال: «أعتقد أنها كانت هنا، أعني الأرملة البيضاء. كانت تراقبنا».

فقالت شيمر: إذاً، لماذا لم تقضِ علينا؟

ازداد حزن كاو وقال: «الرجل الدوام يعاقبني. إنه لا يريد قتلي فقط، بل يريد إيذائي أيضاً. ولهذا السبب، طاردت العناكب سكريتش».

بقيت شيمر صامتة هنيهة ثم قالت: عليك الآن أن تسمح للغربان بالاهتمام به. فثمة مكان يمكنها نقله إليه.

عندها، أومأ كاو برأسه بصمت.

فهذا أحد الأمور الغريبة بشأن الغربان؛ إذ إنها لا تترك أبداً جثث الغربان الميتة لتتحلل بمفردها. وبالفعل، لم يتم يوماً العثور على غراب ميت على الأرض، إذ تأخذ الغربان الجثث إلى مكان غامض. وأدرك كاو أنه لا يجدر به السؤال عن ذلك المكان.

وضع سكريتش على الأرض، فتحلقت مجموعة من الغربان ببطء حوله.

قالت شيمر: انتظر! ما هذا؟

فتراجعت الغربان إلى الخلف.

نظر كاو جيداً وسألها: «ماذا هناك؟». فبالرغم من كل شيء، تجرأ على الأمل بأنه ارتكب خطأ وأن سكريتش لا يزال حياً.

لكن الجثة بقيت جامدة تماماً.

أقرأناكموه

عندها، تمتمت شيمر: انظر إلى مخالبه، إنه يحمل شيئاً فيها.

وفتحت شيمر مخالب سكريتش المقوسة بمنقارها، فرأى كاو شيئاً أبيض يتلوى داخلها، وبرزت رجل نحيلة.

قال: «إنه عنبكوت!».

تراجعت بقية الغربان إلى الخلف.

وقال أحدها: اقتله!

وأضاف آخر: فلنمزقه إرباً. رجلاً واحدة في كل مرة.

عندها، وضع كاو يده فوق جثة سكريتش وقال: «لن يلمسه أحد».

أبعد كاو مخالب سكريتش عن بعضها برفق، فوقع العنكبوت على ظهره على الأرض. كان أبيض اللون، وأحس كاو بالقشعريرة.

تدحرج العنكبوت ثم بدأ يسير بعيداً.

قال غراب: أريده! ونقره بمنقاره.

غير أن كاو أزاح الغراب جانباً وقال له: «قلت لك اتركه وشأنه!».

لم يعرف العنكبوت إلى أي اتجاه يذهب، إذ صدّ غراب طريقه كلما سلك اتجاهاً معيناً.

قالت شيمر: لماذا تحميه؟

وقالت كراك مستنكرة: لقد سمم سكريتش! إنه قاتل!

رفع العنكبوت أرجله الأمامية بتحد. كان أكبر مما رآه كاو آخر مرة قبل بضعة أسابيع، ولكنه عرف نوعاً ما أنه العنكبوت نفسه. إنه العنكبوت الأبيض لذي لمحة أول مرة في المقابر حيث دفن أهله، خارج بلاكستون، بعد فترة وجيزة من معركته مع الرجل الدوام في

أرض الموتى.

اهتاجت الغربان وبدت عيونها جشعة وساطعة. رأى كاو قنينة بلاستيكية قديمة فوق كومة النفايات المجاورة، فمد يده وأمسك بها، ثم فتح الغطاء وضع عنق الزجاجة المفتوحة قرب العنكبوت، واستخدم الغطاء لإدخاله إليها.

قالت كراك: ماذا تفعل ؟! إنه العدو!

وقف كاو، ثم أغلق غطاء القنينة، وتأمل العنكبوت الذي بات الآن عالقاً في الداخل. كان كوايكر أول من أخبره أن الكائنات البيضاء بصورة غير طبيعية، مثل الغراب ميلكي الذي كان مع كاو، هي تلك التي عادت نوعاً ما من أرض الموتى. هل ينطبق الشيء نفسه على هذا العنكبوت؟

كانت الغربان تراقبه، وللمرة الأولى، أحس بشيء من عدم الرضى في نظراتها فقال: «اهتمي بسكريتش». عاجزاً عن إخفاء الغضب الذي بدا واضحاً في صوته.

تحلقت الغربان حول الجثة، ووضعت مجموعة منها مخالبها بعناية فوق جناحَي سكريتش، ثم رفعته مثل الرجال الذين يحملون النعش. وفي غضون لحظات، باتت الجثة محمولة في الهواء، ولحقت بها الغربان الأخرى عن قرب. وقفت شيمر قربه، فيما راقب كاو سرب الغربان وهو يختفي بين الغيوم.

حاول السيطرة على حزنه؛ فالوقت المناسب للحزن على صديقه سيأتي لاحقاً.

قال: «أريد التحدث إلى كوايكر مجدداً. وإذا أسرعنا، فقد

أقرأناكموه

نتمكن من اللحاق به».

أمالت شيمر رأسها وسألته: هل أنت واثق من أنه سيفرح برؤيتك؟

هزّ كاو كتفه. ما الخيار الآخر المتاح له؟

قالت شيمر: أوه رائع! ثعالب.

رآهما كاو أيضاً. إذ كان ثعلبان أحمرا اللون يقفان على السقف المحاذي لمكان كوايكر. أحسّ بشعور الغربان بالتعب عندما أمالته جانبياً، وحملته بالقرب من المبنى. لم يعرف ما إذا كان سبب ذلك يرجع إلى المعركة التي حصلت في مكب النفايات، أو إلى خسارتها العديد من رفاقها. صحيح أنها أطاعت أوامره- وحلّقت كالمعتاد لرفعه في السماء- غير أنه تساءل عن رأيها فيه الآن. لكم من الوقت يستطيع الاعتماد على ولائها له.

حلّقت الغربان في السماء، ولمح كاو شخصاً في الغرفة في الأسفل. إنه جوني فايفتايلز، وكان يقلّب أغراض كوايكر الضئيلة. لقد قام الخارقون الطيبون بتعقب أثر كوايكر أيضاً. وهذا يعني أنهم يبحثون عن كاو.

سألته شيمر: ماذا سنفعل؟

تساءل كاو عما إذا كانت ليديا وبيب معهم.

عادت أفكاره إلى ذكرى المواجهة الأليمة في مرأب السيارات. فقد وقفت والدة ليديا مع جوني فايفتايلز، أليس كذلك؟ إنهما صديقان قديمان، وثمة تاريخ يجمعهما. فجأة، لمح كاو قطة ميتة

أقرأناكموه

وممددة إلى جانب المبنى، فيما فروها الأبيض عند حنجرتها ملطخ بالدم.

تمتمت شيمر: أوه لا. لا بدّ أنها رأتها أيضاً. هل تظن أن ثعلباً فعل ذلك؟

فقال كاو: «أو ذئب قيوط».

في كلتا الحالتين، بدا جلياً أن جوني وفيلما ستريكهام لا يقومان بزيارة ودّية إلى كوايكر.

قال كاو: «سأحاول إخفاء حجر منتصف الليل مجدداً».

فسألته شيمر: أين؟

كان تفكير كاو مضطرباً، فأمر غربانه بنقله إلى المكان الوحيد الذي استطاع التفكير فيه.

كانت مكتبة بلاكستون ظلاً لسابقتها، إذ بدت نوافذها العملاقة مغطاة بالألواح الخشبية، فيما نمت الأعشاب الخضراء في الخارج بشكل مفرط. تكدّست كومات النفايات على الدرج، وغطت رسوم الغرافيتي كل الجدران. وكان ثمة شريط أصفر يشير إلى مسرح الجريمة عالق بين أغصان شجرة صغيرة مجاورة. إنه تذكير بالرعب الذي شهده كاو قبل أسابيع قليلة.

هبطت الغربان على جانب المبنى، قرب الدرج المؤدي إلى نافذة الحمام. كان المكان مغطى بالألواح الخشبية، لكن كاو نجح في إبعادها، ثم صعد فوقها ولحقت به شيمر.

قال: «لن يبحث عنا أحد هنا».

أقرأناكموه

كان الجو في الردهة الرئيسة بارداً، والضوء الوحيد الذي يُنير المكان كان آتياً من بعض النوافذ القذرة في القبّة الموجودة في أعلى المبنى. كانت الرفوف شبه فارغة، وحدها بعض الكتب بقيت مبعثرة على الأرض بين الأوراق المرمية، فيما فاحت رائحة العفن والرطوبة من المكان كله.

لم يزر كاو المكتبة منذ أن وجد مع ليديا مديرة المكتبة السيدة والاس مقتولة على يد الرجل الدوام. لم تكن السيدة والاس خارقة، ولم يكن لها أي دور في حروبهم، بل كانت فقط المرأة التي أشفقت على كاو، وأعارته الكتب، وأعطته كوب الشوكولا الساخن بين الحين والآخر.

خلع كاو سترته وأفرغ جيوبه، ثم وضع القنينة التي تحتوي على العنكبوت على طاولة مكتب، ثم توقف وحدّق إلى الرفوف الفارغة. أحس بالحزن يتدفق في جسمه. فحين كانت السيدة والاس مسؤولة عن المكتبة، كان المكان دافئاً وحميماً، مسالماً وآمناً، وكل شيء فيه كان مرتباً.

لكنّها ماتت الآن، إنها ضحية أخرى بريئة عانت بسبب كاو.

هو السبّب في ذلك؛ كما أنه السبب أيضاً في ما حصل لسكريتش، ولكلب ليديا بنجي أيضاً الذي قتلته أفاعي مامبا. أينما ذهب كاو فالموت يلحق به، فيما يستمر هو في الهرب منه. إنه ليس أفضل من كوايكر. لا، بل هو أسوأ. فكوايكر لا يملك خياراً، أما كاو فلديه خيار، والحلّ موجود أمامه. حاول كورفوس إخباره، لكن كالمعتاد، حاول كاو تفادي الحقيقة.

أقرأناكموه

نظر إلى يديه الزرقاوين بسبب البرد، والمغطاتين بلدغات العناكب المؤلمة، ثم حرّك يديه وأطبقهما في قبضتين، وشدّ بقوة كبيرة لدرجة أنه أحسّ بالدم ينبض في أطراف أصابعه؛ نبض الغضب والكراهية.

لقد حان الوقت للسيطرة...

و لإنهاء ذلك.

قال: «كان كورفوس محقاً».

فأمالت شيمر رأسها وسألته: ماذا تقصد؟

أخذ كاو نفساً عميقاً، وأحس بالحرارة في صدره، وبالاتقاد في بشرته، ثم قال: «بشأن الأرملة البيضاء. هذا يكفي. إنها خارقة العناكب الآن، وهذا هو المهم».

راقبه العنكبوت السجين في القنينة بعينيه البيضاوين. فخطرت في بال كاو فكرة.

ربما كان يراقبني طوال الوقت.

ثم تردّد وقطّب جبينه.

فسألته شيمر: ما الأمر؟

اقشعرّ بدن كاو فيما بدأ بجمع التفاصيل كلها معاً. هل هذا ما قصده الرجل الدوام في المصح العقلي؟! لم ينتبه كاو إلى كلامه كثيراً آنذاك، ولكنه منطقي.

ماذا عن أول مرة رأى فيها العنكبوت في المدافن، بعد يوم واحد من عودته مع ليديا من أرض الموتى. ظن كاو حينها أنهما الوحيدان اللذان عادا إلى العالم الحقيقي، لكنّ عنكبوتاً صغيراً تسلل

أقرأناكموه

من هناك أيضاً.

لم يلاحظ ذلك قط.

هذا ما حصل على الأرجح.

كان يلاحقه؛ طوال هذا الوقت.

في دار العبادة حيث عاش كرامب، وفي منزلي، وعلى سطح شقة سينتيا دافنبورت...

راقبه العنكبوت بتحدٍّ، واستطاع كاو أن يشعر بالخبث في ذلك الجسم الصغير.

قالت شيمر: كاو، هل تسمعني؟

فتمتم كاو: «كان جوني فايفتايلز محقاً. إنّ حجر منتصف الليل هو الذي جعل سيلينا هكذا. فعندما كانت على سطح الشقة، كانت تمسك بالحجر. لكن، لم يلمسها أي عنكبوت عشوائي». وأشار إلى القنينة، وتابع كلامه: «فهذا هو العنكبوت الذي لمسها. إنه داخلها؛ روح الرجل الدوام».

أمسك كاو بالقنينة، فيما خفق قلبه بقوة.

فقالت شيمر: كاو، انتظر!

صرخ كاو: «كان يجدر بي الإصغاء إلى الغربان. كان يجدر بي السماح لها بقتلك». ثم فتح غطاء القنينة، وقلبها رأساً على عقب وهزّها بقوة، فوقع العنكبوت على الأرض. عندها، رفع كاو حذاءه عالياً، ثم أخفضه بقوة كبيرة، فتردد صوت الضربة في المكتبة الفارغة.

قالت شيمر: حسناً، هذه طريقة جيداً للتعامل معه.

بدأ غضب كاو يخف، ولكنه لم يشعر بالرضى. رفع قدمه للنظر

أقرأناكموه

إلى الجسم المسحوق...

لكنه لم يجده هناك!

«أين هو؟».

وأحس بألم في كاحله.

قالت شيمر: أين العنكبوت؟

عندها، اضطرب كاو فيما أصيب بنوبة دوار.

قالت شيمر: كاو! ابق قوياً!

في تلك الأثناء، وقع نظره على كرسي فتوجه إليه، غير أنه شعر كما لو أن قدميه تخصان شخصاً آخر، ولم يعد بوسعه الإحساس بالأرض تحته. فجأة، خانته ساقاه فوقع على ركبة واحدة.

قالت شيمر: كاو!

فتمتم قائلاً: «ساعديني». وازداد خوفه فيما كافح للتنفس، وأحسّ بالضيق والألم في حنجرته، فتشبث بعنقه، فيما شعر بالضغط يزداد في صدره.

هل أتعرض لنوبة قلبية؟!

فجأة، وقع على وجهه، ورأى شيمر أمامه تخفق بجناحيها وتصيح، فقال لها مجدداً: «ساعديني». ثم امتدّت أصابعه إلى الكيس المعلق حول عنقه، وأطبقت على حجر منتصف الليل، وبعد ذلك أصبحت رؤيته معتمة وتقلص العالم من حوله.

وسرعان ما أصبح كل شيء أسود.

11

طاف فوق بلاكستون وفقاً للتيارات الهوائية. لم يكن صبياً ولا غراباً، وإنما كان شيئاً أكثر خفة؛ روحاً ربما. أحس أنه عديم الوزن فيما حملته التيارات الهوائية فوق نهر بلاكواتر، وعالياً فوق الأضواء الصفراء الوامضة للطرقات السريعة. في الأمام، كانت نوافذ الأبراج في المنطقة المالية تومض بالفضي والأسود، وثمة حركة على سطح أحدها. ارتفعت طائرة مروحية في السماء، وحلّقت الغربان أيضاً، الآلاف منها... وبين الغربان على السطح، رأى صبياً يرتدي ملابس سوداء ممزقة، ويحمل منقار الغراب، ويقف قرب أم الذبابات المهزومة، وثمة فتاة جالسة القرفصاء قربها، تحمي جثة أمها.

سحبه الحلم إلى أعماقه أكثر، فرأى عنكبوتاً أبيض صغيراً على عنق سيلينا. كان المشهد واضحاً مثل نجمة مضيئة في سماء سوداء. غرز العنكبوت مخالبه في بشرتها، فانهارت أرضاً، ووقع حجر منتصف الليل من يدها. رأى نفسه- الصبي الذي يقف على السطح- يُسرع للإمساك بها، ثم تحرّكت الغربان حوله وحجبت عنه الرؤية.

وعندما انفصلت الغربان مجدداً، كانت روح كاو في مكان مختلف تماماً... فوق غابة ممتدة لأميال عدة؛ رغم أنه رأى مدينة بعيدة. أهي بلاكستون؟ ربما.

غاص بين أشجار الغابة، فارتطمت الأوراق بوجهه، وتكسرت الأغصان فيما مرّ بينها بسرعة خاطفة. تحرك بين جذوع الأشجار،

أقرأناكموه

ورغم رغبته في إغماض عينيه، إلا أنه لم يستطع فعل ذلك. توقّع في أية لحظة أن يرتطم بالأخشاب، غير أن ذلك لم يحصل. ثم وصل إلى فناء خالٍ فأبطأ سرعته. كان ثمة شكل يقف في الوسط حيث نمت الطحالب على شجرة ميتة، وألقى ضوء القمر ظلالاً فضية على كل شيء.

إنّها امرأة شابة. كانت ترتدي معطفاً طويلاً قشدي اللون، وقد تدلّت خصلة داكنة واحدة من شعرها فوق كتفها، وكانت تحمل حقيبة إلى جانبها. رأى قسماتها الدقيقة وحاجبيها السميكين الأسودين، فخفق قلبه بقوة. إنّها أمه قبل أعوام عديدة. بدت شابة جداً حيث لا يتجاوز عمرها العشرين عاماً. رفعت رأسها إلى الأعلى، ولكن ليس نحوه.

إذ ثمة شخص آخر وصل أيضاً.

إنه رجل شاب يرتدي بذلة سوداء مع قميص أبيض مفتوح عند الصدر، وشعره الأسود ممشط إلى الخلف. الرجل الدوام. وبالإضافة إلى شبابه، ثمة شيء غريب فيه لم يستطع كاو تحديده.

نظر إلى أمه مجدداً، ثم تساءل: لماذا لا تهرب؟! حتى إنها لا تبدو خائفة.

تقدّم الرجل الدوام منها، ففتحت له ذراعيها. عندها، تجمّد كاو في السماء مرتعداً وغير مصدق.

شبك الرجل والمرأة يديهما هنيهة، وتحدثا معاً بضع كلمات لم يستطع كاو سماعها، ثم فتحت الحقيبة وأخرجت منها علبة بحجم تفاحة. فتحت والدة كاو العلبة، ثم قرّبتها من خارق العناكب.

telegram @ktabpdf

عندها، رأى كاو حجر منتصف الليل يتوهج داخلها. لمع ضوء القمر على سطحه، فعكس الحماسة الشديدة التي بدت على وجه الرجل الدوام. فجأة، فهم كاو سبب الغرابة في مظهره. فالسبب هو عيناه؛ إذ لطالما رآهما كاو مثل بئرين سوداوين مليئين بالكراهية، لكنّ عينَي هذا الرجل الشاب كانتا عاديتين، على شكل قزحيتين بنيتين ضمن البياض. مدّ الرجل الدوام أصابعه الطويلة والشاحبة نحو الحجر، لكن والدة كاو أغلقت العلبة مجدداً.

ما هذا؟! لماذا أظهرت أمه أغلى ممتلكاتها لألدّ أعدائهم؟! لقد خانت العهد الذي قطعته سلالة الغربان؛ العهد بإبقاء أمر وجود حجر منتصف الليل سراً...

تسارعت الغيوم الداكنة مؤقتاً، فيما أحدثت الأشجار حفيفاً، وسطعت الشمس الحمراء في الأفق ملقية خيوطاً ضوئية أرجوانية وذهبية على الغابة. ثم غابت الشمس بسرعة، وتحوّل لونها من الأحمر إلى البرتقالي، ومن ثم الأصفر، لتصبح السماء بعدها سوداء اللون. في تلك اللحظة، سمع كاو صوت ضحكة وأصوات مدينة ملاهٍ، ثم اختفت الغابة.

وفجأة، صار جالساً على غصن في حديقة عامة، حيث الأزهار متفتحة في أصص عميقة، وحيث توجد نافورة ترش رذاذاً متلألئاً من الماء فوق حوض زخرفي. قفز عن الغصن، وحلّق فوق العشب المجزوز حديثاً، ومرّ عبر بوابة مفتوحة كُتبَت عليها عبارة حديقة بلاكستون بحروف معدنية.

لم تكن الحديقة مثل تلك التي عرفها، إذ بدت مكاناً مهجوراً

ووحيداً لا يدخله أحد. وفي هذه الرؤية، كانت الحديقة مليئة بالأشخاص الذين ارتدوا ملابس قديمة الطراز وسراويل فضفاضة، واعتمروا قبعات عريضة. فيما حملت النساء مظلات ذات ألوان ساطعة، وكان بعض الأولاد يلهون مع كلب صغير راح يركض ذهاباً وإياباً.

تحليق كاو قاده إلى مقعد حيث جلس رجل عجوز وقف أمامه ثلاثة أولاد وهم يراقبونه بذهول، فيما مدّ يديه أمامهم. رأى كاو خيوطاً قطنية معلقة بين أصابعه. لا، إنها رفيعة جداً ودقيقة جداً، وثمة حشرات تتحرك عليها.

شباك عناكب.

خارق عناكب...

اقترب أحد الأولاد من الرجل العجوز ووضع قطعة نقود معدنية في قبعته الموضوعة أمامه على الأرض، فأومأ له برأسه بلطف، ثم ركض الأولاد بعيداً ضاحكين. نظر الرجل إلى كاو وابتسم، ثم هبّ هواء ورفع كاو إلى الأعلى ودفعه بعيداً.

وفيما حلّق كاو فوق الحديقة العامة، رأى المدينة مجدداً، وإنما بشكل مصغر. اختفى السجن وناطحات السحاب، واختفت المنطقة الصناعية التي تقع جنوب النهر، وثمة طرقات واسعة مع منازل كبيرة وعدد من الأحصنة والعربات. طار كاو نحو حديقة أحد المنازل، وهبط على جدار منخفض مغطى بالأعشاب الضارة، حيث توجد فتاتان توأمان تمسكان بيدَي بعضهما وتدوران أسرع وأسرع إلى أن انفصلتا ووقعتا على العشب. عندها، ركضت الأولى نحو الثانية،

أقرأناكموه

ومدّت لها يدها. وعندما لمستا بعضهما، تحركت مجموعة من العناكب على أصابعهما فضحكتا كلتاهما. بعد ذلك، لوّحتا لكاو، وكشفتا عن ابتسامتين خاليتين من بعض الأسنان.

اختفت الفتاتان والمنزل فجأة، ووجد كاو نفسه واقفاً على حافة بئر حجرية تحت شجرة. ومجدداً، كان ينظر إلى بلاكستون القديمة التي أخذه إليها كورفوس. إنه الليل. وكاو وحيد.

فجأة، سمع ضجيجاً- صراخاً- فاستدار بعيداً عن بلاكستون للنظر إلى الحقول حيث تمايلت الذرة. وخلف المحاصيل الوفيرة، لمح كاو نيراناً ملتهبة، فطار عن البئر بسرعة وحلّق فوق الحقول. وصل إلى مخزن منعزل في زاوية حقل بعيد، وكانت النيران تشتعل فيه. تحركت النيران بسرعة نحو المبنى، ورآها كاو تصل إليه. حلّق فوق المخزن مجدداً، فرأى كوّة نصف مفتوحة في الطابق العلوي تحت الإفريز. طار إلى الداخل، وجثم على إحدى العارضات الطويلة الداعمة للسقف.

تحته، كان ثمة أشخاص يحملون مشاعل متحلقين بشكل دائري حول امرأة. كان وجهها متورماً ومصاباً برضوض، وكانت تعرج. تقدّم واحد من المجموعة إلى الأمام، وصفع المرأة على وجنتها براحة يده، فشهق كاو. إنه بلاك كورفوس.

قال كورفوس لرفاقه: «إذا رأيتم أياً من عناكبها فأحرقوها».

عندها، قالت المرأة: «أرجوك... لم أرتكب أي خطأ يا توماس».

فارتسمت ابتسامة سخرية على شفتَي كورفوس وقال لها: «لا تكذبي علينا».

أقرأناكموه

قالت المرأة: «على أية حال، من جعلك زعيماً لنا؟».

عندها، رفع كورفوس يده مجدداً، فتراجعت المرأة إلى الخلف، غير أنه استدار نحو رجل يحمل مشعلاً وأومأ برأسه، فما كان من ذلك الرجل إلا أن أرجع رأسه إلى الخلف وصرخ.

في تلك اللحظة، فُتح باب المخزن ودخل رجل آخر مع ذئبين خلفه، فصرخت المرأة عالياً.

قال الرجل: «ماري!». وحاول الركض إليها، لكن أحد الذئبين شدّه من سرواله فوقع أرضاً. تقدمت المرأة خطوة نحوه، لكن بلاك كورفوس دفعها إلى الخلف، فيما أمسك رجلان آخران بذراعيها. حاولت الإفلات، ولكن من دون جدوى.

وقف كورفوس أمامها وقال: «يا خارقة العناكب، أنت متهمة بإفشاء أسرار الخارقين. فكيف تدافعين عن نفسك؟».

صرخت: «إنه زوجي! أرجوك، لن يخبر أحداً آخر».

فقال خارق الغربان: «إذاً، أعتبرك مذنبة. فلا بد من الحفاظ على أسرارنا... تحت طائلة التعرض لعقوبة الموت».

قالت المرأة: «ماذا جرى لك يا توماس؟ أتفعل كل ذلك لأنني اخترتُ شخصاً آخر؟ ألهذا السبب تعاقبنا؟!».

فأجاب كورفوس: «لا تتفوهي بأية كلمة أخرى. أنت لست جديرة بحمايتي».

عندها، استدارت المرأة نحو الآخرين في المجموعة قائلة لهم: «أيها الأصدقاء، يفترض بنا أن نكون حلفاء! ماثيو، سيد كوبر، ريبيكا، أتوسل إليكم، أوقفوا هذا الجنون!».

أقرأناكموه

لكنّ كلاً من أولئك الأشخاص نظر بعيداً.

ابتعد كورفوس عنها، وتقدّم من الرجل الذي يحرسه ذئبان. ثم رفع كلتا يديه إلى السقف كما لو أنه يحاول لمس السماء، فابتعد الذئبان وانضمّا إلى رجل ذي لحية ضمن المجموعة. أحسّ كاو بحضور العديد من الغربان في الأعلى؛ فقد تجمّعت فوق العارضات، وأحسّ بقوة غضبها، فشعر بالذعر.

أطبق بلاك كورفوس قبضتَي يديه وقرّبهما من صدره، فتدفّقت الغربان عبر الكوّة المفتوحة في المخزن، وعلا صوت أجنحتها الخافقة ومناقيرها المطقطقة. توجّهت نحو الرجل في الأسفل، فاختلط صراخ ماري مع صراخ زوجها الذي راح يتلوّى على الأرض فيما الدم يسيل من يديه وهو يحاول إبعاد الغربان عنه. أما الأشخاص الآخرون فراحوا يتفرجون على ما يحصل مجفلين، أو أداروا رؤوسهم بعيداً. وحده بلاك كورفوس وقف جامداً من دون أن تطرف عيناه، وراح يتأمل المشهد المرعب.

شعر كاو بأنه يرتفع عن المخزن، ولكنه ظل يسمع أصوات صراخ الرجل المسكين. وفي النهاية، ساد الصمت الذي كسره فقط بكاء المرأة.

خرج بلاك كورفوس من المخزن، وارتفعت غربانه في السماء بعد أن أنجزت مهمتها المريعة. لحق به الخارقون الآخرون، وقام اثنان منهم بجرّ خارقة العناكب المرتجفة التي كانت شبه فاقدة وعيها بعيداً عن المكان.

قال كورفوس: «خذوها إلى المصح العقلي. فهناك، لن يصدّق

أقرأناكموه

أحد قصصها المجنونة».

راقب كاو الخارقين وهم ينطلقون على الطريق في اتجاه البلدة. وحده بلاك كورفوس بقي في الخلف، حاملاً مشعلاً أضاء نصف وجهه بوهج أحمر.

هل هذا ما عناه الرجل الدوام في المصح العقلي حين تحدّث إلى كاو وليديا مشيراً إلى غياب العدل؟ فقد أخبرهما عن خارق عناكب مات في الزنزانة القديمة؛ خارق عناكب لم يكن مجنوناً.

رمى بلاك كورفوس مشعله صوب المخزن، فرأى كاو اللهب البرتقالية ترتفع عالياً فيما النيران تشتعل في الداخل، وسرعان ما بدأ الدخان يتصاعد من الباب. ولم يمضِ وقت طويل حتى التهمت النيران الجدران الخشبية.

قال كوايكر: هناك أشكال عديدة للخير والشر.

نهض كاو مجدداً، لكن غراباً اعترض طريقه. وفجأة، ظهرت المئات منها، آتية إليه من كل حدب وصوب. وكيفما استدار كاو، وجد نفسه أمام أجنحة اعترضت طريقه. حاول التسلق، لكن سرب الغربان أجبره على الانخفاض، فنزل بسرعة نحو الأرض وارتطم بها بقوة، ثم تدحرج مرات عدة، ليستلقي أخيراً على أرض ترابية.

وحين تدحرج، رأى بلاك كورفوس واقفاً فوقه. حاول كاو الهرب بعيداً، لكن كورفوس أمسك به من حنجرته ورفعه عالياً. لقد اتخذت روح كاو الشكل البشري في أسوأ لحظة. سدّت الأصابع القوية مجرى التنفس لديه، فلم يعد بوسعه التنفس. قام بلاك كورفوس برفع كاو عن الأرض، فشعر كاو بالكراهية تشع من

أقرأناكموه

وجهه، وصرخ كورفوس: «ما الذي تفعله هنا يا جاك؟!».

12

في تلك اللحظة، اختفى المخزن المحترق، ورأى كاو مكانه ناراً متقدة في موقد. أفلته بلاك كورفوس، فوقع على كومة من الألواح الخشبية. لقد عادا إلى غرفة كورفوس. وأحسّ كاو أنه في خطر؛ إذ بدا الهواء مثقلاً بالتهديدات.

قال كاو فيما كان يدلّك حنجرته: «لقد قتلتَ ذلك الرجل. لماذا؟».

رفع كورفوس إبريقاً زجاجياً سميكاً عن مكتبه، وسكب منه سائلاً أصفر في كوب وقال له: «لست مخولاً لسؤالي. إذاً، كنت تتواصل مع سلالة العناكب، وهي التي أحضرتك إلى هنا».

فردّ كاو: «لم أكن أتواصل مع أحد. ثمة عنكبوت لدغني».

عندها، ابتلع كورفوس شرابه، ثم وجّه يده المغلفة بقفاز نحو كاو قائلاً له: «أخبرتك يا جاك، قلت لك إنهم أشرار». وهزّ رأسه قبل أن يتابع: «لو استطعتُ العثور على طفلتها في تلك الليلة لقضينا على سلالة العناكب إلى الأبد».

فقال كاو: «ماري- تلك المرأة- لم تبدُ لي شريرة. غير أنك بدوت وكأنك غيور فقط».

عندها، لمعت عينا بلاك كورفوس بطريقة شريرة وصرخ: «انتبه إلى ما تقوله يا جاك». ثم ارتشف القليل من شرابه مجدداً، وأغمض عينيه ببطء وتابع قائلاً: «أنت صغير وساذج. لقد كشفَتْ

أقرأناكموه

سرنا، وعرّضتنا للخطر جميعاً».

«لقد أخبرت زوجها فقط. ولمَ لا تفعل؟».

فصرخ كورفوس: «لأنه واحد منهم! لماذا لا تفهم؟! إنهم يحتقروننا، ولطالما فعلوا ذلك. هل تعلم كم هو عدد الخارقين الذين تم إعدامهم أو ضربهم أو دفنهم أحياء؟».

قال كاو: «لكنّ ما فعلته سيئ أيضاً. فغربانك مزقته إرباً».

فقال كورفوس: «لست مضطراً إلى الشرح والدفاع عن نفسي. البشر كائنات ضعيفة، ونحن بحاجة إليهم لتستمر سلالاتنا. لكنّ الذين يعرفون الحقيقة منهم يخافون منا دوماً، أو يحسدوننا على قوانا. ولو عرفت كل البشرية أننا موجودون لانقرضنا بسرعة. إنهم أعداؤنا».

عندها، حدّق كاو إلى كورفوس وقال له مستنكراً: «تبدو مثل الرجل الدوام».

فما كان من بلاك كورفوس إلا أن رمى كوبه على الأرض فتحطم وتحوّل إلى شظايا صغيرة. ثم تقدم من كاو الذي تراجع إلى الخلف رافعاً ذراعيه للدفاع عن نفسه، لكن كورفوس توقف في مكانه، وبدا وجهه أحمر ومتعرقاً وهو يقول: «سأسامحك على ذلك يا جاك بسبب الدم الذي نتشاركه. لكن، لا تضغط عليّ».

ثم استدار كورفوس وتوجّه إلى النافذة للنظر إلى البلدة في الخارج وقال: «تعايشت مع هذا الواقع، هذا الاضطهاد، طوال حياتي يا جاك. لقد رأيت ما يستطيع البشر فعله. لذا، لا بد من التعامل مع أعدائنا... بحزم. والآن، ألم تقتل الأرملة البيضاء بعد؟».

أقرأناكموه

فكر كاو في المشهد المرعب الذي رآه في المخزن. إذا كان هذا ما يقصده كورفوس بشأن التعاطي مع الأعداء بحزم، فهو لا يريد أبداً أن يشارك في ذلك. إذ لم ترتكب ماري وزوجها أي خطأ، وقد وقف الخارقون الآخرون يتفرجون، وأطاعوا كورفوس من دون أي اعتراض، بل تقبلوا منطقه غير السليم. لكن كاو رأى كل شيء، وبات الآن يعلم أن كلام بلاك كورفوس عن الشر والعدالة والنبل ناجم كله عن الكراهية؛ الكراهية والغيرة.

وقد كاد كاو نفسه يقع في فخ سلفه، كاد يتخلى عن سيلينا، وكاد يطيع أمر بلاك كورفوس من دون أن يشكك في ما قاله.

صرخ كورفوس: «ماذا أيها الصبي؟».

قال كاو: «لا. ولن أقتلها أبداً».

عندها، استدار كورفوس ببطء، ولمعت عيناه غضباً وهو يقول: «إذا كنت عاجزاً عن قتلها، فأنت لا تستحق أن تكون وريثي. أنت ضعيف مثل أمك، ومصدر إحراج لدمنا».

في تلك اللحظة، أحس كاو بالغضب يشتعل داخله فقال: «أنت مصدر الإحراج وليس أنا! وأنا أشعر بالخجل لأنني من سلالتك».

فما كان من كورفوس إلا أن صرخ بصوت ميت وبارد: «اخرج!».

فعبس كاو.

غير أنّ كورفوس ضرب بيده على الطاولة بقوة، وصرخ بصوت عالٍ جداً لدرجة أن كاو أحس بالألواح الأرضية ترتعد، ثم قال له: «ابتعد عني!».

نـزل كاو الـدرج، وفتـح الباب المؤدي إلى الشـارع، فاسـتقبله الهـواء البـارد. كانـت بلاكسـتون مظلمة؛ من دون أية شـمعة مضاءة خلـف أي مـن النوافـذ. والضـوء الوحيد الـذي رآه كاو كان مصدره القمر، ولكنه أيضاً كان محجوباً بغيمة؛ مثل وجه مخبأ خلف حجاب.

بدأ كاو يسير وسط الشارع من دون أن يعرف إلى أين يذهب. وانزلـق علـى الأرض فيمـا داس فـي الوحـل. عرف أنه فعل الشـيء الصحيـح. فكورفـوس ليـس الرجـل الـذي اعتقده، ليـس بطلاً على الإطـلاق. نظـر كاو إلـى اليسـار واليمين، فبدا له الشـارع أضيق مما كان عليه من قبل.

قال بصوت عالٍ: «عليّ العودة إلى المنزل».

غير أن الصمت ظلّ سائداً.

فـي المـرة الأخيرة التي جـاء فيها إلى هنا، تولى كوايكر إعادته إلى الواقع بصفعه على وجنته. لذا، أغمض كاو عينيه، وقرص نفسه في ذراعه، ولكنه عندما فتحهما مجدداً، وجد أنه لا يزال في المكان نفسه.

طقطقت اللافتة المعلقة بسلسلة معدنية فوق متجر الخردوات فيمـا حرّكهـا الهـواء. وأحـسّ كاو بظلّ يمرّ فوقه فنظـر إلى الأعلى. إنه بلاك كورفوس الذي انزلق في السـماء بخفة وقد حملته غربانه، ثم هبط وسـط الطريق أمامه، وقال له: «لقد حسـمتُ أمري يا جاك. سينتهي ذلك الآن».

وسرعان ما أصبحت السماء فوق المدينة سوداء، فيما تدفقت آلاف الطيور من كل الاتجاهات. راقبها كاو وهي تجثم على المباني،

أقرأناكموه

وعلى جانبَي الشارع. لم يكن قد استدعاها شخصياً، ما يعني شيئاً واحداً فقط. استطاع كاو الوصول إلى عقله بحثاً عن أي طيور قد تهتم به.

فيما قال بلاك كورفوس: «فلنرَ الآن ما تستطيع فعله». ثم أشار بيده نحو متجر الخردوات، وعلى الفور حلّقت الغربان التي كانت على السطح هناك في الهواء. ثم أشار إلى الجهة الأخرى من الشارع، ففعلت الغربان التي تقف هناك الشيء نفسه. وبعد ذلك، وجّه بلاك كورفوس كلتا يديه نحو كاو، فحلّقت الغربان إليه مباشرة.

استدعى كاو المزيد من الغربان، وشعر بالارتياح عندما مرّ أمامه سرب لصدّ الهجوم. توجّهت مجموعتا الغربان نحو بعضهما، من دون أن يتراجع أي منهما. فثبّت كاو طيوره في مواقعها.

لكن، تشتّتت غربانه في اللحظة الأخيرة، فدخلت غربان كورفوس عبر الفجوة. حاول كاو منعها من التقدّم أو إبطاء سرعتها باستخدام عقله، ولكنه أحسّ بالقوة الهائلة لسلفه التي جعلت الغربان تندفع بقوة. فما كان منه إلا أن رفع ذراعيه إلى الأعلى، واستدار فيما ارتطمت به الغربان على شكل موجة لامتناهية. تشبثت المخالب والمناقير بثيابه، فوقع كاو أرضاً، ثم طارت الغربان بعيداً، فنظر إليها كاو ورآها ترتفع في السماء مجدداً.

عندها، ضحك كورفوس قائلاً: «هذا مقرف».

غير أن كاو حبس أنفاسه، واستدعى غربانه مجدداً. وأحسّ بغربانه المتناثرة تلتحم مع غربان كورفوس خلف الضفة وتحلق حولها، فيما تقدّم منه كورفوس قائلاً له وهو يهزّ رأسه: «يا للأسف!

كيف سقطت سلالتي العظيمة؟!».

تظاهر كاو بأنه عاجز عن الوقوف، وركع على ركبتيه، فيما رفعته غربانه على علو منخفض خلف كورفوس.

قال كورفوس: «ما لا تفهمه هو أنه يمكن اكتساب القوة الخارقة بسهولة، ولكن يصعب الحفاظ عليها». كادت الغربان تفلته، فأمرها كاو بالتحليق أسرع، وبإغلاق الفجوة...

وتابع كورفوس كلامه: «لا بد من اكتسابها». ثم لوّح بيده، فاصطفت الغربان التي كانت خلفه على كلا جانبيه، وحلقت قربه وصولاً إلى جسم كاو، ثم رفعته عالياً في السماء.

رفعته الغربان عالياً إلى أن أصبح على ارتفاع عشرين قدماً في الهواء، فيما كان بلاك كورفوس- الواقف وحيداً في وسط الشارع- يحدّق إلى الأعلى.

ثم قال كورفوس مخاطباً الغربان: «هذا هو الصبي الذي سمح للعديد منكِ بالموت على يد خارق العناكب. إنه خائن لسلالتنا، لطخة عار على شرف كل الغربان. لذا، أظهري له كيف نعامل الخونة!».

حاول كاو التواصل مع الغربان، ولكنه أحسَّ بوجود جدار أسود لا يستطيع اختراقه. حملته الغربان عالياً فوق المباني، إلى أن أصبح عاجزاً عن رؤية وجه بلاك كورفوس بوضوح. واستطاع الإحساس بروح سلفه؛ إذ كان شره ينضح من غربانه.

بعد ذلك، قامت الغربان الممسكة بذراع كاو اليسرى بفتح مخالبها، فمال إلى الأسفل.

أقرأناكموه

وصرخ: «لا! أرجوك!».

فصرخ بلاك كورفوس من الأسفل: «سأريك القوة الحقيقية لخارق الغربان».

عندئذ، أفلتته الغربان التي كانت تمسك بذراعه الأخرى، فسقط في الهواء بسرعة. دار حول نفسه أثناء سقوطه، محاولاً التحول إلى غراب، غير أنه لم يستطع القيام بذلك ببساطة، واندفع بسرعة صوب سطح مبنى، فأغمض عينيه محضراً نفسه للارتطام...

فجأة، انتصب كاو في وضعية جلوس، فرأى رفوف المكتبة حوله، فيما شيمر تخفق بجناحيها فوق رأسه وهي تنعب بصوت عالٍ. أحس بالغثيان والدوار في رأسه فيما حاول الوقوف، لكنّ ساقيه خانتاه. وفيما وقع على ركبتيه، أحسّ بالألم في أحشائه وتلوّى. حاول التقيؤ.

تذكر ما حصل، وأدرك أن السبب هو السم؛ سم العنكبوت.

في تلك اللحظة، رأى العنكبوت الأبيض متدلياً من رف كتب على خيط حريري، وراح يدور حول نفسه ببطء. تمدّد كاو نحوه للإمساك به، غير أنه وقع على وجهه، فأحس بالمزيد من الألم في جسمه المرتجف فيما تحرك العنكبوت فوق راحة يده.

فجأة، صار وجهه ملتصقاً بالسجادة القذرة، ولاحظ أن الكتب بدأت تدور أمامه، ثم رأى شكلاً أبيض الشعر يتحرك بين الرفوف؛ إنها الأرملة البيضاء. توقفت وحدقت إليه مبتسمة، ثم تشوش شكلها واختفى.

ظهرت أقدام على مستوى عينيه، وثمة وجوه نظرت إلى

أقرأناكموه

الأسفل.

السيدة ستريكهام.

كرامب.

جوني فايفتايلز.

قال كرامب: «لقد ضاع».

وأضافت والدة ليديا: «لم يعد لديه أمل الآن».

فيما قال جوني: «إنه الأخير في سلسلة الغربان. والمؤسف أننا جميعاً صدقناه».

حاول كاو التكلم، غير أنه لم يستطع إصدار أي كلمات.

ثم بدأت رؤوس الخارقين تتشوه قبل أن تختفي.

عندها، استدار كاو وتمدد على ظهره، فيما تشوش شكل الغرفة كثيراً أمام عينيه. قفزت شيمر على صدره ونظرت إليه، فنجح كاو في القول: «ساعديني».

أمالت شيمر رأسها ونظرت إليه بطريقة غريبة، وصدرت أصوات من منقارها، ولكن من دون كلمات، فأحس كاو باليأس يضربه في الصميم.

فقال لها: «شيمر، لا أستطيع فهم ما تقولينه!».

فصاحت مجدداً ثم طارت.

عندها، قال صوت بلاك كورفوس من مكان ما بعيد: «لقد انتهى الأمر أيها الصبي. لقد أخذت القوة الخارقة منك، ولم تعد الآن خارق غربان».

في تلك اللحظة، أحسّ جاك كارميكايل بعقله يتحرر، وغاص

أقرأناكموه

في العدم.

13

«كاو».

أحس بطعم كريه في فمه، وكان جفناه ثقيلين، غير أنه شعر ببرودة في جبينه.

«كاو، استيقظ».

احتاج إلى بضع ثوانٍ لتمييز الصوت.

وحين فتح عينيه رأى وجه ليديا فوقه، إذ كانت تحمل بيدها فوطة رطبة. عندها، تساءل كاو عما إذا كان ما يراه من وحي خياله أيضاً؛ إذ تموّجت الغرفة أمامه.

سألها: «أين أنا؟».

«في المكتبة. قادني غلام إلى هنا. الجميع يبحثون عنك يا كاو».

جلس كاو، فشعر بألم شديد في رأسه. ووضعت ليديا يدها خلف ظهره لدعمه.

قال: «غلام، شيمر».

فأجابت ليديا: «إنهما هنا. ولكن، أين سكريتش؟».

في تلك اللحظة، عادت إليه الذكرى بسرعة فشهق مرتعداً.

«كاو، هل أنت بخير؟».

فتلألأت الدموع في عينَي كاو وهو يقول: «لقد مات سكريتش».

عندها، وضعت ليديا يدها على فمها، فيما حاول كاو حبس دموعه وهو يتابع شارحاً: «قتلته العناكب».

أقرأناكموه

أخفضت ليديا يدها، ولاحظ أن شفتها ترتجف وهي تقول: «أنا آسفة جداً. أنا... لا أعرف ماذا يجب أن أقول».

في تلك اللحظة، سمع كاو صوت غراب، ورأى شيمر وغلام جالسين على المكتب. فتح الغراب العجوز منقاره وأصدر صوتاً.

فهزّ كاو رأسه صارخاً: «لاااا...»

سألته ليديا: «ما الأمر؟».

نعب غلام مجدداً، فانفطر قلب كاو خوفاً وحزناً بطريقة لم يعرفها من قبل قط. لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً. لا يمكن أن أخسرها. لكنّ عينَي غلام كانتا مختلفتين وخاليتين من العاطفة، وبدتا بعيدتين وفارغتين.

قال كاو: «أرجوك، لا...»

فكررت ليديا كلامها: «أنت تخيفني، أخبرني ما المشكلة؟».

نظر كاو إلى وجهها. كيف يخبرها؟ حتى إن الكلمات العالقة على طرف لسانه كانت كافية لجعل قلبه ينفطر. حاول التكلم، ولكن لم يصدر سوى صوت نحيب. فدفن وجهه بين يديه.

سألته ليديا: «ما المشكلة؟!». وكان صوتها صارماً وخائفاً في الوقت نفسه.

نظر كاو إليها عبر أصابعه، وأدرك أن الأمور لن تبقى مثلما كانت من قبل، وقال: «لا... لا أستطيع فهم ما تقوله».

سألته ليديا: «من؟». لكن، لا بد أنها عرفت؛ لأنها نظرت إلى شيمر. فنعبت الغرابة بنعومة، وكان صوتها بمثابة ركلة على أمعاء كاو. لقد خسرتها. خسرتها كلها.

فقالت ليديا وهي تمسك بذراعه: «كاو، أخبرني بما حصل كي أتمكن من مساعدتك».

فردّ كاو بهدوء: «بلاك كورفوس... أخذ مني قواي الخارقة».

سألته ليديا: «كيف؟». واتسعت عيناها دهشة.

فأجاب كاو: «لا أعرف». وبالكاد استطاع النظر إليها؛ إذ إن العار الذي شعر به أجبره على خفض عينيه.

قالت ليديا: «هذا غير منطقي. بلاك كورفوس هو سلفك وصديقك».

فهزّ كاو رأسه مجيباً: «إنه ليس مثلما اعتقدنا إطلاقاً».

وبعبارات متلعثمة، حاول أن يشرح لها الرؤى التي شاهدها في منزل كوايكر، وكيف أنه دخل إلى حجر منتصف الليل. أصغت إليه ليديا بصبر، وعندما أنهى كلامه، كان على وشك البكاء.

وضعت ليديا ذراعها حوله وقالت له مواسية: «سيكون كل شيء على ما يرام. سنعيدها».

لكنّ كاو عرف أن هذا غير ممكن. إذ لا يفترض أن تحصل الأمور هكذا. فالخارقون لا يخسرون قواهم إلا عندما يموتون. وشعر كما لو أنه رجل أعمى استعاد بصره ليكتشف أنه عاد للعمى مجدداً. لم يكن بإمكانه تحمل ذلك. فمن هو من دون الغربان؟ لا شيء. لقد أضاع نفسه.

سألته ليديا: «ما بها يدك؟».

وحين نظر كاو إلى الأسفل، لاحظ أن يده اليمنى لا تزال مطبقة في قبضة محكمة. فتح أصابعه وهو يشعر بالألم، فوقع شيء ما على

أقرأناكموه

الأرض.

قالت ليديا: «أوغغغ!».

إذ سقط العنكبوت الأبيض وأرجله إلى الأعلى. يبدو أن كاو قد سحقه حتى الموت.

سألته ليديا: «أين وجدت هذا؟».

هزّ كاو رأسه مجيباً: «ألقى سكريتش القبض عليه قبل موته». وأخذ نفساً عميقاً، فوضعت ليديا يدها على ذراعه، فيما تابع قائلاً: «في الواقع، أعتقد أنه وجدني. إنه من أرض الموتى».

سألته ليديا: «هل أنت جدي؟».

فأخبرها كاو عن روح الرجل الدوام، وكيف أنها وجدت طريقها إلى سيلينا على سطح الشقة.

عندها، سألته ليديا: «هل شاهدت كل ذلك... في رؤية؟».

فجأة، شعر كاو بتعب شديد، وأدرك أنه لم ينم منذ الليلة ما قبل الماضية؛ منذ أن أبلغتهم فئران بيب عن الهجوم المرتقب على المصرف. فمنذ ذلك الوقت، انقلب عالمه رأساً على عقب؛ إذ تخلى عنه الخارقون الطيبون، وبات يحارب عدواً اعتقد أنه مات منذ وقت طويل. نظر إلى شيمر وغلام وأحس باليأس. حتى إن الغربان- أقدم أصدقائه- تخلت عنه. كل شيء يحصل مثلما هدّده الرجل الدوام.

وقف كاو وأحس بحجر منتصف الليل يتحرك على صدره، فخطرت له فكرة، بصيص أمل. تقدم خطوة نحو المكتب حيث يقف غلام، ومدّ يده.

فخفق غلام بجناحيه مذعوراً، وتحرك الغبار على الطاولة حين

أقرأناكموه

طار عالياً.

توسل إليه كاو: «عد أرجوك».

غير أن غلام جثم على رف عالٍ لا يمكن الوصول إليه. وبعد قليل، انضمت إليه شيمر، وراقبت كاو بحيرة.

قال كاو: «أرجوك». ونظر حوله فرأى سلماً. إذا استطاع لمس واحد منهما وحجر منتصف الليل في الوقت نفسه، فربما يستطيع...

لكنّ الغرابين طارا إلى نافذة عالية كانت مفتوحة جزئياً، وخرجا عبر الفجوة الصغيرة، واختفيا من دون النظر إلى الخلف.

عندها، انهار كاو على حافة المكتب وقال: «لقد انهار كل شيء».

ولهنيهة، ساد الصمت. فنظر كاو إلى النافذة على أمل أن يعاود صديقاه الظهور، غير أنه عرف أنهما لن يفعلا ذلك.

ثم تنحنحت ليديا قبل أن تقول: «اسمع يا كاو، لا تزال الأرملة البيضاء حرة طليقة. لقد سَمعتُ أمي والآخرين وهم يتكلمون، وقد طلبوا إلى حيواناتهم التجول في المدينة بحثاً عنها، وسوف نجدها. وإذا اتحدنا معاً جميعاً، فبإمكاننا التغلب عليها. أعرف أننا نستطيع فعل ذلك».

قال كاو: «لا أستطيع. ألا ترين؟ أنا لا شيء الآن. فالغربان...»

غير أن ليديا قاطعت كلامه قائلة بعصبية: «لا تقل هذا. فأنا لا أستطيع التحكم في أي من الحيوانات، لكنني لست لا شيء، أليس كذلك؟».

تفاجأ كاو بالغضب الشديد الذي بدا على وجهها، فقال موضّحاً: «لم يكن هذا ما قصدته».

أقرأناكموه

غير أنها قالت: «حقاً كاو! عندما التقيتك لأول مرة، كنتَ مجرد صبي يعيش على شجرة مع ثلاثة طيور. لم تكن حينها تعرف أنك تملك أي قوى. وكنت ترتدي ملابس رثة، وبالكاد تتكلم. وبصراحة، لم تكن رائحتك جميلة أيضاً».

فقال كاو: «إذاً؟».

عندها قالت ليديا: «إذاً، أحببتك حينها مثلما أحبك الآن. ليست الغربان هي التي تجعلك ما أنت عليه، هل تفهمني؟ أنت لست لا شيء. أنت صديقي، وستبقى دوماً صديقي».

فأحس كاو بالخجل من نفسه وقال لها: «أخبريني بما يجدر بي فعله».

فما كان من ليديا إلا أن زمّت شفتيها، ونظرت إلى عينيه مباشرة وقالت: «عد إلى الآخرين، فهم يريدون الشيء نفسه الذي تريده».

عرف كاو أنها محقة، فأمسك بالحبل المعلق حول عنقه، وشدّه بغضب.

سألته ليديا: «ماذا تفعل؟ ما هذا؟».

أجاب كاو: «لطالما حرصت على حماية هذا لأنني اعتقدت أن هذا ما يجدر بخارقي الغربان فعله. اعتقدت أنني أفي بالوعد الذي قطعه بلاك كورفوس. لكننا آخر سلالة يجدر بها الاهتمام به».

فقالت ليديا: «لا أفهم».

صرخ كاو: «بلاك كورفوس كان فظاً وغيوراً، وقد كره الأشخاص الذين لم يكونوا خارقين. كان شخصاً سيئاً في الصميم».

قالت ليديا: «لكنك لست كذلك. أنت شخص طيب القلب يا

كاو. وبإمكان أي كان معرفة ذلك».

فسألها كاو: «وماذا عن جوني فايفتايلز؟ فهو لم يعرف ذلك، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الخارقين الآخرين في مرأب السيارات».

ومع مرور كل لحظة، أحس كاو بالمزيد والمزيد من الخجل بسبب تصرفه. إذ إن إبقاء حجر منتصف الليل معه هو بالضبط ما كان بلاك كورفوس سيفعله. لقد عاد خارق ذئاب القيوط إلى بلاكستون متوقعاً لقاء بطل شجاع، غير أنه وجد أمامه ولداً جباناً هرب فور تأزم الأمور.

قالت ليديا: «جوني ليس مثالياً، ولكنه مثلنا. جميعهم معنا. هيا، فلنذهب لنعثر عليهم». ومدّت يدها لكاو.

أحس كاو بثقل في قلبه، وبأنه طفل صغير. ليديا محقة. فأمها، وكرامب، والآخرون كلهم أصدقاؤه. عليه البقاء مع من هم مثله... لكنهم لم يعودوا مثله الآن، أليس كذلك؟ فهو لم يعد خارقاً.

فجأة، تراجعت ليديا إلى الخلف وشهقت عالياً، فلحق كاو بنظرتها ورأى أن العنكبوت الأبيض المنسحق بدأ يتحرك، وأنه وقف على أرجله ثم تحرك مسرعاً صوب رف كتب.

فقال: «اعتقدتُ أنني قتلته».

قالت ليديا: «حسناً، فلنلحق به». وركعت على ركبتيها ونظرت تحت الرف.

فسألها كاو: «لماذا؟».

أجابت ليديا: «لأن العنكبوت يعود دوماً إلى شبكته، أليس كذلك؟ قد يقودنا إلى الأرملة البيضاء».

قال كاو: «لكن، ليديا عليك أن تفهمي أن قتلها هو بالضبط ما يريده بلاك كورفوس. وأنا لن أفعل ذلك، ولهذا السبب سلبني قواي».

عندها، نظرت إليه ليديا، ولاحظ الشك في عينيها وهي تسأله: «وماذا سنفعل إن لم نستطع إنقاذها؟».

فأجاب كاو: «لا أعرف. لكن، إذا كانت هناك طريقة ليدخل إليها الرجل الدوام، فلا بد من وجود طريقة لتخليصها منه أيضاً». قال ذلك بثقة، غير أنه لم يكن واثقاً من شعوره ذلك.

فقالت ليديا وقد نهضت بسرعة: «إنه يتحرك». إذ نزل العنكبوت تحت الرف، وتوجّه نحو باب مغلق بقضبان ثقيلة. ونجح نوعاً ما في المرور تحته، عبر فجوة صغيرة جداً.

قالت ليديا، وهي تفك القضيب السفلي: «لا تفقده». فرفع كاو القضيب العلوي، وخرجا بسرعة إلى مرأب السيارات الخاص بالمكتبة. رأى كاو العنكبوت الأبيض يتحرك أمام مقعد خشبي.

تحرك العنكبوت بسرعة كبيرة، ولكنهما نجحا في تقفي أثره. وراء المكتبة، أصبحت بلاكستون مجموعة من الشوارع الصغيرة المزدحمة كثيراً. نظر كاو إلى السماء المعتمة، وأغمض عينيه، وحاول يائساً إيجاد أي غربان؛ لكن عالمه كان فارغاً.

تردد العنكبوت فيما كان يتسلق جداراً، ثم انطلق في شارع مزدحم بالمارة. لم يلاحظ أحد على ما يبدو الكائن الصغير وهو يتحرك بسرعة، وكادت أقدام المارّة تسحقه مرات عدة. فيما ركض كاو وليديا خلفه، وارتطما بالناس أحياناً متمتمين بالاعتذارات.

أقرأناكموه

عبر العنكبوت الحاجز الحجري الفاصل بين طريقين، وانتقل إلى الجهة الأخرى، فيما كانت السيارات تعبر بسرعة. نجح العنكبوت في الوصول إلى الجهة الأخرى بأعجوبة معينة، بينما صرخ سائق بغضب شديد، وضغط آخر على البوق بقوة فيما تحرك كاو وليديا بين السيارات.

أضاع كاو أثر العنكبوت وبدأ يشعر بالذعر، إلى أن أمسكت ليديا بذراعه وشدّته نحو ممر ضيق بين متجرين. وفي نهاية الممر، خرجا إلى حديقة هادئة توجد مبانٍ قديمة وطويلة إلى جوانبها. تحرّك العنكبوت بسرعة على الرصيف، ثم توجّه نحو مجموعة من الدرجات الرخامية البيضاء بين أسدين حجريين.

فأبطأ كاو خطواته.

قالت ليديا: «إنه فندق ليو، أحد أغلى الفنادق في بلاكستون». ونظرت إلى كاو، فعرف ما تفكر فيه. إذ لا يبدو الفندق مكاناً يحتمل أن تمكث فيه الأرملة البيضاء. وأخيراً قالت: «فلنتحقق من ذلك».

فقال كاو: «انتظري! هل أنت واثقة؟». وأشار إلى ملابسه.

غير أنها أجابته: «قد لا نحظى بفرصة أخرى، هيا!».

لحق بها كاو على الدرج المؤدي إلى الفندق.

كانت ثمة موسيقى بيانو هادئة تملأ الردهة الأنيقة. تدلّت ثريا كبيرة من السقف، مُلقية خيوطاً ضوئية متلألئة في الردهة. وخلف الأرائك المخملية الكبيرة، كان ثمة مكتب زجاجي للاستقبال، وقفت خلفه امرأة ترتدي بذلة داكنة، وراقبتهما فيما دخلا. لم تظهر الأرملة البيضاء في أي مكان.

أقرأناكموه

«مرحباً، هل أستطيع مساعدتكما؟».

أحس كاو أن ملابسه رثة كثيراً. وأدرك أنه إذا قال شيئاً ما خطأ، فسيتم رميهما في الخارج بسرعة. قال: «نحن نبحث عن أحد الأشخاص».

حافظت موظفة الاستقبال على ابتسامتها، لكن تلك الابتسامة باتت أقل صدقاً مع مرور كل ثانية. ونظرت إلى كاو من الأعلى إلى الأسفل ثم قالت له: «أهو نزيل يا سيدي؟».

فأجابت ليديا بنبرة متغطرسة: «طبعاً. نحن على موعد مع شخص في تمام الساعة السادسة».

وكانت الساعة المعلقة فوق المكتب تشير إلى 17:52. فتوترت موظفة الاستقبال، ونقرت على الشاشة الرقيقة أمامها قائلة: «ما اسم النزيل من فضلك؟ أستطيع الاتصال به في غرفته، إلا إذا طلب النزيل عدم إزعاجه».

عندها، نظر كاو إلى ليديا، ثم تحدث بسرعة قائلاً: «دافنبورت».

ومن دون أن تنظر موظفة الاستقبال إلى الشاشة قالت: «لا يوجد أحد بهذا الاسم في الفندق».

فقالت ليديا: «حقاً! ألا تريدين التحقق من الاسم؟».

أجابت المرأة الواقفة خلف المكتب: «لا أريد. هل أنت واثقة من أن هذا هو الفندق الصحيح؟ فهناك بعض الفنادق المجاورة».

عندها، اتكأت ليديا على المكتب قائلة: «نحن واثقان من أن صديقتنا تمكث في فندق ليو. إلا أنها تتصف بالخصوصية، ولذلك يحتمل أن تكون قد حجزت باسم مختلف». ثم أشارت إلى الشاشة

أقرأناكموه

التي كانت متجهة نحوهما بشكل جزئي، وتابعت: «هل يمكننا رؤية أسماء نزلاء الغرف...»

فما كان من موظفة الاستقبال إلا أن أدارت الشاشة نحوها، حيث لم يعد بوسعهما رؤيتها قط وقالت: «أخشى أن يكون هذا مستحيلاً. فنحن في الفندق نعتمد بروتوكول الخصوصية».

أجابت ليديا: «حسناً. إذاً، علينا انتظارها هنا».

بدت موظفة الاستقبال غير راضية البتة، ونظرت إلى الساعة فوقها وقالت: «هل قلت عند الساعة السادسة؟».

فأومأت ليديا برأسها، وأدارت لها ظهرها وسارت إلى صالة الاستقبال. لحق كاو بصديقته في الردهة وصولاً إلى الأرائك عالية الظهر، حيث غرقا بين الوسائد المخملية الناعمة.

همس: «ماذا سنفعل الآن؟».

هزّت ليديا كتفها وقالت: «لقد أدّيت مهمتي، وصارت لدينا ثماني دقائق كاملة. هل من أفكار لديك؟».

عندها، نظر كاو إلى مرآة معلقة قبالتهما، ثم نظر إلى السلالم. يمكن أن يكون العنكبوت الأبيض قد ذهب إلى أي مكان. كان هناك مصعد، غير أنه لا يمكن الوصول إليه من دون أن يراهما أحد. وتساءل عن الفترة الزمنية التي يستطيعان الانتظار فيها قبل أن تطلب منهما موظفة الاستقبال المغادرة.

قالت ليديا: «هل تعتقد أن الأرملة البيضاء تنزل هنا فعلاً؟».

فتوجّب على كاو الاعتراف بأن الأمر يبدو غير محتمل. لكن، لماذا جاء العنكبوت الأبيض إلى هذا المكان؟

أقرأناكموه

إلا إذا كان يقودنا إلى طريق مسدود.

وكان على وشك قول ذلك لليديا حين سمع طنيناً خفيفاً، وبدأت الأرقام المضاءة فوق المصعد تتحرك نزولاً.

4... 3... 2... 1...

الطابق الأرضي.

ثم توقف المصعد وفتح بابه، وسمع كاو أحدهم يصفر لحناً فرحاً، وبعد ذلك خرج رجل من المصعد.

فحبس كاو أنفاسه، فيما شهقت ليديا.

كان الرجل ذا شعر أشقر ناعم، وقد ارتدى قميصاً أبيض وسترة وسروال جينز، فيما جرّ وراءه حقيبة.

إنه جوني فايفتايلز.

أرجع كاو ظهره إلى الخلف على الأريكة، واستطاع رؤية خارق ذئاب القيوط من المرآة المقابلة، ما يعني أنه إذا نظر جوني في ذلك الاتجاه أيضاً فسيرى كاو وليديا. لكن، عوضاً عن ذلك، توجّه خارق ذئاب القيوط إلى مكتب الاستقبال، وأدار لهما ظهره، ثم قال للموظفة هناك: «أريد المغادرة من فضلك».

فقالت الموظفة: «طبعاً سيدي». وفيما نقرت على شاشتها، نظرت إلى الأرائك وقالت: «ألن تلتقي أحداً ما اليوم؟».

فشعر كاو أن قلبه يخفق بقوة كبيرة لدرجة أنه استطاع سماعه. ونظر إلى ليديا التي فتحت عينيها على اتساعهما بذعر، ورآها تمسك بذراع الأريكة بشدة.

غير أنّ جوني نظر إلى الأعلى ثم قال: «لا. لماذا؟».

فهـزّت موظفـة الاسـتقبال رأسـها وقالـت: «عذراً سـيدي. لقد أخطأت». ووضعت قصاصة ورقية أمامه قائلة: «هلّا توقّع في الأسفل من فضلك. كيف كانت إقامتك لدينا؟».

فأجاب جوني: «ممتعة جداً». فيما خربش بالقلم.

قالـت موظفـة الاسـتقبال: «نعتـذر منـك يا سـيدي علـى حالة غرفتك. وسوف تلاحظ أننا حسمنا أجرة ليلة من الفاتورة».

غير أن جوني لوّح لها بيده قائلاً: «هذه ليست مشكلة».

وارتعـدت موظفـة الاسـتقبال قليلاً وهي تتابـع كلامها: «أؤكد لـك يـا سـيدي أن مـا حصـل لا يتناسـب أبداً مـع معاييرنـا. وعندما رأت عاملة التنظيف المسـكينة شـباك العنكبوت على المفروشـات، اضطربت كثيراً».

فقـال جوني: «ليسـت غلطتكـم. وبالإضافة إلى ذلك، أنا أحب العناكب».

وابتسـم فيما رفع يده الأخرى، وتوجب على كاو إجهاد نظهر ليرى ما فعله. فجأة، تراجعت موظفة الاسـتقبال إلى الخلف مطلقة صيحة عالية.

فقـال لهـا جونـي مطمئنـاً: «لا بأس». انحبسـت أنفاس كاو في حنجرتـه حيـن رأى كائنـاً أبيـض صغيـراً يتحرك فـوق براجم خارق القيوط. «هذا العنكبوت ودود جداً».

بات وجه موظفة الاسـتقبال شـاحباً، وتمتمت: «طاب يومك يا سيدي».

أحسّ كاو أن جسمه بات ملتصقاً بالأريكة. أما وجه ليديا فبدا

وكأن الدم قد اختفى منه.

جوني فايفتايلز يملك العنكبوت الأبيض.

وهذا يعني شيئاً واحداً فقط.

14

حمل خارق ذئاب القيوط حقيبته، وخرج من ردهة الفندق وهو لا يزال مبتسماً. وما إن خرج حتى وقف كاو على قدميه، فسألتهما موظفة الاستقبال: «هل ستغادران؟».

فأومأت ليديا برأسها إيجاباً، فيما ركضت خارج الباب وهي تقول: «كنت محقة. إننا في الفندق الخطأ!».

ومن دون انتظار الجواب، نزلا على الدرج في الوقت المناسب ليريا جوني فايفتايلز وهو يركب سيارة أجرة في الجهة المقابلة من الشارع. وسرعان ما انطلقت السيارة وانعطفت حول زاوية.

فقال كاو: «لنلحق به!».

وركض إلى الحديقة العامة، وتسلق فوق الدرابزين، فيما لحقت به ليديا عن كثب. ركضا فوق العشب، وكانت سيارة الأجرة قد وصلت إلى الطرف البعيد من الساحة.

قالت ليديا لاهثة: «سوف نضيعه». وحين قفزا فوق الدرابزين في الجهة الأخرى، رفعت يدها. وكانت ثمة سيارة أجرة أخرى تعبر الطريق، فأنزل السائق زجاج نافذته وسألها: «إلى أين آنستي؟».

عندها، أشارت ليديا إلى سيارة جوني التي انعطفت حول زاوية وقالت له: «هل يمكنك اللحاق بتلك السيارة؟».

أقرأناكموه

فسألها السائق: «هل أنت جدية؟».

فما كان من ليديا إلا أن بحثت في جيبها وأخرجت عدة أوراق نقدية.

عندها، أومأ السائق برأسه قائلاً: «إذاً، هيا بنا».

جلس كاو وليديا على المقعد الخلفي، فانطلق السائق خلف السيارة التي يستقلها فايفتايلز.

قالت ليديا فيما ثبتت حزام الأمان: «لا أفهم. لماذا يملك العنكبوت إلا إذا كان...»

فأجاب كاو بهدوء: «يعمل مع الرجل الدوام». وحين لفظ الكلمات بصوت عالٍ، بدت له أسوأ مما لو بقيت في رأسه.

فسألته ليديا: «لكن لماذا؟».

أجاب كاو: «لا أعرف».

وأحس كاو بالغثيان حين تذكّر كيف التقى خارق ذئاب القيوط للمرة الأولى. ألم يقل جوني إنه يمكث في مكبّ للنفايات قرب النهر؟ إذاً، لقد كذب منذ البداية.

وازداد شعور كاو بالغثيان فيما فكر في جوني الذي تمكن من خداع جميع الخارقين الآخرين في منزله. كل تلك الابتسامات والتربيتات على الظهر... هل كانت زائفة؟ وطريقة ظهوره في الاعتداء على المصرف...

أحسّ كاو بالغضب عند تفكيره في كيفية خداعه لهم.

تماماً مثلما خدعه بلاك كورفوس.

لقد كان كاو تواقاً جداً لإرضاء الآخرين، ولكي يتم استلطافه،

حيث فاتته الحقيقة بشأنهما.

قالت ليديا: «نحن قرب منزلي!». فأيقظت كاو من أفكاره. وحين نظر إلى خارج النافذة، لاحظ أنهما يقتربان من الطريق المحيطة بحديقة بلاكستون العامة. كانت مصابيح الشارع مضاءة، وبفضل نورها الخفيف، لمح كاو السيارة التي يستقلها جوني تتوقف في الأمام.

قالت ليديا مخاطبة السائق: «انعطف هنا إلى اليمين». فانعطفت سيارتهما نحو طريق جانبية. دفعت ليديا للسائق أجرته، ثم خرجا من السيارة وأسرعا لمراقبة ما يحصل. انطلقت سيارة الأجرة الأخرى أيضاً، وكان جوني فايفتايلز يمشي بسرعة على الرصيف. وعندما وصل إلى الحديقة العامة، نظر خارق ذئاب القيوط إلى اليمين واليسار، ثم قفز إلى الأعلى، مثبتاً يديه على أعلى جدار الحديقة. وبعد ذلك قفز فوق الجدار واختفى في الجهة الأخرى.

ركض كاو على الرصيف المؤدي إلى جدار الحديقة العامة ثم تسلقه. ثبّت نفسه على أعلى الجدار، ثم مدّ يده لليديا ورفعها أيضاً إلى الأعلى. كانت الحديقة العامة مظلمة، ولا يوجد أحد فيها. ورغم أن المكان كان مألوفاً جداً بالنسبة إلى كاو، إلا أنه بدا له الآن صامتاً بشكل مخيف، فيما الأشجار الداكنة شامخة نحو الأعلى. أحسّ كاو بحركة صغيرة، ثم لمح قطة سوداء تموء على الجدار.

تمتم كاو مخاطباً القطة: «ماذا تفعلين هنا؟». فيما اقتربت منه القطة وداعبت يده.

وسألته ليديا: «هل هي من قططة كوايكر؟».

أقرأناكموه

عندها، هزّ كاو كتفه معبّراً عن عدم معرفته الجواب. لم يكن هناك طوق حول عنقها، ولكنها إذا كانت قطة شاردة، فلا بد أنها تحظى بتغذية جيدة. قفزت القطة إلى الطريق، ثم اختفت بعيداً تحت ضوء الليل.

أنزل كاو نفسه عن الجدار، فانسحقت الأوراق اليابسة تحت قدميه، ولحقت به ليديا. كان ضوء القمر ساطعاً، وقد ألقى بظلاله الفضية على الأوراق.

تأمّل كاو الحديقة العامة جيداً؛ ففي حال وجود ذئاب قيوط في الجوار، سيتم اكتشاف أمر وجودهما سريعاً. لذا، انتقلا بخطوات حذرة من شجرة إلى أخرى.

شعر كاو بالغرابة لعودته إلى هنا. فمنذ شهر واحد تقريباً، كان هذا المكان منزله، ولكنه الآن يرجع إلى حياة أخرى. فقد كان سكريتش وغلام وميلكي معه هنا دوماً؛ رغم تبدل الفصول والمواسم. ولهنيهة، وجد صعوبة في التنفس بسبب الصدمة والحزن اللذين شعر بهما.

غير أنه قال لنفسه في سره: حافظ على تركيزك من أجل سكريتش... ومن أجل الماضي.

حملت ليديا غصناً واقعاً على الأرض، وأمسكته بكلتا يديها كما لو أنه عصا بايسبول، فيما سحب كاو منقار الغراب. لم يكن يعرف مطلقاً سبب وجود خارق ذئاب القيوط هنا، غير أنه عرف أن جوني لن يكون مسروراً برؤيته.

مرّا أمام الأراجيح الصدئة والملعب المهجور، ثم اجتازا

السرداق القديم والمنصة الموسيقية. تذكر كاو الألوان الساطعة لحديقة بلاكستون مثلما شاهدها في رؤياه، وكيف كان خارق العناكب يلعب مع الأولاد. لم يرغب في تصديق الأمر، لكنه عرف أن ما رآه كان حقيقياً. إذ كان خارقو العناكب- كباراً وصغاراً- يعيشون حياة جيدة.

توقّفت ليديا فجأة، وأمسكت بكتف كاو ودفعته إلى الأسفل مشيرة إلى الأشجار. فرأى كاو جوني فايفتايلز جالساً على حافة النافورة القديمة الجافة منذ أن عرفها كاو، فيما تمثال الحوريات في وسطها متقشر ومهجور. وضع جوني سيجارة بين شفتيه، فتصاعد دخانها بين الأغصان فوقه.

فتّشت عينا كاو في العتمة، وتأمّلتا المكان إلى جانبَي النافورة. غير أنه لم يجد أي أثر لذئاب القيوط، لكنّ هذا لا يعني أنها غير موجودة هنا.

همست ليديا: «ماذا يفعل؟». إذ بدا جوني غير مستعجل إطلاقاً. «أعتقد أنه ينتظر...»

فجأة، وقف خارق ذئاب القيوط ورمى السيجارة أرضاً، ثم سحقها تحت قدمه. عندها، نظر كاو إلى الأعلى. وفي لحظة مجنونة، أمل أن تكون غربانه قد عادت للتحليق فوق رأسيهما. لكن حشرة عث ظهرت، وحلقت حول رأس جوني.

ثم أخرى.

وأخرى.

هزّ خارق القيوط رأسه بعصبية، فيما هبطت حشرات العث

أقرأناكموه

على كتفيه.

فقال جوني: «يكفي لعباً. تعال إلى حيث أستطيع رؤيتك».

وقال صوت مألوف: «إنها جميلة، أليس كذلك؟».

بدت الحوريات الحجرية في النافورة وكأنها قد عادت إلى الحياة فيما ظهر السيد سيلك ببذلته الشاحبة. تقدم إلى الأمام، وأحنى قبعته أمام جوني فايفتايلز.

فمدّ خارق ذئاب القيوط يده وصافح السيد سيلك.

قال خارق العث: «لقد تأخرت. وهو لا يحب التأخير».

عندها، هزّ جوني كتفه وقال: «جئت ما إن وصل إليّ عنكبوته».

فقال السيد سيلك وهو يلوّح بيده: «لا يهمّ. كيف حال أصدقائك؟».

فشعر كاو بضيق في صدره.

فيما أجاب جوني: «إنهم مثل الدمى بين يديَّ. أعتقد أن خارقة الثعالب لا تزال مغرمة بي، ويبدو أن زواجها ينهار».

عندها، لاحظ كاو أن ليديا قد أطبقت قبضتَي يديها على الغصن بقوة.

فقال السيد سيلك مقهقهاً: «أودّ القول إنني أرى مستقبلاً رومنسياً لك هناك، لكنني أعتقد أن الأمر غير محتمل. هل أنت واثق من أن أحداً لا يشك فيك؟».

فوضع جوني يده على كتف السيد سيلك قائلاً: «توقف عن القلق. فقد جرت الأمور تماماً مثلما توقع، وهم الآن جميعاً يبحثون عن خارق الغربان. إنهم يعتقدون أنه مصدر إزعاج، وهم محقون

أقرأناكموه

في ذلك. لا أفهم كيف تمكّن ذلك الولد من التغلب عليكم سابقاً؛ فهو لا يشبه أمه أبداً. صحيح أنها ربما كانت ساذجة، ولكنها كانت صارمة على الأقل».

في تلك اللحظة، اشتعل الغضب في صدر كاو، وتساءل في سرّه عن كيفية وقوعه في فخ خارق ذئاب القيوط.

قال السيد سيلك: «ثق في ما أقوله، فقد رأيته مع تلك الغربان يقوم بأمور لا يمكنك تصديقها».

عندها، لوّح جوني بيده باستخفاف ثم قال: «طبعاً، لقد سمعت كل ذلك سابقاً. أين الجميع؟».

فما كان من السيد سيلك إلا أن رفع إحدى يديه، فتحركت حشرات العث على شكل عمود دوام، وتسارع نبض كاو فيما ظهر شكل عملاق من بين الأشجار إلى يسارهما، ثم جثم نسر على حافة النافورة، وبعد ذلك ظهر لوغمان مع كوجر قربه.

قال: «فايفتايلز».

وشيئاً فشيئاً، ظهر الخارقون الأعداء الآخرون الواحد تلو الآخر. تسلقت القردة تماثيل الحوريات الحجرية، وأصدرت أصواتاً حماسية عالية، وجاء خارق ديدان أم أربعة وأربعين الذي لم يره كاو منذ المعركة ضد أم الذبابات من خلف شجرة، وبدأ جسمه يتلوى فيما دخلت كائناته وخرجت من ملابسه وشعره. ثم جاءت المرأة حليقة الرأس وهي ممتطية ثورها الأميركي. بعد ذلك، ظهرت كلاب، وأفاعٍ، وضفادع عملاقة، وأسود ضخمة؛ ظهر العشرات من الرجال والنساء الخارقين مع وحوشهم. واهتزّت أوراق أشجار

بفعل صيحات الحيوانات؛ إلى أن أُمِرت الحيوانات بالتفرق.

ففكر كاو في سرّه: جميعهم هنا، إنهم جيش الأرملة البيضاء. وعددهم كبير جداً بالنسبة إليّ- أنا وليديا وحدنا.

في تلك اللحظة، قال جوني: «حسناً. فلننفذ الخطة».

ففرك لوغمان يديه معاً وقال: «إنهم لا يعرفون ما ينتظرهم».

وما إن أنهى لوغمان كلامه حتى انطلق جوني بسرعة بين الأشجار متجهاً نحو بوابة الحديقة العامة.

فقالت ليديا: «علينا إنذار الآخرين».

وأجاب كاو: «عودي من الطريق الذي جئنا منه. وعندما تصبحين بعيدة نوعاً ما، اتصلي بأمك وأخبريها كل شيء. قولي لها إن جوني يعمل ضدنا، وإن المجرمين كلهم هنا».

فلا بد من إيقاف أي شيء يخطّط له أعداؤهم.

سألته ليديا: «وماذا عنك؟».

عندها، أطبق كاو فكيه بإحكام، وفكّر في سرّه: سأسجل هدفاً. «كاو!».

حمل كاو منقار الغراب الذي تلألأ في العتمة. لم يكن يريد إخفاء أي شيء عن ليديا، ولكن من الأفضل ألا تعرف بما يخطط له. لذا، قال لها: «سأبقى هنا».

بدت ليديا غير واثقة من صحة تركه بمفرده وقالت: «لكنّ غربانك ليست معك. وإذا وجدوك... لمَ لا تأتي معي وتساعدني في الشرح؟».

فهزّ كاو رأسه رافضاً اقتراحها وقال: «إنهم لا يثقون بي، ولكنهم

أقرأناكموه

سيصدقونك حتماً. قولي لهم إنك جئت إلى هنا بحثاً عني، ولكنك وجدت جوني عوضاً عني. أرجوك يا ليديا. هيا، اذهبي».

فما كان من ليديا إلا أن عضّت شفتها، وترددت قليلاً قبل أن تقول: «عدني بأن تتوخى الحذر». ثم استدارت وانطلقت بين الأشجار.

انتظر كاو حتى أصبحت بعيدة جداً، ثم جال خلسة حول المجموعة. نظر من بين الشجيرات، فرأى جوني يخرج عبر بوابة الحديقة العامة الأمامية وينطلق في الشارع، فلحق به صمت.

وفيما مشى وراء الخارق الخائن، أدرك كاو فداحة مخطط جوني فايفتايلز. فقد كذب على الخارقين الطيبين منذ البداية، وبات الآن يعرف كل أسرارهم. وكان وجوده في مصرف بيكويك جزءاً من خطة الخارقين الأشرار لإقناعهم بأنه إلى جانبهم. كما أن الهجوم على معمل الخياطة كان فكرته، وهو من خطّط للقاء كاو مع الأرملة البيضاء. وقد فعل كل ذلك لجعل كاو يبدو سيئاً ولتحميله المسؤولية.

راقب كاو ظهر جوني بكراهية شديدة، وقرر أن يُفشل خطة خارق ذئاب القيوط أياً كانت؛ إذ لن يسمح بأن يتم خداعه مجدداً.

دخل جوني فايفتايلز ممراً ضيقاً بين المطابع القديمة وجدار السجن العالي، فانتظر كاو بضع لحظات، ثم لحق به بسرية تامة. وحين زاد خارق القيوط سرعته، أسرع كاو في سيره إلى أن وصل الممر إلى نهاية مسدودة.

فجأة، قفز كاو في مكانه عند سماعه صوت حيوان عالياً، فتوقف جوني في مكانه. اختبأ كاو وراء مكب نفايات كي لا يراه

أحد، ثم انتظر سماع خطوات جوني مجدداً. إلا أنه سمع عوضاً عن ذلك عواء خفيفاً، فاقشعر بدنه. وحين استدار، رأى ذئب قيوط يدخل الممر. تقدم الذئب إلى الأمام ببطء،

فيما سأل جوني والسرور يبدو واضحاً في صوته: «ما الذي وجدته يا فيكتور؟ أهو غراب جبان؟».

عندها، أدرك كاو أنه لم يعد هناك داعٍ للاختباء بعد الآن، فخرج من مخبئه، ووجد جوني واقفاً على مسافة عشرين خطوة منه مبتسماً ابتسامة عريضة. لم يعد هناك أي مجال ليهرب كاو بعد أن أصبح عدوه أمامه وذئب القيوط خلفه.

قال جوني: «أين كنت؟ كنا نبحث عنك جميعاً».

فأجاب كاو: «كنت أحاول اكتشاف حقيقتك».

فبسط جوني ذراعيه وقال: «وما الذي عرفته عني؟».

«أنت تعمل لصالح الرجل الدوام، وقد خنت جميع الذين وثقوا فيك».

عندها، هدرت حنجرة القيوط، وأخفض رأسه كاشفاً عن أنيابه.

فقال جوني: «اتخذ كل منا خياراته». ثم رفع عينيه إلى السطوح المجاورة، فأدرك كاو أنه يبحث عن الغربان، فيما تابع خارق القيوط: «قررت الوقوف في صف الرابحين».

قال كاو: «هكذا إذاً! لكنك خلال الصيف المشؤوم حاربتَ ضد خارق العناكب».

فأجاب جوني: «وقفتُ مع الرابحين يومها أيضاً. الشرف، والوفاء، والشجاعة... مجرد كلمات يا كاو. كلمات يستخدمها

أقرأناكموه

الرابحون لابتكار كذباتهم. والصمود هو الكلمة الوحيدة المهمة. من المؤسف أنك تعلمتها مؤخراً، غير أن بلاك كورفوس عرفها جيداً».

عندها قال كاو: «إنه وحش، وأنا لست مثله إطلاقاً».

أجاب جوني: «أعرف. ولهذا السبب، انتهى بك المطاف هنا».

فقال كاو: «لا أعتقد ذلك. أستطيع استدعاء ألف غراب لمحاربتك».

عندها، نظر جوني حوله مجدداً. ومع مرور كل ثانية، ازداد خوف كاو أكثر فأكثر، ثم ابتسم جوني قائلاً: «هذا مثير. إذاً، أين هي الآن يا كاو؟».

أجاب كاو: «ستكون هنا. لا تجبرني على مهاجمتك».

فضحك جوني وقال: «أنت كاذب مريع يا كاو. وحتى إن استطعت استدعاء غربانك، فسينقضّ فيكتور عليك خلال خمس ثوانٍ، وستموت خلال عشر ثوانٍ».

نظر كاو إلى كلا الجانبين، ولاحظ وجود أنبوب للصرف الصحي معلق على الجدار القديم. ففكر في أنه إذا استطاع الوصول إليه، فبإمكانه تسلقه واكتساب نقطة إيجابية.

عندها، قال جوني: «هدِّئ من روعك. فقد طلبت إليّ الأرملة البيضاء عدم قتلك. وهذا مؤسف؛ لأنني كنت أحب أن أقاتلك لأرى صحة الأخبار التي قيلت عنك».

فما كان من كاو إلا أن أمسك بمنقار الغراب بإحكام وقال: «ستأتي معي».

لم يكن جوني مضطرباً قط، لا بل تلألأت عيناه حماسة وهو

أقرأناكموه

يقول: «غير أنني بالطبع أستطيع دوماً الادعاء بأنني كنت أدافع عن نفسي. فأنا موهوب في قول الأكاذيب؛ على عكسك». ثم أومأ برأسه للذئب الواقف خلف كاو وقال له: «إنه لك يا فيك».

وسرعان ما قفز ذئب القيوط إلى الأمام، واجتاز الممر بخطوات عملاقة. فقال كاو فيما تراجع إلى الوراء: «انتظر!». غير أن ذئب القيوط قفز في الهواء، فيما رفع كاو منقار الغراب عالياً، مستعداً للارتطام الوشيك.

15

سمع كاو صوت عواء عالياً جداً فيما وقع، وأحسّ بالألم في عدة أنحاء من جسمه. كان ذئب القيوط مستلقياً فوقه، فيما عنقه ورأسه فوق كتفه، وكان وجه كاو على مسافة إنشات قليلة من أنيابه المكشوفة. لكن القيوط أغمض عينيه، وخفق صدره بسرعة كبيرة، ثم زفر زفيراً أخيراً وجمد.

وحين أبعده كاو عنه، وأخرج ساقيه من تحت جثته، وجد سترته مغطاة بالدم، وكذلك نصل منقار الغراب.

قال صوت مرتجف: «فيك!». فنظر كاو إلى جوني فايفتايلز الذي وقف في نهاية الممر مذهولاً ثم سأله: «ماذا فعلت لفيكتور؟».

ارتجف كاو، وقال وهو يخفض السيف: «لم أقصد ذلك».

عندها، زمجر جوني: «أيها الحقير الصغير». ثم هجم وانقضّ على معدة كاو، مستخدماً كتفه أولاً. وقعا كلاهما على الأرض، وتدحرج منقار الغراب بعيداً على الرصيف. أحسّ كاو بيد تنغرز

أقرأناكموه

في وجهه، وبأصابع تخدش عينيه، فأطبق أسنانه على معصم جوني وعضّ بكل قوته.

صرخ خارق القيوط: «آخ». ثم أبعد كاو عنه دافعاً إياه بقوة، فارتطم بسلة نفايات. وبعد ذلك، نهض جوني، وسوّى سترته، وتأمل معصمه النازف ثم قال: «سوف تدفع ثمن ذلك». وأرجع قدمه إلى الخلف وركل كاو على معدته. مكتبة الرمحي أحمد

كاد كاو يختنق، وأحس بالكثير من الألم، وشهق بصوت عالٍ. غير أنه نجح في النهوض على ركبة واحدة. وفيما تراجع جوني إلى الخلف، ثم ركض لركله مجدداً، مدّ كاو قدمه وأوقعه، فارتطم جوني بالأرض محدثاً صوتاً عالياً.

زحف كاو في اتجاه منقار الغراب وهو يكافح للتنفس بصعوبة، وأحس بجوني يمسك بكاحله، ولكنه استطاع الإفلات منه، وعثرت أصابعه على السيف، فحمله لمواجهة عدوه.

رفع جوني يديه استسلاماً وتنفس بصعوبة، فيما وقف كاو على قدميه مُبقياً نصل السيف ثابتاً، ورأسه موجّه نحو قلب جوني.

فصرخ خارق القيوط: «لم تتغلب عليّ».

فردّ كاو: «حقاً!». وأمسك بمقبض منقار الغراب بقوة.

عندها، قال خارق القيوط: «اسمع، فلنتعاون يا كاو. أنا أعرف كل خططه، ما رأيك؟».

غير أن كاو أجابه قائلاً: «أخبرني عن مكان سيلينا وسأتركك على قيد الحياة».

فهزّ جوني رأسه قائلاً: «لم تفهم الأمر، أليس كذلك؟ إنها

أقرأناكموه

الأرملة البيضاء. ما من شيء...»

ولكنّ كاو قاطعه قائلاً: «أين هي؟».

فأجاب جوني: «ربما ماتت. فقد احتاج إليها فقط لكي يصير قوياً بما يكفي من دون جسد. لقد عاد يا كاو، ولن يوقفه أي شيء. وعندما يصبح هنا، لن يكون عدد الخارقين الذين تستطيع فيلما جمعهم في جيشها الصغير مهماً».

لم يحبّ كاو النظرة التي بدت في عينَي جوني؛ ليس لأنها خبيثة، بل لأنها مذعنة جداً. كما لو أنه لا يوجد أمل بأي مستقبل أبداً.

فقال كاو مجدداً: «أخبرني فقط أين أستطيع إيجاد سيلينا».

عندها، ارتسمت ابتسامة بطيئة على وجه جوني وهو يجيب: «لا تقلق يا كاو. ستراها قريباً». ونظر خلف كاو قبل أن يتابع: «في أرض الموتى».

وحين استدار كاو، رأى ثلاثة ذئاب قيوط تتقدم في الممر، ثم أحس بمنقار الغراب يفلت من يده فيما هجم عليه جوني ورمى السيف بعيداً.

وقال جوني وهو يتراجع إلى الخلف مبتسماً ابتسامة عريضة: «دعنا نرى ما الذي تستطيع فعله من دون سلاح».

لا مجال أبداً للهرب؛ فخلف كاو توجد نهاية الممر. يستطيع الموت جباناً أو القتال حتى الموت، لكن الخيارين سيؤديان إلى النتيجة نفسها.

رفع قبضتَي يديه.

فجأة، هبط غرابان من السماء وجثما قربه. وكانا ذكراً ممتلئاً

أقرأناكموه

ريشه أسود باهت ومنقاره عريض، وأنثى نحيلة. فلم يصدّق كاو عينيه.

غلام وشيمر!

في تلك اللحظة، أراد الصراخ «شكراً»، لكن صوته لم يكن سوى همسة. فنفخ الغرابان ريشهما استجابة له.

عندها، ضحك جوني قائلاً: «ثلاثة ضد ثلاثة. لكنها ليست معركة عادلة».

بدأت ذئاب القيوط تركض بخطوات سريعة، فيما طار الغرابان عالياً مُطلقيْن صيحات قوية. عندها، امتلأ كاو بطاقة جديدة، فتحرّك جانباً، وأمسك بأنبوب الصرف الصحي بكلتا يديه، وبدأ يتسلقه.

فصرخ خارق القيوط: «اتبعيه!».

تقدمت ذئاب القيوط إلى الأمام، وقفز الذي كان في المقدمة نحوه، فأبعد كاو جسمه قدر الإمكان، وسمع صوت المخالب وهي تكشط الجدار الحجري. ساعده الذعر الشديد الذي شعر به على التسلق أعلى وأعلى فيما زمجرت الذئاب الثلاثة تحته.

في تلك اللحظة، أمسك جوني فايفتايلز بأنبوب صرف صحي آخر مثبت على المبنى، وبدأ يتسلقه بسرعة كبيرة. لكن كاو كان أسرع.

تفوق كاو على خصمه بفضل الأعوام الطويلة التي أمضاها في التنقل على سطوح بلاكستون، وتسلق مئات الأشجار. وصل إلى أعلى المبنى، ووقف على السطح. غير أنّ ساقه علقت بشيء ما من الخلف، وشعر بالألم يمتد في ربلة ساقه. وجفل حين أدرك أن

أقرأناكموه

قضيباً معدنياً صدئاً مزّق سرواله الجينز وانغرز في لحمه، فتقطر الدم إلى الممر تحته. أبعد سروال الجينز عن القضيب الصدئ، ونظر من فوق الحافة، فرأى ذئاب القيوط تراقبه بنظرات جائعة.

ثم لفت انتباهه صوت خربشة قريب، فأدرك أن جوني قد وصل إلى السطح، كما أدرك أنهما يقفان على سطح السجن القديم. وتذكّر أنه توجد سلسلة من الأفنية المخصصة للتمارين في الجهة الأخرى، وأنها مطوقة بسور خارجي.

نظر جوني من فوق الحافة وقال: «إنه ارتفاع كبير يا كاو. وانظر إلى ما وجدته».

ومد يده خلفه وسحب منقار الغراب من تحت حزامه.

في تلك الأثناء، حلّق غلام وشيمر فوق كاو، ثم جثما قربه. إنهما لا يزالان وفيين بالرغم من كل شيء. تراجع كاو إلى الخلف، فيما تقدّم جوني فايفتايلز شاهراً السيف في وجهه.

عندها، نظر كاو من فوق كتفه، ولاحظ أنه بات قريباً من حافة السطح. في الماضي، كان يستخدم قواه الخارقة للتحول إلى غراب للتخلص من مأزق كهذا. ولكنه لا يشك الآن في أن كورفوس قد سلبه هذا الخيار أيضاً.

قال جوني: «هل أخبرك شيئاً يا كاو؟ إليك هذا الخيار. إما أن تقفز أو أدفعك بنفسي».

حاول كاو التنفس بهدوء والتفكير في حل. فالتراجع إلى الخلف يعني الموت المحتم؛ إذ لا يستطيع غلام وشيمر فعل أي شيء لإنقاذه. لذا، لا يمكنه القيام بأي شيء ما عدا التقدم إلى الأمام.

أقرأناكموه

وإذا استطاع تفادي السيف بطريقة ما، فقد تكون لديه فرصة. لكنّ جوني فايفتايلز بدا مصمماً جداً، ما يعني أنه لن يخطئه.

لكن، ثمة طريقة أخرى ربما.

قال كاو: «انتظر! لديّ شيء لك».

فأجاب جوني: «لا أريد أي شيء منك. توقف عن المراوغة».

فما كان من كاو إلا أن مدّ يده إلى عنقه وقال: «ماذا عن حجر منتصف الليل؟».

وسمع صوت أنفاس خارق القيوط وهي تتوقف للحظات، ثم قال: «أنت تكذب. إنه ليس معك».

عندها، سحب كاو الحجر الذي كان لا يزال ملفوفاً بقطعة القماش، فتلألأت عينا جوني ولعق شفتيه قائلاً: «أعطِني إياه».

فقال كاو وهو يفكّ الحبل عن عنقه: «وهل ستتركني على قيد الحياة؟».

غير أن جوني هزّ رأسه نافياً وقال: «محاولة جيدة».

فجأة، رمى كاو الكيس إلى الخلف وراء كتفه.

فصرخ جوني: «لا!»، فيما أخفض السيف وراقب حجر منتصف الليل وهو يقع عن السطح. كان هذا هو الإلهاء الذي يحتاج إليه كاو، فتقدم إلى الأمام، بهدف ضرب جوني على وجهه. لكن خارق القيوط أمسك بذراعه، وسقطا معاً، واستقرا فوق ركام على السطح. تدحرجا معاً، ولم يعرف كاو قط إلى أي مدى اقتربا من الحافة. ثم وجدت يداه حنجرة جوني فضغط عليها بقوة، فما كان من خارق القيوط إلا أن أنزل ذقنه إلى صدره وأبعد قبضة كاو عنه، ثم أرجع

أقرأناكموه

رأسه إلى الخلف وضرب بجبينه أنف كاو.

شلّ الألم كاو، فتمكن جوني من رميه على ظهره، ثم فرض عليه كل وزنه، وضربه بقبضة يده على ضلوعه، فيما سحق بيده الأخرى وجنته. أحسّ كاو بطعم الدم في فمه، وسمع صوت الغرابين المذعورين.

فجأة، اختفى الوزن الذي كان عليه، وشعر كاو بالكثير من الألم في وجهه بسبب اللكمات. وحين نظر إلى السطح، رأى جوني فايفتايلز يمسك بمنقار الغراب مجدداً وهو يقول: «كان هذا تصرفاً طفولياً يا كاو. إنه تصرف طفولي وأحمق. والآن، سوف تستمتع ذئاب القيوط بتناولك في الوجبة التالية...»

إلا أن كلام جوني قاطعه صوت جديد: «اتركه وشأنه».

عندها، رفع كاو نفسه على مرفقيه. وهناك، على القسم الناتئ من السطح وقف شخص بدين، مع كائن أسود قرب كاحليه. لهنيهة، ظن كاو أن عينيه تخدعانه.

غير أنّ جوني قال مؤكداً ما رآه كاو: «فيليكس كوايكر. اعتقدت أنك ذكي بما فيه الكفاية للبقاء بعيداً عن هذه المسألة. فهذا هو أسلوبك عادة، أليس كذلك؟ فأنت تتقوقع في مكان ما على أمل ألا يزعجك أحد».

مسح كاو الدم عن وجنته وهو لا يزال يشعر بالدوار.

فيما شق كوايكر طريقه إليهما برشاقة مذهلة، وبقيت قطته ملتصقة به. وعندما أصبحا تحت الضوء، لاحظ كاو أنها القطة نفسها التي رآها مع ليديا على جدار الحديقة العامة.

أقرأناكموه

قال كوايكر: «فنلقل إنك أقنعتني بالقيام بعكس ذلك». ولاحظ كاو أن وجه كوايكر متورم وأرجواني اللون من أحد الجانبين، فيما قال هذا الأخير: «قد تكون القطة بطيئة في الشعور بالغضب، غير أنها تكون متوحشة إن أُغضِبت. ما كان يجدر بك اللحاق بي يا جوني، بل كان يجدر بك تركي وشأني». وسرعان ما ظهر المزيد من القطة، وانتشرت حول السطح محيطة بجوني.

فقال جوني فايفتايلز: «آسف بشأن فكك. ولكنك لم تكن متعاوناً جداً معي».

سأل كوايكر: «كاو، هل تأذيت؟».

فأجاب كاو بضعف: «أنا بخير».

غير أن جوني تدخل قائلاً: «لن يبقى هكذا لوقت طويل». ومن دون إنذار، استدار حول نفسه، ورفع منقار الغراب عالياً فوق رأس كاو.

لكنه ما إن فعل ذلك حتى وثبت قطة كوايكر على ذراعه، فأطلق صرخة عالية وأفلت السيف، فيما حرّك ذراعه بقوة لإبعاد القطة عنه، وصرخ قائلاً: «تعال يا كوايكر، دعني أرى كيف يحارب خارق القطة الغاضب!».

وفيما حاول كاو الوقوف على قدميه، بدأ كوايكر وفايفتايلز يدوران حول بعضهما. تحرك خارق القطة بسرعة، محدباً ظهره على علو منخفض، وبدا كما لو أن قدميه تنزلقان بخفة على السطح. أما جوني فايفتايلز فوثب على أصابعه، وأطبق قبضتَي يديه مثل الملاكم.

قال جوني: «هل تعرف؟ إننا ربما لسنا مختلفين عن بعضنا كثيراً. فكلانا نحب الجلوس للتأمل قبل الانضمام إلى الهجوم».

هجم خارق القطة محركاً يديه بطريقة ضبابية. لكن جوني ابتعد جانباً، فانزلق الرجل العجوز إلى الأمام، غير أنه نجح في التوقف عند حافة السطح المطل على الشارع. عندها، ركض جوني نحوه، ومد يديه استعداداً لدفع كوايكر إلى الموت. إلا أن فيليكس استدار حول نفسه، ورفع ذراعيه إلى الأعلى وأمسك بمعصمَي جوني. ولهنيهة، ظل الاثنان متشبثين ببعضهما وهما على شفير الموت.

فجأة، ابتسم كوايكر قائلاً: «أنا لا أشبهك أبداً يا فايفتايلز. فأنت تبيع روحك لمن يدفع أكثر. حسناً، ليس بعد الآن».

ثم تراجع إلى الخلف.

عندها، أطلق جوني فايفتايلز صرخة عالية فيما وقعا كلاهما عن الحافة.

صرخ كاو: «فيليكس!».

وزحف نحو حافة السطح وهو يشعر بالذعر الشديد. لم يشأ النظر، لكن توجب عليه معرفة ما حصل. انحنى إلى الأسفل متوقعاً رؤية جثتين على الأرض.

غير أنه رأى جثة واحدة فقط على مسافة ثلاثة طوابق. فقد استلقى جوني فايفتايلز على ظهره في الممر، فيما ساقه منثنية تحت الساق الأخرى، وذراعاه ممددتان على الجانبين.

أما فيليكس كوايكر فكان جالساً على يديه وركبتيه على مسافة

أقرأناكموه

أقدام قليلة من جوني. ثم وقف بحزم، ورفع رأسه للنظر إلى كاو.

كانت المسافة بعيدة؛ إذ تبلغ أربعين قدماً أو ربما أكثر. لا شك في أن أي شخص عادي سيموت.

«كيف؟».

فقال كوايكر من الأسفل: «نحن نهبط دوماً على أكفّنا».

ابتسم كوايكر بالرغم من كل شيء، ثم رأى ذراع جوني تتحرك وكذلك صدره، وترافق ذلك مع سماعه زمجرة عالية، فتراجع إلى الخلف متفاجئاً، ثم قال: «من الأفضل أن تنزل إلى هنا».

ورغم أن ساقه كانت لا تزال تنزف، ووجهه بدأ يتورم حول عينيه، شق كاو طريقه إلى الأسفل بحذر، نازلاً على أنبوب صرف صحي آخر. قفز على حافة نافذة، ثم قفز مجدداً للوصول إلى الأرض. جثم غلام وشيمر قربه فيما منقار الغراب مثبت بين مخالبهما. أخفض غلام منقاره، فخشخش حجر منتصف الليل عند ملامسته الحصى. عندها، شعر كاو بفرح غامر لدى رؤيته غرابيه قربه مجدداً وقال: «لقد عدتما. لم أستدعِكما، ولكنكما عدتما».

فنظر إليه الغرابان، ولكن استحال عليه قراءة عيونهما السوداء.

وضع كاو الحجر في جيبه وخبأ السيف قبل أن يستدير نحو خارق القطة ويسأله: «هل كنت تعرف أنك ستنجو من السقوط؟».

فأجاب كوايكر: «أملت ذلك. بصراحة، لم أجرّب القيام بهذا منذ أعوام طويلة». ثم ربّت على معدته وتابع شارحاً: «لم أكن أتدرب جيداً».

فقال له كاو: «شكراً لك، لقد أنقذت حياتي».

أقرأناكموه

أومأ كوايكر برأسه بسرعة وقال: «سأقول إنك تبدو مريعاً أيها الصغير، لكنّ كل شيء نسبي». ونظرا إلى جوني فايفتايلز الذي كان لا يزال يتنفس بشكل خفيف، فيما تحرّكت أصابعه. أدرك كاو أن ظهر جوني مكسور، بالإضافة إلى ساقه والعديد من عظامه الأخرى. إنه مشهد مريع. ونظرت عينان يائستان إلى عينَي كاو.

فقال: «لا تحاول التحرك. سوف نطلب لك سيارة إسعاف».

سعل جوني فايفتايلز، ثم بصق الدم على الحصى، وزمّ شفتيه على شكل ابتسامة خبيثة وهو يقول: «لست أنا من يحتاج إليها».

فقال كوايكر بحزم: «كاو! لدينا مشكلة». عندها، نهض كاو، فرأى ثلاثة ذئاب قيوط تتقدم نحوهما، فيما قهقه جوني فايفتايلز.

نظر كاو حوله بحثاً عن طريق للهرب، فوجد مخرجاً للحريق، لكن لم يكن بإمكانهما الوصول إليه قبل ذئاب القيوط. زمّت الذئاب المتوحشة أفواهها، ورأى كاو وحشيتها ظاهرة بوضوح في نظراتها.

قال جوني فايفتايلز: «سأستمتع بذلك. فقد أبقيتها جائعة لأيام».

عندها، قال كوايكر فيما اقترب من كاو: «استدعِ غربانك وأخرجنا من هنا!».

فأجاب كاو: «لا أستطيع. لم... لم أعد أسيطر عليها».

قال كوايكر: «ماذا؟ لكن...»

تساءل كاو عمّا إذا كان يستطيع استخدام حجر منتصف الليل لصرف الانتباه مجدداً. لكنه أدرك أنه حتى لو نجح الأمر مع قيوط واحد، فسيتمكن الذئبان الآخران من قتلهما. باتت الوحوش الثلاثة على مسافة أقل من عشرين قدماً منهما، وراحت تقترب أكثر فأكثر.

أقرأناكموه

في تلك اللحظة، نعب غلام وشيمر، واقتربا منه.

استطاع كاو التفكير في شيء واحد فقط.

فركع وأخرج حجر منتصف الليل من كيسه، ووضعه مباشرة في راحة يد جوني المفتوحة.

تمتم خارق القيوط: «ماذا...». ثم أدار عينيه ذعراً فيما أطبق له كاو أصابعه بشدة فوق الحجر، وصرخ جوني: «لا! لا يمكنك...»

ثم تشنج جسمه، واستلقت ذئاب القيوط مرجعة آذانها إلى الخلف، كما لو أنها خافت فجأة. ثابر كاو على ما يفعله، فأبقى يد خارق القيوط مطبقة على حجر منتصف الليل. وبعد لحظات، توهّج الضوء تحت سطحه الأسود بالتزامن مع تنفس جوني المرتعش. وأخيراً، أطلق جوني صيحة يأس، واختفت الأضواء فجأة مثل المصباح الذي ينطفئ.

سأله كوايكر: «ماذا فعلت؟».

تأوّه جوني مجدداً، وخرج صوت متألم من أعماقه وهو يقول: «لقد أخذتها! أخذت كائناتي مني!».

فأبعد كاو أصابع جوني عن حجر منتصف الليل، وأعاده بأمان إلى كيسه، ثم قال بهدوء: «لم تترك لي أي خيار». فيما راحت ذئاب القيوط تتثاءب وتلعق أسنانها بعصبية.

حدّق جوني إلى كاو بكراهية شديدة وقال له: «لم ينته الأمر. فهو سيربح».

غير أنّ كاو هزّ رأسه قائلاً: «ليس من دون جيش... لن يربح. فقد ذهبت ليديا لإخبار حلفائنا الآن، وهم متوجهون إلى الحديقة

العامة لتطويق المجرمين».

انتظر رؤية الهزيمة في عينَي جوني، لكن هذا الأخير بدأ يضحك ضحكة مخنوقة ومصحوبة بالألم، ثم قال: «أيها الأحمق، ألم تفهم؟ كنت... سأحضرهم ... إلى الحديقة العامة على أي حال. إنه كمين... أيها الولد! شبكة عنكبوت...». وابتلع القليل من الدم، وهو يتابع كلامه: «هذه شبكة... لاصطيادكم جميعاً!».

عندها، توتّر كاو وأحسّ بالقشعريرة.

فيما قال كوايكر بإلحاح وقد أمسك بكتف كاو: «علينا أن نذهب يا صغيري». وسرعان ما طار الغرابان وحلقا فوق رأسيهما.

فسأل كاو وهو يومئ مشيراً إلى فايفتايلز: «وماذا عنه؟».

أجاب كوايكر: «اتركه». وفجأة، صدح في سكون الليل صراخ حيوانات وبشر، وكانت الأصوات صادرة من الحديقة العامة. وبعد قليل، سمع كاو صوت إطلاق نار أيضاً.

فقال كوايكر: «كاو، تعال!». ثم أمسك بذراع كاو بشدة. في تلك اللحظة، أصبح تنفّس جوني أسرع وأسرع، مع لهاث متقطع. وفجأة، جمد في مكانه، وارتفعت قزحيتاه إلى الأعلى.

قال كوايكر: «لم يعد بوسعنا الآن فعل أي شيء من أجله».

ثم قام خارق القطة بجرّ كاو في الممر. لم يصدر عن جوني ولا عن ذئاب القيوط أي صوت آخر.

كان كاو لا يزال يرتجف عندما انطلقا في شارع جانبي، ثم تناهى إلى مسامعهما صوت الصراخ مجدداً.

فقال كوايكر: «بسرعة يا كاو!».

أقرأناكموه

غير أن كاو كان يركض، فيما حلّق غلام وشيمر فوق رأسه.

16

صرخ كوايكر: «انتظرني».

ألقى كاو نظرة سريعة إلى الخلف، فرأى عشرات القطط تلحق بخارق الهررة. تابع كاو الركض متجهاً إلى الجهة الأمامية للحديقة العامة، فوجد البوابة مفتوحة، والسلاسل مكسورة. دخل كاو بسرعة، وكان أول ما رآه ثعلباً مستلقياً على جانبه على العشب وهو يلهث بسرعة، وقد امتلأ فمه بالدم. ثم سُمع صوت هدير قوي، مما بعث القشعريرة في جسم كاو.

فجأة، قال كوايكر: «انتبه!».

فانخفض كاو بسرعة، فيما حلّق على علوّ منخفض شكل كبير بين الأشجار الموجودة إلى يساره. ثم لمح كاو بفضل وهج مصباح الإنارة كتلة من الريش الأبيض والتوهج الأصفر لمنقار مسنن. كاد النسر يصيبه فعلاً فيما تحرك بين أغصان شجرة أخرى. اتجه كاو إلى حيث ترتفع أصوات المعركة التي تدور في العتمة في وسط الحديقة العامة. في تلك اللحظة سمع صوت حفيف الأوراق فوق رأسه، ثم رأى السناجب تركض بين الأغصان هاربة من نسر آخر. مادلين هنا أيضاً.

حلّق سرب من طيور الحمام فوق رأسه حاملاً قرداً يزعق بصوت عالٍ. ومن بين جذوع الأشجار، استطاع كاو رؤية كرامب مختبئاً جزئياً خلف مقعد خشبي. حرّك خارق الحمام ذراعيه بطريقة

أقرأناكموه

مسعورة، كما لو أنه يدير عدة فرق أوركسترا دفعة واحدة. فجأة، لاحظ كاو شيئاً يتحرك بين الأعشاب خلف كرامب. وعندما وصل ذلك الشيء إلى مساحة مضاءة، أدرك كاو أنها عظاءة عملاقة فاتحة فكيها المخيفين.

فصرخ كاو: «كرامب، انتبه!».

عندها، استدار خارق الحمام، ثم قفز إلى الخلف فيما اندفعت العظاءة بقوة نحو ساقه. فما كان من طيور الحمام إلا أن انقضّت عليها دفعة واحدة، فيما حلقت طيور حمام أخرى على علو منخفض وسحبت كرامب بعيداً عن الخطر، ثم طار متجهاً نحو كاو.

قال كرامب وهو يحلّق في الأعلى: «الحمد لله لأنك بخير. جئنا إلى هنا فور سماعنا الخبر». ثم حرّك رأسه متأملاً الأشجار بعينين كبيرتين قلقتين، إلى أن استقر نظره على شيمر وغلام الجاثمين على غصن مجاور فسأله: «هل صحيح يا كاو... ما سمعناه عن غربانك؟».

كان كاو على وشك الإجابة عندما بدأ العشب إلى يمينه بالتحرك، وتقدمت نحوه مئات الجرذان، وتراكمت فوق بعضها وملأت المكان.

ثم سمع صراخ ولد صغير: «النجدة».

فقال كرامب: «بيب!». وحملته طيوره فوق الأشجار.

هاجمت مجموعة من قططة كوايكر الجرذان، فحصلت فوضى وضجة كبيرة نتيجة لذلك. لكن العديد من القوارض نجحت في تجاوز القططة، فما كان من كاو إلا أن هرب بعيداً عنها، واتجه نحو وسط الحديقة العامة. كان يلهث بشدة، وقد احترقت أطرافه نتيجة

أقرأناكموه

تدفق الأدرينالين في جسده.

رأى كاو خارقة الثيران الأميركية ووحشها العملاق يقفان على طاولة طعام محطمة. وكانا خائفين بعد أن أحاطت بهما مجموعة من الذئاب الغاضبة، فيما كان راكلن متكئاً على شجرة مجاورة، وقد أمسك بذراعه النازفة. في تلك اللحظة، سحب رجل يرتدي ملابس ممزقة مسدساً من قرابه، واقترب من خارق الذئاب. لكن، قبل ثانية واحدة من ضغطه على الزناد، غطى النحل وجهه، فانطلقت الرصاصة من دون هدف، فيما تعثر الرجل ووقع أرضاً مطلقاً صيحات مكتومة بفعل طنين النحل.

تابع كاو طريقه باحثاً عن السيدة ستريكهام وليديا وبيب. لكنه لم يرَ سوى أشكال معتمة.

فجأة، سمع فوقه صوت أغصان تطقطق، ثم قفز كرامب من شجرة وحطّ على الأرض. حلقت طيور الحمام حوله، وكان العديد منها منتوف الريش.

صرخ: «اذهب وساعد بيب!».

عندها، لمح كاو صديقه في ملعب الأولاد يركض وراء لعبة الخيل القديمة. قفز بيب من فوق السياج، ثم دخل عبر فجوة تحت الدرج، فلحقت به القرود وضربته بقوة ومزّقت ملابسه. ورغم أن الفئران غطّت ظهورها، إلا أن القرود تجاهلتها. فما كان من كاو إلا أن ركض متجهاً إلى منصة الفرقة الموسيقية، وأمسك بقرد من الجهة الخلفية لعنقه ورماه بعيداً. عضّ قرد آخر يده، ولكنّه نفض يده بقوة مبعداً إياه عنه فيما حاول ركل قرد غيره، غير أن هذا الأخير نجح في

أقرأناكموه

التمسك بجسم كاو وتشبث بحنجرته. لكن كاو نجح في الإمساك بذيله، ورماه بعيداً على العشب. أخيراً، تراجعت القرود وابتعدت عن بيب، فاقترب كاو من صديقه وساعده في الوقوف على قدميه، فيما اختفت الفئران تحت معطف الصبي الصغير.

مرّت أمامهما كتلة من الريش والفرو. إذ كان ثعلبان يتشاجران مع نسر، وارتطما بأسفل شجرة. رأى كاو النسر يشق حنجرة أحد الثعلبين بمخلبه الحاد، ثم يرفع الآخر في الهواء محكماً قبضته عليه. إلا أن النسر وصل فقط إلى مستوى الشجرة، قبل أن تقفز عليه حيوانات الراكون من فوق الأغصان. لم يصبه أول راكون، لكن الثاني حطّ على ظهره، ووقعا معاً على الأرض. وبعد لحظات، ظهرت السيدة ستريكهام من خلف الشجرة، وطار معطفها الطويل خلفها وهي تركض متجهة نحو الثعلب المصاب. أما النسر فهرب وحلّق بعيداً بجناحيه المثقلين بالجروح.

ركض كاو إليها، وبدأ يقول: «جوني فايفتايلز...»

غير أن السيدة ستريكهام قاطعت كلامه، وقالت له وهي تنظر إليه مصدومة: «كاو، أخبرتنا ليديا كل شيء. أنا آسفة جداً على كل شيء. لا أصدق يا كاو أننا...»

ولكنّ كاو تابع قائلاً: «لقد مات».

عندها، تجمّدت تعابير السيدة ستريكهام، ثم قالت بهدوء: «كيف؟».

«حاول قتلي، لكن كوايكر أنقذ حياتي».

فسألت السيدة ستريكهام: «كوايكر! أتعني فيليكس كوايكر؟!».

أقرأناكموه

فأومأ كاو برأسه نحو الأسفل مؤكداً.

كانت المعركة لا تزال محتدمة حولهما. رأى كاو سرباً من ببغاوات البرّكيت يحلق في الأعلى، ثم يغوص متجهاً نحو شيء غير مرئي بالنسبة إليه. وبعد قليل، سمع صراخاً عالياً.

قالت السيدة ستريكهام: «أخبرتنا ليديا عن غربانك يا كاو. سنجد طريقة لإعادتها».

تمنى كاو لو أنه يستطيع تصديقها. وحين نظر حوله، لم يرَ غلام أو شيمر في أي مكان. فأمل أن يكونا بمنأى عن الخطر.

في تلك اللحظة، تقدّم ثعلب نحوهما وهو يعرج على ساقه المكسورة، فتمتمت السيدة ستريكهام: «مسكينة تيا». ثم أمال الثعلب رأسه وأصدر صوتاً مكتوماً.

عندها، نظرت السيدة ستريكهام بسرعة إلى الأعلى وقالت: «أين؟». فأصدر الثعلب صوتاً آخر، وعلى الفور بدأت السيدة ستريكهام تركض.

قال كاو: «انتظري!».

فأجابته السيدة ستريكهام: «إنها ليديا. طلبتُ منها عدم المجيء...»

لكن، ما إن وصلت إلى الشجرة التالية حتى ظهر المجرم ذو الشعر الطويل أمامها. وفجأة، امتلأت الأرض بالمئات من ديدان أم أربعة وأربعين التي تدفّقت على كاحليها، ونزل المزيد منها عن الأغصان وغطى ملابسها، فوقعت أرضاً.

ركض كاو نحوها لمساعدتها، غير أنها صرخت قائلة له: «كاو،

أقرأناكموه

اتركني! اعثر على ليديا!».

نظر المجرم إلى كاو شزراً فيما مرّ أمامه، غير أن مجموعة من الثعالب انقضّت عليه قبل أن تسنح له الفرصة للقيام بأي شيء. وفي الأعلى، رأى كاو طيور الحمام منقضة على خارق القردة، كما رأى راكلن يركض إلى الأمام، وكلباً ألمانياً متوحش المظهر محاطاً بمجموعة من القططة، فيما خاضت مجموعة من الأرانب الوحشية معركة مع الجرذان قرب النافورة، وجرّ ذئب أحد المجرمين من ذراعه، وقد غطّت حشرات العث جسمه مثل طبقة ثانية من الفرو.

نظر كاو إلى الأعلى، فرأى غلام وشيمر؛ فقد عادا ومعهما عشرات الغربان! عندها، شعر بالتفاؤل، وحاول استدعاءها، غير أنه لم يستطع الإحساس بأي شيء. كانت الغربان تراقب ما يحصل من دون عاطفة.

فجأة، لمح كاو ليديا مختبئة في ظل مجموعة كثيفة من الأشجار وهي تلوّح بغصن، فيما وقف اثنان من حيوانات الكوجر أمامها. قفز الكوجر الأول وأمسك بغصن الشجرة بين فكيه، ثم ظهر لوغمان خلف وحشيه، ومشى نحوها ببطء وثقة.

لوّحت ليديا بما تبقى لديها من غصن الشجرة مدافعة عن نفسها، غير أنه لم يعد طويلاً بما يكفي لإبعاد الوحشين. ثم تعثرت بجذر شجرة ووقعت على ظهرها، فأسرع كاو في خطواته، وقفز أمامها موجّهاً منقار الغراب نحو الكوجرين. تردد الوحشان، ولكنهما لم يتراجعا. عندها، رفع كاو ليديا إلى الأعلى، وتراجعا معاً بعيداً عن الوحشين المزمجرين.

كانت ليديا تنزف؛ إذ تمكن أحد الكوجرين من عضّ ذراعها قبل أن يصل إليها كاو، فضغطت على الجرح بيدها، وصرّت أسنانها.

أما لوغمان فوضع يديه على عنقَي الكوجرين، وقال وقد لمعت عيناه في العتمة: «لن يجدي سيفك الصغير نفعاً الآن».

في تلك اللحظة، ارتطم كاو بجذع شجرة خلفه، فأدرك أن لا مكان لديه للهرب، فيما كشر الكوجران عن أنيابهما وزمجرا.

وعلى الشجرة المجاورة، جثمت الغربان مراقبة ما يحصل، فتوسّل إليها كاو في سرّه طالباً منها المساعدة: أرجوك. لكنها لم تتحرك.

قال لوغمان: «هل من كلمات أخيرة تودّ قولها؟ لا أعدك بأن النهاية ستكون سريعة».

فقالت له ليديا: «تباً لك».

عندها، ابتسم لوغمان وأصبحت نظرته باردة ومن دون شفقة، ثم رفع يديه قائلاً: «اقتلاهما».

غير أن الكوجرين تجمدا في مكانيهما.

فعبس المجرم، ووجّه ركلة مؤلمة إلى مؤخرة أحد الكوجرين صارخاً: «هيا، انقضا عليهما».

لكنّ الكوجر الكبير نبش الأرض بحوافره، فيما استلقى الآخر أرضاً.

عندها، نظر كاو إلى ليديا مستغرباً. لماذا لا يهاجماننا؟!

في تلك اللحظة، اتسعت عينا لوغمان فيما نظر إلى الأعلى، ثم تراجع إلى الخلف قائلاً: «تعاليا». ثم استدار ومشى بعيداً بسرعة.

أقرأناكموه

وحين رفع كاو رأسه، لاحظ أن جذع الشجرة فوقهما يتحرك.

كان اللحاء يتقشر ويتحطم، وأصبحت كل الأوراق سوداء وثقيلة، ثم وقعت بفعل وزن كائنات صغيرة.

وسرعان ما بدأت خيوط طويلة تنسدل نحو الأرض، فيما امتدت خيوط أخرى من الأغصان إلى الجذع.

إنها العناكب.

أمسك كاو بيد ليديا وشدّها بعيداً ساحقاً العناكب تحت قدميه.

وحين نظر إلى الخلف، رأى الأرملة البيضاء جالسة القرفصاء، وقد تدلى شعرها الأبيض فوق وجهها، فيما لمعت عيناها باللون الأسود.

وفي لحظة إدراك مجنونة، أدرك كاو أن تلك الشجرة شجرته.

إنها الشجرة التي كانت تحتضن عشه... منزله لعشرة أعوام تقريباً.

لا بد أنها تعرف ذلك.

أدارت الأرملة البيضاء رأسها جانبياً، ثم نزلت على الأرض على أطرافها الأربعة.

لم تقف، فامتلأ قلب كاو بمزيج من الخوف والشفقة. إذ كان وجه سيلينا نحيلاً جداً، ووجنتاها مثل نصل السكين، مع ظهور بقع داكنة على بشرتها المتشققة. وبلغ طول كل من أظفارها التي تنبش الأرض إنشين على الأقل، وكانت سوداء اللون ومستدقة. أما شعرها الذي كان لا يزال أبيض اللون، فقد أصبح رقيقاً جداً، حيث استطاع كاو رؤية فروة رأسها العارية.

قالت له: «مرحباً جاك. اعتقدت أنني سأجدك هنا». فيما تحرك

لسانها بين أسنانها الملونة.

أدارت رأسها مجدداً، فبدا له وكأن هيكلها العظمي قد تغير؛ إما بسبب الجوع الشديد أو بسبب التلف الذي أحدثته روح الرجل الدوام. وبدت ساقاها المثنيتان خلفها متصلبتين، فيما عظام مرفقيها غريبة الشكل. كان عمودها الفقري متقوساً بطريقة غير طبيعية، ورأسها منخفضاً بين كتفيها. بدت مثل كائن هجين من الإنسان والعنكبوت.

قالت ليديا: «سيلينا...»

فضحكت الأرملة البيضاء وقالت: «ليس بعد الآن. لقد ماتت صديقتك، لكن هذا الجسم بدا مفيداً جداً لي. أنا مستعد يا جاك للعيش مجدداً».

أحس كاو بألم في صدره. كان جوني فايفتايلز محقاً بشأن ذلك؛ فقد انتهى الأمر فعلاً، وماتت صديقته.

فجأة، أخذت ليديا منقار الغراب من يد كاو وتقدمت إلى الأمام. وبسرعة هائلة، تراجعت الأرملة البيضاء إلى الخلف وصعدت على جذع الشجرة، ثم ركلت بساقها، فأصابت ليديا في ذقنها. عندها، ارتجفت ركبتا صديقته وانهارت أرضاً.

صرخ كاو: «لا!». وركض نحو ليديا، لكن العناكب تدفقت متجهة إليه. وعندما وصل إليها، كانت العناكب قد غطت ساقيه وبدأت تزحف على صدره. حمل ليديا بين ذراعيه وتراجع إلى الخلف، لكن العناكب استمرت في التدفق نحوه. أحسّ بلدغاتها على سرواله وساقيه، ومن ثم على معدته وعنقه. أحسّ بأرجلها

أقرأناكموه

تتحرك تحت شعره وملابسه. وتمنى لو كان بوسعه فقط إعادة ليديا إلى أمها.

ومع كل خطوة، بدت ليديا أثقل وزناً، ولم تعد ساقا كاو تذعنان لما يأمرهما به. استمرت العناكب في لدغه، فأحس بشعور غريب، وبشيء يجري في دمه. وبدا له وكأن السم يجري أكثر في عروقه مع كل خفقان لقلبه، حيث فصله عن نفسه، وفصل عقله عن جسمه. تعثر ووقع، فسقطت ليديا على العشب. وعندما حاول التحرك، لم يستطع الوقوف.

تحركت العناكب بدقة تحته، وسرعان ما شعر بالأرض تتحرك، فأدرك أنها تنقله. ها هو الآن يتحرك فوق بحر من العناكب! استطاع سماع أصوات وصيحات، وزمجرات وبكاء غاضب، فيما تقاتل الخارقون مع بعضهم. لكن تلك الأصوات اختفت تدريجياً، وحلّ محلّها صوت دبيب أرجل العناكب.

وفجأة، اختفت الأصوات، وشعر كاو بظلمة حالكة تطوّقه.

كانت ليديا أول من خطر في باله.

أين هي؟

شعر كاو بأنه عالق في عالم أبيض. حاول التحرك، لكن أطرافه بدت ثقيلة جداً. لا، ليست ثقيلة، بل عالقة. إذ كان منتصباً فيما خيوط الحرير ملتفة حوله ومحيطة به من كل الجهات. رأى أشكالاً ضبابية حوله، ونجح في التعرف إلى المكان المحيط به عبر خيوط شباك العناكب. إنه في منزله القديم نوعاً ما، في غرفة نوم والديه.

أقرأناكموه

حرّر معصمه وهو يشعر بالغضب، ثم حرّك جسمه لتحريره من الشباك. عندها، استسلمت شباك العنكبوت أمام إصراره، ووقع على الأرض. غير أن طبقات من الخيوط بقيت ملتصقة به، وغطت وجهه، فما كان منه إلا أن مزقها ووقف على قدميه. أبعد عنه الخيوط الواحد تلو الآخر، إلى أن وقف وسط كومة من شباك العناكب لاهثاً بقوة.

كان الهواء دافئاً ورطباً، وفاحت منه رائحة النباتات المتعفنة. فيما كانت شباك العنكبوت ممتدة من الأرض إلى السقف، ومن جدار إلى آخر، لكنه لم يرَ أي عناكب. كم مضى من الوقت على فقدانه وعيه؟! وهل لا تزال المعركة مستمرة في الحديقة العامة؟ تذكر سيلينا- وما أصبحت عليه- فشعر بالكثير من الحزن.

فجأة، تحرك شيء ما خلف ستائر الحريرية، ثم تحرك بسرعة ماراً عبر الباب.

فسأل كاو: «من هنا؟».

أجاب صوت الأرملة البيضاء: «تعال وجدني».

ارتعد كاو، وحين نظر حوله ذُهل لدى رؤيته منقار الغراب على الأرض، فتساءل عن سبب سماحها له بالاحتفاظ به.

غير أنه حمل سيفه عالياً، وشق طريقه عبر شباك العناكب. عندها، التصقت الشباك بالنصل على شكل خيوط دبقة، فيما كان يشق طريقه نحو الباب. وفي الخارج، عند منبسط الدرج، كانت الشباك أقل كثافة، وقد تدلت بين قضبان الدرابزين وتجمعت في الزوايا.

همس صوت: «انزل إلى هنا، إنني أنتظرك».

أقرأناكموه

مزق كاو آخر شباك العناكب ونزل السلالم. وأحس كما لو أنه يدخل كهفاً؛ إذ تحركت العناكب قرب قدميه، وابتعدت جانباً كما لو أنها تفسح له الطريق.

كان الطابق الأرضي مزيناً بشباك العناكب التي أضفت وهجاً أبيض على كل شيء. فجأة، تحركت شباك العناكب، فلمح كاو الأرملة البيضاء تتحرك بسرعة على جدار في قاعة الطعام. تحركت بطريقة غريبة، كما لو أن شكل ذراعيها وساقيها مشوش وضبابي. ولهنيهة، توقفت وتدلت من السقف رأساً على عقب متحدية الجاذبية، ثم تحركت متجهة إلى الجدار البعيد، وتوقفت قرب الموقد وأدارت رأسها نحوه.

ثم قالت بصوت أجش: «منزلي يا منزلي. هل أعجبك ما فعلته بهذا المكان؟».

فقال كاو: «ماذا نفعل هنا؟».

فسألت الأرملة البيضاء بدورها: «ولمَ ليس هنا؟! إذ كان يفترض أن ينتهي كل شيء هنا، ليلة جئت من أجلك».

شعر كاو بالألم مجدداً عندما استرجع الذكرى القديمة. فقد قتل الرجل الدوام والديه في هذه الغرفة تحديداً، وأراد قتل كاو أيضاً، لكن إليزابيت كارميكايل رمت ابنها الوحيد من النافذة العلوية، وسلّمته للغربان.

رفعت الأرملة البيضاء قبضة يدها، فرأى كاو العنكبوت الأبيض يتحرك على براجمها.

قالت: «قال لي إنك عرفت الحقيقة. ما رأيك بها؟».

أقرأناكموه

فصرخ كاو: «ماذا تريدين؟».

أجابت الأرملة البيضاء: «أريدك أن تعرف كم أنت تافه. أريدك أن تدفع ثمن جرائم الغربان. أريد أخذ كل شيء منك». ثم استخدمت ظفرها الطويل وخدشت وجهها وهي تتابع: «حلفاؤك، منزلك، قواك... لقد خسرت كل شيء. إن أصدقاءك في الحديقة العامة يموتون الآن فيما نحن نتكلم».

فتوتر كاو وسألها: «ماذا عن ليديا؟».

عندها، ضحكت الأرملة البيضاء بصوت بارد وأجوف... لكن الصوت تحول فجأة إلى صراخ قوي، وانهارت خارقة العناكب على الأرض، وراحت تتلوى وتتمايل، ثم انتفخت عيناها، وخرج القليل من الدخان الأبيض من شفتيها.

تلوّت أمام كاو، ثم انتفضت ساقاها، وبعد ذلك بدأ الدخان يتخذ شكلاً قربها. استدارت نحوه، وفي ملامح وجهها المتألم، رأى كاو لمحة من صديقته القديمة، ثم انهارت مع تنهيدة أخيرة.

صرخ: «سيلينا!».

ولكن عندما تحدث الصوت مجدداً، لم يصدر من الفتاة، وإنما من الدخان.

وكان صوت رجل.

صوته.

ومع كل حرف تفوّه به الرجل الدوام، تأوهت سيلينا كما لو أن الكلمات نفسها زادت من ألمها.

ثم قال الرجل الدوام: «لقد أخذت حياتها وعدت إلى الحياة

أقرأناكموه

مجدداً».

تحـرك الدخـان الأبيـض بعيداً عن جسـم سـيلينا، وتحوّل إلى شـكل شـبيه بالشـبح، ثم أصبح الشـكل أكثر وضوحاً مع مرور كل ثانية، إلى أن خرجت آخر نفخات الدخان من بين شفتَي سيلينا.

عندها، احتشـدت العناكب في الغرفة قرب بعضها كما لو أنها تستمد القوة من عودة سيدها. فجأة، أحس كاو بتلاشي قوته، فوقع قرب سيلينا، فيما تدلى منقار الغراب من يده. حاول تحريك رأسها، ولكنهـا كانـت ميتـة. فقد كانت عيناها مفتوحتيـن بطريقة غريبة، غير أنها لم تكن تتنفس.

قال: «سيلينا». وحاول تحسّس نبضها.

لا شيء.

فيما قال الرجل الدوام: «انتهى الأمر».

عندها، اسـتدار كاو لرؤية عدوه الذي عاد حقيقياً مجدداً؛ لقد عاد إلى الحياة! إنها المرة الأولى التي يرى فيها كاو الشكل الأسود الطويل في العالم الحقيقي. وبدا له كما لو أن جسـم الرجل الدوام يمتـص الضـوء مـن الغرفـة. كان وجه الرجل الـدوام أبيض كالثلج، وعيناه باللون الأسود الحالك؛ مثل بئرين من النفط.

أحـس كاو بنوبـة غضـب مفاجئة، فهاجمه بمنقار الغراب، لكن الرجـل الـدوام أمسـك بمعصمـه. كانت أظفاره مثل مخالب سـوداء حادة. وفجأة، أحس كاو بالخدر في يده، ثم انتشر الألم في ذراعه، فابتسـم الرجل الدوام كاشـفاً عن أسـنان مسـتدقة. وقف فوق كاو، ودفع الصبي على ركبتيه قائلاً له: «انظر إليّ يا جاك، انظر إلى عينَيّ!».

أقرأناكموه

وتمدّد الرجل الدوام، ثم أخذ السيف من يد كاو برفق، فعرف كاو في تلك اللحظة ما سيحصل، وصرخ: «لا!».

غير أن نصل السيف تحرّك بلمح البصر، وأحس به كاو ينغرز في كتفه، ثم شعر بألم شديد لم يعهده من قبل في أحد جانبيه. حدق مذعوراً إلى النصل المعدني الأسود الذي اخترق ملابسه ولحمه، وأحسّ بألم شديد في عضلاته. حاول التنفس، ولكنه لم يتمكن من الحصول على الهواء، وبدأت البرودة تتدفق في جسمه شيئاً فشيئاً.

قال الرجل الدوام: «أنت تموت يا جاك؛ تماماً مثل أمك الحقيرة».

حاول كاو الوقوف، لكن الألم الذي يشعر به كان قوياً جداً.

اقترب منه وجه الرجل الدوام، ورأى كاو انعكاس صورته في عينَي عدوه السوداوين. وأخيراً، أخرج الرجل الدوام نصل منقار الغراب من جسد كاو، فتناثر الدم على السجادة، وانهار كاو على الأرض.

سيطرت العتمة على عينَي كاو فيما أوقع الرجل الدوام منقار الغراب على السجادة. عندها، تمدد كاو للإمساك بسيفه، وبحث عن مقبضه. لكن، على الرغم من إطباقه أصابعه حول مقبض السيف لم يستطع رفعه. إذ كانت قوته تختفي تدريجياً، وكذلك الألم الذي يشعر به، فما كان منه إلا أن أفلت قبضته على السيف، وشعر بأنه يفقد وعيه. حاول الكفاح للبقاء مستيقظاً، لكن كل الدفء الذي كان يشعر به تبخر من أطرافه، ورغبت عيناه في الإغماض والاستسلام للموت.

كافـح لإدخـال الهواء إلـى رئتيه، وفتح جفنيه قليلاً فرأى منقار الغـراب ملطخـاً بدمـه. تنفس. قدمـا الرجل الدوام. تنفـس. الموقد الفارغ. تنفس. وجه سيلينا الميتة. تنفس!

ليته يستطيع فقط التمدد، ليته يستطيع لمسها...

وبعد ذلك، عجز تماماً عن التنفس.

17

النور أبيض ساطع بشكل يفوق التصور؛ لدرجة العمى.

اخترق البرد الشديد جسده حتى أعماق عظامه.

طرف كاو عينيه مراراً وتكراراً محاولاً الرؤية.

لكنه بقي عاجزاً عن التنفس.

بقي عاجزاً عن الإحساس بأي شيء.

لكنه أحس بطعم ما، بطعم بلّورات ثلج على لسانه. وحين رفع رأسه، رأى سجادة بيضاء تمتد صوب الأفق.

ثلج!

طوى كاو أصابعه، ورفع نفسه إلى الأعلى. كان لا يزال ممسكاً بمنقـار الغـراب. ركـع على الثلج الذي أحاط به، فيما تحركت ندف الثلج حوله بفعل النسـيم العليل. نظر إلى الأسـفل، إلى جسـمه، فلم يرَ أي جروح؛ حتى إن ملابسه لم تكن ممزقة.

لجزء من الثانية، أحسّ كاو بالارتياح، غير أنه سـرعان ما شـعر بذعر شديد لأنه عرف هذا المكان وما يعنيه.

فهو الآن في أرض الموتى.

أقرأناكموه

فقد جاء إلى هنا مرة من قبل، ولكن ليس هكذا. ليس حين كان...

«كاو!». صرخ صوت بعيد.

استدار نحو مصدر الصوت بعد أن وضع السيف في غمده. وعلى مسافة خمسين ياردة تقريباً، كانت هناك غابة تدلت أغصان أشجارها نحو الأسفل بفعل ثقل الثلج فوقها. وكان هناك شخص يراقبه من بين الأشجار. حدّق كاو عبر ندف الثلج، فلاحظ فتاة سوداء الشعر وذات ملابس سوداء. مدّت الفتاة يديها نحوه، ووصل إليه صوتها عبر الهواء.

«كاو!».

أدرك كاو أنها سيلينا، فتقدم منها ببطء. ومع كل خطوة قام بها نحوها، شعر برجليه تغوصان في الثلج أعمق فأعمق؛ حتى وصل الثلج إلى ركبتيه، فيما احترقت أنفاسه في صدره. حاول تجاهل ما يعنيه وجودهما هنا، في هذه الأرض.

غير أنه عندما وصل إلى الأشجار حيث كانت سيلينا، أدرك أنها قد اختفت.

عندها، نظر إلى الغابة، فرأى حركة أخرى على مسافة ياردات عدة، فصرخ: «سيلينا، عودي!».

فردّت عليه بصوت يائس وخائف: «أنا أحاول يا كاو. ما هذا المكان؟!».

تقدّم كاو إلى الأمام بصعوبة، ولكنه كلما وصل إلى المكان الذي كانت تقف فيه، ابتعدت عنه أكثر فأكثر في أعماق الغابة.

أقرأناكموه

فصرخ: «سيلينا!». فيما اختفت تماماً عن ناظريه.

تقدّم كاو إلى الأمام، وطقطقت الأغصان فوقه، وتحوّلت أنفاسه إلى غيوم صغيرة في الهواء. بدا الثلج باللون الأزرق تقريباً بفعل نور الغسق. وأخيراً، رأى سيلينا مجدداً. كانت واقفة وسط أرض مكسوة بالثلج، وقد لفت ذراعيها حول جسدها وهي ترتجف. بدت حية جداً، مثل أية فتاة عادية.

سألته مجدداً: «كاو، أين نحن؟».

توقف كاو في مكانه، إذ خشي أن تختفي مجدداً إذا اقترب منها. وقال لها محاولاً أن يبدو واثقاً من نفسه: «لا بأس. أنا معك الآن».

فابتسمت ابتسامة صغيرة وقالت: «ولكنك لم تجب عن سؤالي. ما هذا المكان؟».

لم يكن بإمكانه إخفاء الحقيقة عنها، فقال: «إنها أرض الموتى».

عندها، اختفت ابتسامتها وهي تقول له: «أتقصد أننا... نحن الاثنان...»

فأومأ كاو برأسه مؤكداً ما تحاول قوله: «أنا آسف يا سيلينا. حاولت إنقاذك».

تقدم خطوة نحوها، ولكنها لم تتحرك هذه المرة. وقالت بصوت أشبه بالهمس: «رأيت كل شيء يا كاو. لقد أحسست بكل شيء، لكنني لم أستطع منعه. كنت أخسر نفسي شيئاً فشيئاً». وارتجفت شفتاها ونظرت إلى الأرض، ثم تابعت: «لم يكن بوسعي القيام بأي شيء».

وقال كاو: «ليست غلطتك».

أقرأناكموه

فنادى صوت: «لا... إنها غلطتك!».

عندها، شهقت سيلينا، فيما استدار كاو نحو مصدر الصوت. وفي الجهة الأخرى، وقف شخص يرتدي ملابس سوداء.

لهنيهة، ظن كاو أنه الرجل الدوام.

لكن لا. إنه بلاك كورفوس.

قال له كورفوس وعيناه تتلألآن ببرودة: «جاك».

فما كان من سيلينا إلا أن تراجعت إلى الخلف، واقتربت من كاو.

رأى كاو كتل الثلج تتساقط من الأشجار المقابلة، وظهرت غربان بيضاء من السماء الشاحبة واستقرت على الأغصان. كان هناك المئات منها.

لكن، لم يجثم أي غراب على الأغصان الموجودة فوق كاو. بدا لكاو وكأنها توقفت أمام حاجز غير منظور، موجود مباشرة فوق بلاك كورفوس.

أمرها كاو: ساعدينا.

فحدّقت إليه الغربان ببرودة وخبث، وتذكر كاو بألم أن هذه الغربان لم تعد له.

سألته سيلينا: «من هذا؟».

فقال بلاك كورفوس: «نعم، عرّفنا على بعضنا».

لم يتفاجأ كاو لدى رؤيته سلفه هنا. فقد أخبره كوايكر ذات مرة أن جميع الأرواح تبقى لفترة طويلة في أرض الموتى. ولكن معظمها يختفي في النهاية. غير أن تلك التي تملك رابطاً قوياً بالعالم الحي

أقرأناكموه

يمكنها أن تصمد إلى الأبد.

قال كاو: «إنه بلاك كورفوس. إنه مجرم وكاذب وجبان».

فتمتمت سيلينا: «أوه، رائع!».

فقال كورفوس: «وأقوى خارق عاش لغاية اليوم».

أجابت سيلينا: «هذا أروع!».

تابع كورفوس كلامه: «وبمساعدة منقار الغراب، سأعود إلى الحياة مجدداً. أعطِني إياه يا جاك».

عندها، وضع كاو يده على مقبض سيفه، وتذكر كيفية تمكنه من الهرب من هذا المكان سابقاً. فأخرج منقار الغراب من غمده، وهمس لسيلينا: «اقتربي مني أكثر».

نظرت سيلينا إلى السيف بتوتر وسألته: «ماذا ستفعل؟».

فما كان من كاو إلا أن رفع السيف إلى الأعلى وأخذ نفساً عميقاً. وبحركة متعمدة، شطر الهواء أمامهما.

غير أنه لم تحصل أية مقاومة، ولم يظهر أي وميض، ولا أي تمزق في الهواء المشبع بالثلج. حاول كاو مجدداً، ولكنه حصل على النتيجة نفسها.

عندها قال كورفوس: «وحده خارق الغربان يستطيع استعمال منقار الغراب. أعطني إياه أيها الصبي».

فأجاب كاو: «أبداً».

اكفهرّ وجه بلاك كورفوس بفعل الغضب، فيما نفضت الغربان البيضاء فوقه ريشها.

«أنا الوحيد الذي يستطيع مواجهة الرجل الدوام يا جاك، وأنت

أقرأناكموه

تعرف ذلك. أما أنت فقد فشلت أصلاً».

عندها قال كاو: «لقد تغلّبت عليه سابقاً».

فهزّ كورفوس رأسه قائلاً: «لا، بل سمحتَ له بالعودة. وانظر الآن إلى النتيجة».

فصرخت سيلينا: «لا تعطِه إياه».

زمّ كورفوس شفتيه، ورفع يديه قائلاً: «دع هذه الفتاة بعيداً عن الموضوع. هذه فرصتك الأخيرة يا كاو».

فلم يجب كاو.

عندها، قال كورفوس: «ممتاز».

وأنزل يديه، فطارت غربانه عن الأغصان واتجهت نحو كاو مثل سهام بيضاء. في تلك اللحظة، أبعد كاو سيلينا جانباً، فوقعت على الأرض.

ثمّ أصابته الغربان.

وقع كاو على الثلج، وأفلت منقار الغراب، وحاول تغطية وجهه فيما انقضت عليه مئات الغربان محاولة تمزيق بشرته بمناقيرها. حاول كاو التدحرج بعيداً عنها، لكن الغربان استمرت في الهبوط على جسمه، فصرخ قائلاً: «توقفي!». ولكنه لم يستطع سماع صوته بسبب نعيب الغربان الغاضبة.

وفجأة، اختفى وزنها فيما ارتفعت عنه دفعة واحدة.

عندها، تدحرج كاو ووضع يديه النازفتين في الثلج لتخفيف الألم، فيما ركعت سيلينا قربه.

سألته: «هل أنت بخير؟».

أقرأناكموه

هزّ كاو رأسه، ولاحظ أن بلاك كورفوس يمسك بمنقار الغراب.

استقرت الغربان على الأغصان مجدداً، فيما ابتسم كورفوس وهو يتأمل السيف وقال: «مضى وقت طويل جداً».

عندها، وقف كاو على قدميه، إذ لا يمكنه السماح بحصول ذلك. عليه أن يوقف بلاك كورفوس.

بطريقة ما.

وجد كاو القوة في يأسه، فركض متجهاً إلى بلاك كورفوس، وداس على الثلج بخطوات متعثرة. فما كان من هذا الأخير إلا أن ابتسم ابتسامة عريضة، وابتعد جانباً، وحرّك السيف. فجأة، وقع كاو على وجهه، فيما تناثر دمه على الثلج. بعد قليل، أحس بالألم يخترق ساقه، وظهر جرح عميق فوق ركبته.

صرخ كورفوس وهو يمرر السيف قرب كمه: «توقف عن تضييع وقتي! أنت مجرد صبي... جبان!».

حاول كاو الوقوف، لكن كورفوس وضع قدمه على صدره، ودفعه مجدداً نحو الثلج. وفيما استلقى كاو هناك، رأى مجموعة الغربان البيضاء تنظر إلى الأسفل من دون شفقة. لكن، لسبب ما، اتجهت عيناه إلى غراب محدد. إذ لفتته الطريقة التي يقف فيها، وزاوية رأسه.

همس: «سكريتش!».

فطرف الغراب عينيه.

غير أن كورفوس قال له: «إنها لا تسمعك. عليك إخضاعها لإرادتك، عليك أن تظهر لها قوتك. فإذا لم تخف منك، لن يخاف

منك أحد».

عندها، قال كاو وهو يحاول رفع نفسه إلى الأعلى: «لا أريدها أن تخاف مني. لا أريد أن أكون مجرماً مثلك!».

لاحظ كاو أن سيلينا قد اقتربت منه أكثر. عندها، أصدر أحد الغربان صوتاً، فاستدار كورفوس لمواجهة الفتاة قائلاً لها: «ابقي بعيدة». وحرّك السيف في الهواء مهدداً، فتراجعت سيلينا إلى الخلف.

بعدها، رفع كورفوس السيف بكلتا يديه، وأنزله على شكل قوس، فظهر وميض ضوء مفاجئ، وفُتح شق في منتصف الهواء كاشفاً عن فراغ أسود.

إنه ممر العودة إلى أرض الأحياء.

أحس كاو بالغربان تنظر إليه، المئات منها.

فتوسّل إليها: أرجوك، باسم كل الغربان، لا تدعي ذلك يحصل. ثم نظر مجدداً إلى حيث كان الغراب الذي اعتقد أنه سكريتش يقف، ولكنه لم يرَه. بدأ جسمه كله يتجمد، وحاول الوقوف، لكنه وقع إلى الأمام بعد أن خانته ساقاه، وتركت يداه آثار دماء على الثلج. وفيما بدأ كورفوس يمشي متجهاً نحو الفتحة، أمسك كاو بكاحله.

فقال كورفوس وهو ينظر إلى الأسفل: «أما زلت تقاتل أيها الصبي!؟ لماذا؟».

عندها، استفادت سيلينا من تلك الفرصة، وانقضت على بلاك كورفوس، فتراجع عن البوابة السوداء ووقع أرضاً وهو يصيح بغضب. غير أنه نهض بلمح البصر، ونفض الثلج عن ملابسه، فيما اتقدت عيناه غضباً.

أقرأناكموه

وأومأ برأسه إلى الأعلى مخاطباً الغربان: «اقتليه».

بدأت الطيور تفرد أجنحتها، لكنّ صيحة غراب مفاجئة وغريبة جمّدت كل الغربان في أماكنها. وحين أدارت الطيور رؤوسها باتجاه مصدر الصوت، رأت غراباً واحداً جاثماً على الأرض قرب سيلينا.

وبالرغم من ريشه الأبيض الشاحب، عرف كاو أنه سكريتش.

قال بلاك كورفوس لغربانه: «أمرتك بقتله».

ومجدداً، تحركت الغربان كما لو أن الهواء حركها. لكنّ غراباً واحداً فقط طار متوجهاً صوب رأس كاو. وبدلاً من مهاجمته الصبي، جثم قرب سكريتش، فتشنج كاو.

إنه ميلكي، الغراب الأعمى، صاحب الريش الأبيض الذي ترعرع معه. لا يمكنه أبداً أن ينسى الحكمة في نظرته الجامدة.

أحس كاو بالدفء يسري في جسده، فنظر إلى الغربان، ومن ثم إلى بلاك كورفوس الذي عبس، ثم قال له: «لن تصغي إليك يا كورفوس».

فجأة، شعر كاو بقوة غريبة تتدفق في أعماقه؛ مثل النار التي بدأت تتقد. وفيما نظر إلى الغربان البيضاء، ازدادت تلك القوة؛ كما لو أن كل طائر أضاف خشباً إلى اللهب.

وفي تلك اللحظة، تنفّس كورفوس من أنفه بقوة، وأشار بمنقار الغراب إلى الأشجار قائلاً بقسوة: «اقتلي الصبي! اقتليهما الآن!».

فانخفضت سيلينا نحوه، وأمسك كاو بيدها. لفت أصابعها حول أصابعه، فانتقلت قوتها إليه أيضاً. أما الغربان فبقيت حيث هي.

وحين أدرك بلاك كورفوس أنها لن تستجيب لأمره قال: «حسناً،

أقرأناكموه

سأقتله بنفسي».

ثم رأى كاو سلفه المتوحش يقترب منه حاملاً منقار الغراب، فوقف في وجهه مستخدماً جسمه لحماية سيلينا.

تقدّم بلاك كورفوس شاهراً السيف في وجهه. ومن دون تفكير، أمسك كاو السيف بكفّيه. وفيما انحنى كورفوس بكل وزنه ضاغطاً، قاومه كاو، فجرح السيف راحتَي يديه.

قال كورفوس مطبقاً أسنانه: «إنها الروح. من المؤسف أنها وصلت متأخرة جداً».

في تلك اللحظة، شقّ السيف يدَي كاو فيما كان يقترب من صدره أكثر فأكثر، فشعر بالألم ينتشر في جسمه كله. وبكل ما لديه من قوة، توسّل إلى الغربان كي تأتي لمساعدته.

عندها، نزلت الغربان البيضاء عن الأغصان بصمت. وبدا لكاو أن ضغط الهواء قد تغير قليلاً، فتشنج فجأة وتراجع إلى الخلف متمتماً: «ماذا...!؟».

ارتطم أول غراب أبيض بكتفه، فيما حلّق غرابان آخران على علو منخفض وقد أخرجا مخالبهما استعداداً لغرزها في فخذه. فجأة، صرخ بلاك كورفوس متفاجئاً حين مرّ غراب آخر أمامه، ورفع يديه إلى الأعلى لحماية وجهه فأفلت منقار الغراب من يده. رأى كاو الدم يسيل من أصابع سلفه، فيما توجّه هذا الأخير إلى الأمام نحو الأشجار، وانقضّ عليه عدد غير متناهٍ من الغربان.

عندها، وقع كورفوس على الأرض، وبدأ يزحف محاولاً الهرب، لكن الغربان أبقته طريح الأرض. ثم جثم العديد منها فوقه،

أقرأناكموه

وراحت تنقره وتخدشه ممزقة ملابسه، فتقوقع على شكل كرة. رأى كاو المزيد من الدم يسيل من القفازين الجلديين اللذين يغطيان يدَي كورفوس فيما كان يحاول إبعاد الغربان عنه.

صرخ كاو: «توقفي!».

لكن الغربان لم تكن قادرة على سماعه. وإذا كانت تسمعه، فيبدو أنها لا تريد الإصغاء إلى ما يقوله.

بعد قليل، تحوّل صراخ بلاك كورفوس إلى تأوهات، وضعفت محاولاته لحماية نفسه، ثم توقف أخيراً عن الدفاع عن نفسه.

عندها، ارتفعت الغربان واستقرت على الأغصان مجدداً، وأصبح الثلج المحيط بجسم كورفوس ملطخاً بالدم، واختفت البوابة السوداء التي كانت متلألئة في الهواء.

لاحظ كاو أن غرابين فقط بقيا خارج المعركة، وهما سكريتش وميلكي. راح الغرابان يحدقان إلى كاو، فقال لهما: «لقد أنقذتماني».

فقفز سكريتش إلى الأمام وفتح منقاره قائلاً:

لقد أنقذتَ نفسك.

عندها، أحس كاو بضعف في ركبتيه، ولكن قلبه رقص فرحاً، وصرخ مبتهجاً: «أستطيع فهمك!».

فتابع سكريتش كلامه: اختارت الغربان من هو جدير بها؛ من يحارب لخير المجموعة وليس لخيره وحده.

فجأةً، لم يعد كاو يشعر بالألم في يديه وساقه، فيما ارتسمت ابتسامة على وجهه وقال: «اعتقدتُ أنني لن أتمكن أبداً من التحدث إليكِ مجدداً. اعتقدت أنني خسرتكِ جميعاً».

فقال سكريتش: لن تخسرنا أبداً. نحن معك.

وبدا أكبر وأكثر حكمة.

قال كاو: «اللون الأبيض يناسبك».

غير أن سكريتش قال له: هيّا يا كاو. إنهم بحاجة إليك.

فأومأ كاو برأسه وسأله: «وهل ستأتي معي أيضاً؟».

عندها، نظر سكريتش إلى ميلكي، وكانت نظرة الغراب العجوز صارمة، ثم أجاب: لا أستطيع. ولاحظ كاو شيئاً من الحزن في صوت صديقه الذي تابع قائلاً: مكاني هنا.

لم يكن كاو قادراً على ترك سكريتش هنا، ليس هكذا، وليس بعد كل ما فعله غرابه الشجاع. فتلألأت الدموع في عينيه، وقال له: «أرجوك تعال معي. فأنا أحتاج إليك يا سكريتش. أحتاج إليك الآن أكثر من أي وقت مضى».

غير أن ميلكي قال له: اذهب يا خارق الغربان. هذا المكان ليس لك. ليس بعد.

وقال سكريتش: إلى اللقاء يا كاو. فعرف كاو أن الغراب لن يعود أبداً إلى أرض الأحياء.

عندها، أدار كاو ظهره لسكريتش وميلكي، ورفع منقار الغراب عن الثلج، فتدفقت القوة في أصابعه. وبحركة واحدة، أحدث السيف فتحة سوداء في الهواء، فقال كاو لسيلينا التي كانت تقف إلى جانبه بصمت: «تعالي، حان الوقت لنعود إلى أرضنا». فما كان منها إلا أن اتجهت إلى طرف البوابة، ثم ترددت ونظرت إلى الخلف وسألته: «ستأتي أنت أيضاً، أليس كذلك؟».

أقرأناكموه

عندها، أخفض كاو رأسه مؤكداً ذلك، ثم نظر إلى العديد من الغربان التي قفزت على ظهر بلاك كورفوس، وغرزت مخالبها في ملابسه. وسرعان ما ارتفع جسم كورفوس عن الأرض، وأصبح فوقهما، فراقبه كاو فيما حملته الغربان فوق الأشجار.

حلقت الغربان على شكل موكب، كسحابة بيضاء اندمجت تدريجياً مع السحابة البيضاء في الأعلى. وشيئاً فشيئاً، لم يعد كورفوس أو أي من الغربان التي تحمله ظاهراً للعيان. وكان سكريتش وميلكي من بين تلك الغربان.

بدت الفتحة السوداء وكأنها تبثّ الحرارة، فشعر كاو وسيلينا كما لو أنهما يقفان قرب النار.

عندها، نادته سيلينا: «كاو».

غير أن كاو نظر إلى الأشجار، ولبضع لحظات، تساءل إن كان بوسعه البقاء في هذا المكان من دون هموم أو قلق أو خوف... إن كان بإمكانه الهرب من بلاكستون والحروب المشتعلة بين الخارقين... إن كان بإمكانه التمتع بالسلام. فهو يحتاج إلى ذلك. فقد خسر ما يكفي، أليس كذلك؟

ثم شعر بيد سيلينا تمسك بيده.

ميلكي محق.

ليس الآن.

عندها، استدار كاو نحو البوابة السوداء، واجتازاها معاً.

فجأة، وجد كاو نفسه مستلقياً على الأرض قرب الموقد،

أقرأناكموه

وسيلينا قربه. عاد اللون إلى وجنتيها، وصار لون شعرها أسود مجدداً فيما غطى وجهها. وكانت تتنفس!

تدلت شباك العناكب فوقهما. ومن خلال خيوط الشّباك العنكبوتية، رأى كاو حركة في الجهة الأخرى من الغرفة، فتجمد قلبه خوفاً، وعلق الصراخ في حنجرته.

فحيث كان الرجل الدوام يقف سابقاً، رأى كاو كتلة بيضاء منتفخة مغطاة بملابس سوداء ممزقة. وظهرت أرجل عنكبوت تحتها بلون أبيض شبه شفاف، وكانت مغطاة بالشعيرات الناعمة فبدت مثل الجليد الذي يغطي الأغصان شتاء.

أحس كاو بالغصة في حنجرته؛ إذ كان رأس الرجل الدوام مشوهاً جداً لدرجة أنه يتعذر التعرف إليه. لم يستطع كاو رؤية وجهه، ولكنّ شعره كان أبيض اللون ومنسدلاً على شكل كتل مبعثرة. وتحت الشعر، بدت فروة الرأس زلقة بسبب المادة اللزجة الشاحبة. كما تشوّه صدره، فبدت بشرته متجعدة ومليئة بالبقع، فيما انكمشت ذراعاه وأصبحتا طرفين صغيرين ينتهيان بمخالب شاحبة. أما أرجله الست الأخرى فكانت مثل شظايا من الجليد.

وقف كاو بهدوء، وأمسك بمنقار الغراب. وبالرغم من الذعر الذي كاد يشلّه، شعر أن جسمه صار أقوى مما كان عليه من قبل. إذ إن الجرح القاتل في كتفه قد شفي نوعاً ما، وترك خلفه ألماً كليلاً. ولا أثر أبداً للجروح التي تعرض لها في أرض الموتى. لكن، إذا أدرك الرجل الدوام أنهما لا يزالان على قيد الحياة، فسيقتلهما خلال ثانية. عليه إبعاد هذا الكائن العنكبوتي عن سيلينا فوراً.

أقرأناكموه

إنه بحاجة إلى غربانه.

استدار كاو حول الطاولة، ومشى بهدوء تحت الخيوط التي ملأت الغرفة. لو كان بوسعه الاقتراب أكثر...

فجأة، تحرّك رأس الرجل الدوام المقرف ونظر إلى كاو. وكان الشيء الوحيد الذي بقي من الوجه البشري السابق هو البشرة الشاحبة. إذ كانت جمجمته محطمة، وقسمات وجهه مسطحة، حيث لم يبقَ منها سوى منخرين، ومقلتَي عينين سوداوين، وفم خالٍ من الأسنان.

قال صوت الوحش: «هذا غير ممكن! أنت ميت!».

فوقف كاو منتصباً ثم أجاب: «وأنت أيضاً».

عندئذ، في مكان ما في الهواء، أحسّ بوجود الغربان فناداها في سرّه: تعالي إليّ...

استدار الرجل الدوام، فارتطمت أطراف أرجله بالأرضية.

قال له كاو: «لا أعرف ما الذي حصل لك، لكنني لست خائفاً منك».

عندها، ارتسمت ابتسامة على فم الرجل الدوام، وبرز منه لسان أسود كثيف وهو يقول: «يجدر بك أن تخاف. إذ لطالما كان جسمي البشري ضعيفاً جداً، لذلك اخترت شكلاً جديداً، شكلاً أعظم». وأشار إلى نفسه بأحد مخالبه قائلاً: «لم أعد خارق العناكب يا جاك كارميكايل، بل أصبحت سيد العناكب».

ثم توجّه بسرعة نحو كاو ممزقاً شباك العناكب.

فما كان من كاو إلا أن رفع كرسياً ورماه على الوحش عبر

الغرفة. غير أن الرجل الدوام تفاداه بسهولة، ومشى على الجدار إلى أن أصبح فوق كاو مباشرة. وعندما انخفض الكائن المخيف نحوه، انبطح كاو أرضاً. فجأة، هبط الرجل الدوام على الأرض محدثاً صوتاً قوياً، وجلس القرفصاء على ركبه العنكبوتية قائلاً: «لا جدوى من الهرب».

رأى كاو شيئاً يمرّ خارج النافذة، إنه شكل داكن ذو جناحين.

تقدّم الرجل الدوام إلى الأمام مندفعاً نحوه مباشرة، فتراجع كاو إلى الخلف ووقع على الأريكة، ثم على الأرض. عندها، انقض الرجل الدوام على أعلى الأريكة، وجعل أرجله جاهزة للهجوم. غير أن كاو تدحرج جانبياً ما إن حاول الرجل الدوام إصابته بمخلبه، ثم ركل الرّجل بعيداً، فآلمته قدمه كما لو أنه ارتطم بجذع شجرة.

عندها، تراجع كاو إلى الخلف، لكنّ الرجل الدوام لحق به على أرجله الست وقال له: «بعد أن تموت، سوف تنتهي سلالة الغربان. وسوف تطارد عناكبي غربانك وتقتل كل واحد منها».

وكان كاو قد وصل إلى أسفل السلالم فصرخ مخاطباً إياه: «عليك أولاً أن تمسك بي».

ثم استدار وصعد السلالم بسرعة، محركاً ساقيه بكل القوة التي امتلكها، فوصل إلى منتصف الطريق قبل أن يصل إليه الرجل الدوام. عندها، استدار كاو ولوّح بمنقار الغراب، وغرز النصل عميقاً في إحدى أرجل العنكبوت. غير أن الرجل الدوام قفز بسرعة نحو السقف، فانفصل السيف عن يد كاو. ثم أدار الرجل الدوام رأسه، وأخرج لسانه من فمه مثل الأفعى المتضورة جوعاً، ومدّ أحد مخالبه

أقرأناكموه

إلى الأسفل، وحرّر منقار الغراب ورماه بعيداً، فتناثرت بقع الدم الأسود على السلالم مثل القطران.

استغل كاو الفرصة واندفع بسرعة إلى غرفة نومه. وما إن وصل إلى الباب وحاول إغلاقه حتى ارتطم الباب بشيء جامد؛ إذ علقت رجل عنكبوت عملاقة في فتحة الباب. دفع كاو الباب بكتفه بقوة محاولاً إغلاقه، فتراجعت الرجل إلى الخلف، ثم أقفل الباب بالعارضة الحديدية وراح يتنفس بسرعة.

فجأة، طقطق خشب الباب بفعل الوزن الثقيل.

وقال الرجل الدوام بلحن غنائي: «دعني أدخل، دعني أدخل».

ركض كاو إلى النافذة وفتحها، فلفحه هواء الليل البارد، وأحسّ بنوبة دوار غير متوقعة عندما نظر إلى الأسفل.

في تلك اللحظة، تمايل الباب عند مفصلاته حين فرض الرجل الدوام كل وزنه عليه. غير أن كاو شعر بالخوف عندما نظر إلى الخارج؛ إذ تذكر ماضيه بسرعة. فقد كان هنا من قبل، محمولاً فوق الهاوية. حصل ذلك حين كان طفلاً... وقد رآه في أحلامه... رأى تلك الليلة التي رمته فيها أمه إلى الخارج.

وها هو الأمر يحصل مجدداً.

تشقّق خشب الباب، لكن القفل بقي صامداً، وظهر طرف رجل العنكبوت عبر أحد الشقوق.

عندها، نظر كاو إلى الأعلى؛ نحو السماء الممتلئة بالنجوم. لا بد أن غربانه هناك في مكان ما. ثم ركّز نظراته على السماء وتفكيره على غربانه، وتوسّل إليها بصمت لتأتي إليه.

أقرأناكموه

في تلك الأثناء، سمع صوت تحطم المزيد من ألواح الباب الخشبية، ورأى وجه الرجل الدوام الشرير وقد تصبب العرق منه فبات يلمع، فيما امتلأت عيناه بالغضب وهو يقول: «افتح يا جاك، لا تهرب مني!».

وكانت السماء لا تزال خالية.

مرّر الرجل الدوام مخلباً آخر عبر الباب باحثاً عن القفل، ثم سحب العارضة الحديدية وفتح ما تبقى من هيكل الباب، وسرعان ما دخل العنكبوت العملاق الغرفة. واجه كاو عدوه فيما أدار ظهره نحو النافذة المفتوحة. شعر بوجود شيء ما خلفه؛ شيء يتراكم، وأحسّ بأجنحة خافقة ومناقير مفتوحة تلتهم الليل.

قال الرجل الدوام وهو يقترب منه أكثر: «ها نحن مجدداً». ونظر حوله بفضول، ثم تابع: «هل تعرف أنني جئت لقتلك تلك الليلة أيضاً؛ أعني بعد أن مات والداك في الأسفل. لكنهما كانا قد خبآك مسبقاً».

امتلأ قلب كاو فرحاً حين شعر باقتراب غربانه المفاجئ.

إنها هنا، لقد جاءت إليه.

فقال للعنكبوت العملاق: «افعل ما تستطيعه».

وأجابه عدوه: «لا يمكنك أن تتخيل ما سأفعله».

وركض الرجل الدوام على السجادة، فانبطح كاو إلى الأسفل، فيما دخل سرب أسود عبر النافذة المفتوحة. وفي أقل من ثانية، امتلأت الغرفة بالغربان، وبات الهواء مليئاً بالريش والصراخ العالي. حينها، لم يعد بوسع كاو رؤية الرجل الدوام، ثم رآه يتحرك ذهاباً

أقرأناكموه

وإياباً، ويرتطم بالجدران فيما هو يحاول الهرب من الغربان. تحركت الغربان حوله، وتناوبت على الانقضاض والهجوم عليه. كان هجومها عديم الشفقة، فصرخ الرجل الدوام عالياً فيما علقت أرجله خلفه؛ تماماً مثل العنكبوت العالق في دوامة مياه.

رأى كاو عيون مئة غراب، وأحس بقوة أجسامها. عندها، ركز تفكيره جيداً، فابتعدت الغربان عن العنكبوت العملاق قبل أن تهاجمه مجدداً من الجانب وترميه على ظهره. ثم أمر كاو غربانه بغرز مناقيرها ومخالبها في بطن عدوه، فتلوّت أرجل العنكبوت، ولكنها لم تستطع إبعاد الغربان أو إيقافها. استطاع كاو رؤية ومضات من الرجل الدوام، كما لاحظ الخبث المليء بالكراهية.

بقي هناك شيء واحد لفعله.

لذا، أمر كاو الغربان بالهجوم بقوة أكبر، فانقضت على كل إنش من جسم الرجل الدوام، ثم أمسكت به بمخالبها ورفعته في الهواء. أحس كاو بوزن العنكبوت العملاق؛ غير أنه رغم كونه ثقيلاً بدا خفيفاً في قبضة الكثير من الغربان التي حملته إلى خارج النافذة المفتوحة.

حصل التبدل من دون أن يلاحظ كاو ذلك، إذ رأى نفسه فجأة وقد تحوّل إلى غراب.

فرمى نفسه من النافذة، وانضم إلى مجموعة الغربان. ووسط صيحات الانتصار، نقلت الغربان العنكبوت العملاق في الليل، وارتفعت به أكثر فأكثر.

لم يشعر كاو بأية شفقة؛ إذ إن الآلام التي شعر بها والداه،

أقرأناكموه

وسكريتش، وكذلك كل ضحايا الرجل الدوام قد عادت إليه معاً، وجعلت قلبه أسود مثل الريش الحالك لغربانه.

ارتفعت الغربان في السماء أكثر فأكثر إلى أن أصبح كاو في مستوى لم يصل إليه من قبل، وبدت بلاكستون مثل مساحة مضيئة في أرض شاسعة.

صرخ الرجل الدوام: «سأقتلك يا خارق الغربان!!».

فأمر كاو غربانه: حان الوقت، ارميه.

ثم فتح مخالبه، بالتزامن مع فتح مئة غراب آخر مخالبها.

لهنيهة، بدا وكأن الوقت قد تجمد، وتعلقت الأطراف الثمانية للرجل الدوام في الهواء.

ثم وقع إلى الأسفل.

وفيما سقط العنكبوت العملاق، ظهرت ومضات من الضوء الأبيض في جسمه. راقب كاو جسم العنكبوت العملاق وهو يتمزق، وسمع صراخه العالي وهو يشق سكون الليل.

وقبل أن يصل الرجل الدوام إلى الأرض، لم يبقَ شيء من جسمه.

18

فجأة، شعر كاو بالضعف، واختفت القوة من جناحيه، فثبّتهما إلى جانبيه، وبدأ يهبط عبر تيارات الهواء ووجهه إلى الأعلى، فيما تدفق الهواء عبر ريشه. ثم اختفى الريش، وأحس بملابسه ترتطم ببشرته. ها قد عاد صبياً مجدداً، وجذبته الأرض نحوها.

أقرأناكموه

لكنه لم يكن خائفاً. وفيما كان يسقط إلى الأسفل، أحس بالكثير من الطمأنينة. ثم رأى الغربان تحلق فوقه، وتهبط برفق على جسمه، وسرعان تباطأ سقوطه وشعر أنه بلا وزن. حدّق إلى النجوم متأملاً فيما أنزلته غربانه رويداً رويداً، وشعر بحبها له من خلال خفقان أجنحتها.

أخيراً، حملته الغربان عبر نافذة غرفة نومه، ووضعته برفق على السجادة، ثم خرجت مجدداً عبر النافذة المفتوحة. فقط غلام وشيمر ظلّا جاثمين قرب كاو.

قال غلام: لقد مات. انتهى الأمر.

وقالت شيمر: لقد فعلناها... لأجل سكريتش.

فأومأ كاو برأسه فيما كان لا يزال مستلقياً على ظهره، وحاول حبس دموعه. سيخبر غرابيه لاحقاً بما رآه في أرض الموتى، وهو لن ينسى ذلك أبداً أبداً. غير أنه قال: «لأجل سكريتش».

وبعد لحظات، وقف على قدميه وتوجه نحو النافذة. كانت الغربان جاثمة على الأشجار، فاستدارت للنظر إليه، فيما تلألأت عيونها في العتمة.

فقال: «شكراً لك».

قرقرت الغربان بصوت ناعم في البداية، ثم تحولت أصواتها إلى نعيب فرح عالٍ، وضجّ الهواء باسمه.

كاو! كاو! كاو!

وحين صمتت، سمع صوتاً بشرياً خلفه: «كاو».

كانت سيلينا واقفة عند الباب، وقد بدا شعرها أسود ولامعاً،

أقرأناكموه

وبشرتها نضرة. وبدت قوية أكثر من أي وقت مضى.

قال لها: «أنت... أنت بخير!».

فابتسمت ابتسامة عريضة، وركضت إلى ذراعيه المفتوحتين.

قال كاو: «لقد رحل». فيما أمسكت به بشدة لدرجة أنه شعر بضلوعه توشك على التحطم، وتابع: «إلى الأبد».

عندها، ابتعدت عنه سيلينا، ونظرت إلى الأعلى وهي لا تزال تبتسم ثم قالت: «شكراً».

فقال غلام: حسناً... يكفي هذا.

فما كان من كاو إلا أن أفلتها قائلاً: «يجدر بنا العودة إلى الحديقة العامة. فهم ربما يحتاجون إلى مساعدتنا. هل لديك مشكلة في الطيران؟».

فقالت سيلينا: «لا، شرط ألا تفلتني. فقد متُّ اليوم مرة».

فابتسم كاو ابتسامة شعر أنها الأولى منذ أعوام طويلة.

نقلتهما الغربان فوق المنطقة الشمالية من المدينة. كان كاو مليئاً بالخدوش والرضوض، ولكنه شعر بأنه متّحد مع غربانه أكثر من أي وقت مضى. فقد وثقت فيه ووثق فيها؛ بشكل تام ومن دون أي شك. وما حصل في أرض الموتى- والرابط الذي أُعيد تكوينه هناك- ينطبق أيضاً في أرض الأحياء.

وفي طريقهما إلى حديقة بلاكستون العامة، أخبرته سيلينا بكل شيء. أخبرته عن جوني فايفتايلز والأرملة البيضاء، وكيف أن السيد سيلك كان الوسيط بينهما، حيث عرض على خارق القيوط المال

أقرأناكموه

وسلطة القوة في المدينة بعد الفوز في الحرب، وكيف أن الرجل الدوام خطّط لتغلغل جوني بين حلفاء كاو لجعلهم ضده.

شعر كاو بالغباء لأنه وقع في الفخ بسهولة. لكن الجميع وقعوا في الفخ أيضاً.

وفي المقابل، فيما حلّقا معاً في الهواء، أخبر كاو سيلينا عن بحثه عنها في المستشفى، وعن شعوره الشديد بالذنب منذ تلك الليلة على سطح شقة أمها، ثم قال لها: «لم تتح لي قطّ الفرصة لأشكرك. فقد وقفتِ أمامي، وتلقّيت الرصاصة عوضاً عني».

فقالت سيلينا: «أستطيع القول إننا تعادلنا الآن». ثم اكفهر وجهها وهي تتابع قائلة: «أعرف أنها حاولت قتلك، ولكنها تبقى أمي رغم كل شيء... ومهما فعلت».

لم يعرف كاو ما يجدر به قوله، وفكّر في سينتيا دافنبورت المحبوسة في غرفة في المصح العقلي، وقد فقدت صوابها بالكامل.

فقال لسيلينا: «سنزورها معاً عندما ينتهي كل هذا».

عندها، ابتسمت سيلينا بامتنان، ونظرت أمامها قائلة: «نعم، أودّ ذلك. شكراً... أوه! أوه!».

وكانا قد أصبحا فوق الحديقة العامة، فلاحظا أن المكان مطوّق بسيارات الشرطة، فيما توقف المزيد من تلك السيارات أمام البوابة، وكان رجال الشرطة الذين يحملون المصابيح الضوئية والمسدسات يتحركون بين الأشجار. أمر كاو غربانه بالنزول في الطرف البعيد، حيث الظلمة حالكة. وحين هبطا على الأرض، عادت الغربان إلى الأشجار.

سمع كاو من بعيد صوتاً يصرخ قائلاً: «تجمدوا! وارفعوا أيديكم!». وفيما توجّه كوجر نحوهما متسللاً من بين الأجمات، سحب كاو سيلينا جانباً. وكان على وشك استدعاء غربانه عندما تعثر الكوجر الضخم ووقع على العشب، وظهرت إبرة مخدرة في فروه الداكن. وسرعان ما أغمض الكوجر عينيه فيما ارتفع بطنه وانخفض بحركة بطيئة ومطردة.

فجأة، أعمى الضوء بصر كاو، وظهر شرطيان أمامهما. قال أحدهما: «لا تتحركا. ضعا أيديكما خلف رأسيكما».

أخفى كاو منقار الغراب، وعندما اقترب منهما الشرطيان ببطء رفع يديه عالياً، وكذلك فعلت سيلينا. لكن، ما إن أمسك الشرطي الأول بمعصم كاو حتى خاطبه أحدهم قائلاً له: «اتركهما». ثم خرج رجل آخر من بين الأشجار، وأسرع نحوهما.

كان السيد ستريكهام، وكان يرتدي سترة واقية من الرصاص ومعطفاً طويلاً.

سأله الشرطي: «هل أنت واثق يا سيدي؟». فيما ظل ممسكاً بذراع كاو.

فردّ عليه والد ليديا بغضب: «ليسا مجرمين».

عندها، تراجع الشرطيان، فأشار السيد ستريكهام إلى كاو وسيلينا للحاق به. وفيما رافقهما متجهاً إلى النافورة في وسط حديقة بلاكستون العامة، بدا متعباً ومصمماً في الوقت نفسه. كان رجال الشرطة يملأون المكان. ولاحظ كاو أن معظم الخارقين الأشرار كانوا مكبلي الأيدي أو تتم معالجة إصاباتهم على الأرض. وانفطر

أقرأناكموه

قلبه لدى رؤيته الحيوانات الميتة في كل مكان؛ من ثعالب، وجرذان، وطيور وغيرها... فيما تمدد الثور الأميركي على مقعد خشبي والدم يقطر من خطمه، وقد وقف قربه شرطيان. كان المشهد مروعاً.

قال السيد ستريكهام بصرامة: «يحتاج هذا الأمر إلى بعض التفسير. ولن تسكت الصحافة عنه. غير أنني أفترض أنك لا تريد إخباري بما حصل؟».

نظر كاو حوله متأملاً، ولكنه لم يستطع رؤية أي من أصدقائه بين الخارقين الموقوفين، فتساءل عما إذا كانوا قد نجحوا في الهرب.

فجأة، صاح غلام من غصنٍ عالٍ: كاو، وجدنا الآخرين. إنهم عند الجدار الشرقي للحديقة العامة.

نظر السيد ستريكهام إلى الأعلى وقال له: «إنه أحد غربانك مثلما أفترض، أليس كذلك؟».

فأومأ كاو برأسه.

قال السيد ستريكهام: «يفترض بي أن أكون سعيداً؛ إذ يبدو أنه تم إلقاء القبض على كل المجرمين الفارين». وصمت قليلاً بعد أن سيطرت عليه عواطفه، ثم تابع: «إذا رأيت زوجتي وليديا قبلي، فقل لهما... قل لهما إنني سأراهما في المنزل».

في تلك اللحظة، اقترب منهم أحد رجال الشرطة وقال للسيد ستريكهام: «سيدي، ثمة طائر عملاق هناك. نعتقد أنه نسر!».

فتنهد السيد ستريكهام وأجاب: «لن يفاجئني أي شيء الليلة». ثم استدار نحو كاو، وتحدث إليه بنبرة مهنية قائلاً له: «والآن، غادرا أنتما الاثنان. ولا تتسكعا في الحديقة مجدداً. هل فهمتما؟».

فأجاب كاو وسيلينا معاً: «فهمنا».

وفيما توجّها نحو الجدار الشرقي، لمح كاو لوغمان يحدق إليه من المقعد الخلفي لسيارة الشرطة. وحين تلاقت نظراتهما، رمى المجرم نفسه على القضبان، وجعلها تهتز وهو يصرخ: «أنت! تعال إلى هنا! سأمزقك إرباً! سـ....»

لكن صراخه اختفى حين أغلق الشرطي باب السيارة، فاستدار كاو مبتعداً.

مشيا على العشب المظلل، تاركين أضواء سيارات الشرطة خلفهما. فجأة، رأى كاو حشرة عث تتحرك على الأرض محاولة الطيران. وكان أحد جناحيها مكسوراً، فحملها ونظر إلى الأشجار.

قالت سيلينا: «السيد سيلك!».

فأدرك كاو أنه لم يرَ عدوه القديم موقوفاً مع المجرمين الآخرين، وتساءل إن كان يراقبهما الآن.

غير أنه قال: «ربما، لكنه وحده الآن. من دون قوة». ثم فتح كاو راحة يده، فطارت حشرة العث بعيداً في الهواء. «دعينا نعثر على الآخرين».

أخيراً، صادفا مجموعة من الخارقين المحتشدين تحت الجدار الشرقي. جلست ليديا هناك وظهرها مسنود إلى الجدار، وبدا وجهها شاحباً جداً. فيما كانت السيدة ستريكهام راكعة قربها وتحاول الاعتناء بجرح في ذراع ابنتها. أخذ كاو يركض نحوهما، فنظر بعض الخارقين إلى الأعلى وصرخ بيب: «إنه كاو!».

أمسك راكلن بذراع كاو حين مرّ أمامه وقال له: «إنها بخير.

أقرأناكموه

هاجمها كوجر لوغمان وانقض على ذراعها، ولكنها ستكون بخير».

اتسعت عينا السيدة ستريكهام عندما اقترب كاو منها، ولكنه أدرك أنها تنظر وراءه؛ إلى سيلينا التي وقفت بعيداً كما لو أنها خائفة.

فقال كاو: «لقد مات الرجل الدوام».

فسألته مادلين: «هل هذا صحيح؟!». وعلى الغصن فوقها، بدأت السناجب تصيح فرحاً.

ابتسمت ليديا بصعوبة وهي تنظر إلى كاو، ثم قالت له: «لقد قتلته، أليس كذلك؟».

فأومأ كاو برأسه وقال: «هذه المرة إلى الأبد». ثم استدار وأشار إلى سيلينا لتقترب أكثر، فحاولت تمالك أعصابها، وتقدمت من الخارقين وهي تقول: «أعرف أنكم لن تثقوا فيّ ربما، لكن...»

غير أن السيدة ستريكهام وقفت فجأة ومشت متجهة إليها، فشعرت سيلينا بأنها أصبحت عاجزة عن الكلام. وللحظة، أحس كاو بالذعر. غير أن السيدة ستريكهام أمسكت بيد سيلينا برفق، واستدارت نحو الآخرين، وقالت وهي تنظر إلى كاو: «علينا جميعاً أن نتعلم أمراً أو أمرين بشأن الثقة. فقد فاجأنا أعداؤنا. وعندما فقدنا الثقة في بعضنا بعضاً، كادوا يتغلبون علينا».

عندها، أخفض راكلن عينيه وقال معتذراً: «أنا آسف يا كاو. لم يكن يجدر بنا الشك فيك إطلاقاً».

أحس كاو بالغرابة فيما انحنى الرجل الضخم أمامه، فقال له: «لا بأس. أعرف ما فعلته». وفكر في بلاك كورفوس وكيف تبددت كل معتقداته الإيجابية بشأنه.

أقرأناكموه

اقتربت ليديا من أمها، واتكأت عليها وهي ممسكة بالضمادة الموضوعة فوق ذراعها المصابة، فيما حلّقت حمامة فوقهم مصدرة صوت هديل، فقال كرامب للمجموعة: «الشرطة آتية إلى هنا، علينا أن نغادر فوراً».

وفيما بدأ الخارقون يتسلقون الأشجار مع حيواناتهم ويختبئون بينها، بقي كرامب والسيدة ستريكهام مع كاو، وقال خارق الحمام: «عودتك أمر رائع يا كاو».

فقال كاو: «أنا سعيد لأنني عدت». وابتسم، فبادله كرامب الابتسامة.

وقالت السيدة ستريكهام: «علينا إيجاد زوجي. فأنا أشعر أنه غاضب جداً بسبب كل ما حصل».

عندها، هزّ كاو رأسه وقال: «لديّ رسالة لكما منه. فقد قال إنه سيراكما في المنزل. قال... قال إنه يحبكما كثيراً».

لهنيهة، بدت السيدة ستريكهام وكأنها على وشك البكاء، ثم سيطرت على نفسها وابتسمت، ولاحظ كاو أنها أطبقت ذراعها حول ليديا وقالت له: «شكراً لك يا كاو».

فيما قالت ليديا: «أراك قريباً... قريباً جداً من فضلك، هل أنت موافق؟».

فأجابها كاو: «أعدك بذلك».

أسرعت ليديا وأمها بين الأشجار، وغادرتا برفقة كرامب، فيما لحقت بهم الثعالب. وبعد أن أصبحوا بعيدين بما يكفي، تمتمت سيلينا بصوت منخفض: «لم يقل السيد ستريكهام هذا، أليس

أقرأناكموه

كذلك؟».

فأجاب كاو: «لا، لكنني أعتقد أنه كان يقصد ذلك».

19

احتاج الأمر إلى يومين للتخلص من كل الفوضى في منزل كاو. فالأمر لم يقتصر فقط على شباك العناكب التي ملأت كل الغرف. إذ كلما نظر كاو عن كثب أكثر، لاحظ ضرراً أكبر. ولكن بمساعدة ليديا وسيلينا وكرامب وبيب أحرزوا تقدماً ملحوظاً. كما أحضرت مادلين الطلاء والفراشي، فيما تولى زيا وآلي مهمة إصلاح الباب الأمامي وتركيب مفصلاته، واستبدال باب غرفة نوم كاو بالكامل. أما راكلن فتخلّص من كميات كبيرة جداً من النفايات، بما في ذلك بقايا عش الشجرة المحترق. تفاجأ كاو من عدم شعوره بالأسف لدى رؤيته العش وهو يُرمى؛ وأدرك أنه لا يريد التشبث بذلك الماضي بعد الآن.

«انظروا!». قالت ليديا ذلك وهي تنزل عن سلم موضوع قرب النافذة في غرفة نوم كاو. كانت ذراعها لا تزال مضمدة، وسألتهم: «ما رأيكم؟».

إذ علّقت فوق النافذة ستارة باللون الأزرق وعليها رسوم دببة قطبية بيضاء. ويبدو أنها كانت ستارتها حين كانت أصغر سناً.

وضع كاو فرشاة الطلاء جانباً وقال: «لقد أعجبتني». ثم فتح الستارة، وسمح لنور الشمس بدخول الغرفة. وكان غلام وشيمر جاثمين على حافة النافذة في الخارج.

قالت شيمر: ألم يكن بوسعك الحصول على ستارة عليها رسوم

أقرأناكموه

غربان!؟

فأحس كاو بالحزن وقال: «هذا ما كان سكريتش سيقوله بالضبط».

عندها، حرّك غلام منقاره بحزن.

قالت شيمر: اشتقت إليه.

فقال كاو: «إنه مع ميلكي الآن».

فما كان من غلام إلا أن أخفض رأسه وقال بمرح: ربما هو يزعجه الآن أيضاً. فابتسم كاو، وفكر في الغراب الأبيض الذي رآه في الغابة؛ في شبح سكريتش. قد يرى صديقه مجدداً في يوم ما.

فجأة، سُمعت أصوات خطوات على السلالم، ثم قالت سيلينا: «حسناً حسناً. انتظر دقيقة».

وركضت إلى الغرفة ضاحكة، ثم قالت: «يريد بيب أن يريكم حيلته. تعاليا إلى منبسط الدرج».

لحق كاو بليديا وسيلينا إلى خارج الغرفة. بدلاً من ملابسها السوداء الاعتيادية، كانت سيلينا مرتدية كنزة زرقاء من دون كمين، عليها رسم سلحفاة مستلقية على ظهرها تحت الشمس، وفوقها عبارة «الحياة بالموجة البطيئة». لا بد أن هذه الكنزة كانت لليديا سابقاً. فابتسم كاو، وفكّر في أنهما أصبحتا صديقتين أخيراً.

وقف بيب على السلالم في الأسفل، ونظر إلى الأعلى من بين فجوات الدرابزين وقال: «سيداتي، سادتي. هل أنتم جاهزون؟».

فقالت ليديا: «نحن جاهزون!».

عندها، ابتسم بيب ابتسامة عريضة وتابع: «إذاً، شاهدوا الحيل

أقرأناكموه

الرائعة لبيب، خارق الفئران!».

ومرّر ذراعه عبر فجوة صغيرة بين قضبان الدرابزين، ثم رفعها إلى كتفه.

تمتم غلام: لا شيء مهم لغاية الآن.

وقالت شيمر: شش. امنح الولد فرصة.

دفع بيب جسمه بين القضبان الخشبية قدر المستطاع، ثم أخذ نفساً عميقاً، ونفخ صدره وزفر ببطء. وعندما فعل ذلك، بدا وكأن قفصه الصدري قد انكمش أكثر من المعتاد؛ كما لو أنه مصنوع من المعجون. وفجأة، لحق جسمه بذراعه من بين قضبان الدرابزين، ثم توسع في الجهة الأخرى.

فشهقت ليديا قائلة: «هذا مذهل يا بيب!».

غير أنه قال: «انتظري، لم أنهِ عرضي بعد». فيما كان رأسه لا يزال في الجهة الأخرى.

فقهقه غلام: نعم، لقد علق.

غير أن بيب أخذ مجدداً نفساً عميقاً، فنظر كاو بذهول إلى صديقه الذي استطاع حشر رأسه بين قضبان الدرابزين وقال: «نانا... يبدو أن فئراني قد علمتني!».

فقالت سيلينا وقد جفلت قليلاً: «هذا غريب! ولكنه رائع أيضاً».

وسأل بيب بشوق: «ما رأيك يا كاو؟».

فأجاب كاو: «أعتقد... أعتقد أنني أشعر بالغيرة. لماذا لا أكون خارق فئران؟».

فقال غلام: هاي. سأذكرك بذلك حين أحملك في المرة التالية.

أقرأناكموه

فيما ضرب ساق كاو بجناحه.

عندها، ابتسم بيب وقال: «أعتقد أنني سأستطيع حشر نفسي في فتحة المفتاح إذا واظبت على التمرن. يمكننا التدرب معاً يا كاو».

«طبعاً...»

لكنّ صوت قرع على الباب قاطعهم.

فقالت ليديا: «لا بد أنهما أبي وأمي». ونظرت إلى ساعتها ثم تابعت: «احزروا ماذا سيحصل؟ عائلة ستريكهام ذاهبة إلى المسرح الليلة. كلها!».

كانت الفرحة واضحة على وجهها. وعلى الرغم من إحساس كاو بالفرح الكبير لأجلها، شعر بشيء من الوحدة. فهو مستعد للتضحية بأي شيء ليرى والدَيه مجدداً، ولو كان ذلك لبضع دقائق فقط.

لكن، لم يكن السيد والسيدة ستريكهام من ينتظر عند الباب.

قال خارق الهررة: «آمل أنني لا أقاطعكم».

فقال كاو فيما نزل السلالم: «طبعاً لا».

مسح فيليكس كوايكر حذاءه على الحصيرة، ثم دخل المنزل قائلاً: «يا الله، لقد مضى وقت طويل على مجيئي إلى هنا».

فقال كاو: «عذراً بشأن الفوضى». وأشار إلى أكياس النفايات التي لا تزال بانتظار التخلص منها.

قال كوايكر: «أبداً. ستتفاجأ حين تعرف أن المكان لم يتغير كثيراً».

ثم أخرج رزمة صغيرة من خلف ظهره، وكانت ملفوفة ببعض

أقرأناكموه

الأوراق.

سأله كاو: «ما هذه؟».

فأجاب كوايكر: «إنها هدية بمناسبة انتقالك إلى المنزل. أخشى ألا تكون مميزة جداً».

وحين مزق كاو الورقة، رأى علبة معدنية مكتوبة عليها الكلمات التالية: «شاي إيرل غراي». ثم فتش كوايكر في جيبه وأخرج ليمونة وتابع: «لم أزعج نفسي بلف هذه بورقة».

فقال كاو فيما أخذ الليمونة: «أوه، شكراً لك».

بدا كوايكر منزعجاً قليلاً، وراح يتحرك من قدم إلى أخرى، ثم قال: «هل أقول لك شيئاً؟ لماذا لا نشرب كوباً الآن؟ فثمة شيء أريد أن أتحدث إليك بشأنه».

وبعد أن حضّر كاو الشاي تحت الإشراف المباشر لخارق الهررة، جلس فيليكس وكاو وليديا وسيلينا حول مائدة الطعام. لم يعد منزل آل كارميكايل مقراً للخارقين، فقد عاد الخارقون الآخرون إلى منازلهم، وبات هذا المنزل ملكاً لكاو مجدداً.

حمل كوايكر كوب الشاي بين يديه، وحدق إليه بتركيز، وبعد فترة من الصمت قال: «أريد التحدث إليك بشأن الصيف المشؤوم، وتحديداً بشأن حجر منتصف الليل».

ارتشف كاو القليل من الشاي، وأحس بثقل كلمات خارق الهررة.

سأله كوايكر: «هل ما زال الحجر معك؟».

فأجاب كاو: «إنه بأمان. فقد أقسمت على ذلك، أتذكر؟».

عندها، أومأ كوايكر برأسه وقال: «لقد أقسمت أمك على الحفاظ عليه أيضاً».

لفظ خارق الهررة كلماته بنبرة عادية، ومن دون أي تلميح أو اتهام، لكن كاو أجفل. وفجأة، تذكر ما شاهده في الرؤية، بعدما عضه العنكبوت الأبيض في المكتبة، فقال: «رأيت شيئاً في الحلم؛ مساحة في الغابة، حيث أرت أمي الرجل الدوام الحجر».

فارتفع حاجبا كوايكر قليلاً باستغراب وقال: «إذاً، أنت تعرف الحقيقة!».

غير أن كاو هزّ رأسه قائلاً: «إنني لا أفهم ما رأيته حقاً».

عندها، حدّق إليه فيليكس قليلاً، ثم قال: «أعتقد أنك مستعد لسماع الحقيقة».

فقال كاو: «أخبرني بها، فقد سئمت من سماع الأكاذيب».

ارتشف خارق الهررة الشاي ببطء، ثم بدأ كلامه:

«حسناً. أنت لم تلتقِ جدك قط يا كاو، أليس كذلك؟ فقد مات قبل أن تولد. كانت أمك في السادسة عشرة أو السابعة عشرة من عمرها حينها حسبما أذكر. فيما كان جدك على فراش الموت، أخبر أمك بما ستصبح عليه، وأعطاها حجر منتصف الليل، وطلب منها حمايته دوماً». ثم صمت قليلاً، ونفخ على كوب الشاي الساخن قبل أن يتابع: «لكنّ تفكيره كان مشوشاً، فلم يخبرها مطلقاً بالشيء الأكثر أهمية؛ وهو ألا تخبر أحداً عن الحجر. في ذلك الحين، كان لإليزابيت صديق مقرب يدعى جيديون، جيديون مارشال. وقد

وثقت فيه. إذ لم يكن هناك أي شخص آخر قربها في ذلك الحين، وأنا واثق من أنها شعرت بالوحدة».

فجأة، أدرك كاو إلى أين سيصل كوايكر بقصته، وأحس بانقباض في حنجرته وهو يسأله: «كان خارق العناكب، أليس كذلك؟».

فهزّ فيليكس رأسه إلى الأمام مؤكداً ظن كاو وقال: «لم يعرف جيديون والديه لأنهما تخليا عنه عندما كان طفلاً. لكن، لا شك في أن أحدهما كان خارق العناكب. وعندما لاحظ قواه في طفولته، أشفقت عليه مجموعة الخارقين، ولاسيما أمك وجدك. وكان هذا أكبر خطأ ارتكباه على الإطلاق».

فهمست سيلينا: «أصبح الرجل الدوام».

أومأ كاو برأسه حاثاً إياه على المتابعة. «بعد أعوام عدة، عندما ولدتَ يا كاو، جاء جيديون إلى أمك، وقال لها إنه سيعتني بحجر منتصف الليل. قال لها إنه عبء كبير عليها، وإنها لن تستطيع الاهتمام بك وبه في الوقت نفسه. غير أنها رفضت عرضه. لكن منذ ذلك اليوم، أصبحت المسألة مسألة وقت. إذ أصبح جيديون مارشال شريراً وتواقاً للسلطة، وأراد الحصول على حجر منتصف الليل بأي ثمن. لذا، جمع حلفاءه ووجّه ضربته، فكان ذلك الصيف المشؤوم».

عندها، تنهد كاو وسأله: «لماذا لم تخبرني بهذا من قبل؟».

فأجاب كوايكر: «لأنني وعدتها بألا أخبرك أبداً. ففي خضم الصيف المشؤوم، عندما بدا لنا أننا سنخسر، طلبت إليّ أمك أن أعدها بذلك». ثم نظر إلى كاو، وتلألأت عيناه بالدموع وهو يتابع كلامه: «لقد شعرَت حينها بالخجل الشديد بسبب دورها في ما

أقرأناكموه

حصل. مسكينة ليزي. وها أنا اليوم أنكث بالعهد الذي قطعته أيضاً».

حـاول كاو اسـتيعاب كل شـيء، فيما وضعـت ليديا يدها على ظهره وسألته برفق: «هل أنت بخير؟».

فأجـاب: «أعتقـد ذلك». ثم أرجع كرسـيه إلـى الخلف، وابتعد عن الطاولة.

نادته سيلينا: «كاو».

فقال لهم: «امنحوني دقيقة فقط. غلام، شيمر، أحتاج إليكما».

ثـم خـرج مـن الباب الخلفي وقد ازدادت عزيمته، فيما لحق به الغرابان.

أشار كاو إلى الشجرة وقال: «أحضراه».

فسألته شيمر: ماذا ستفعل ؟

«من فضلك، نفّذي ما طلبته».

عندها، طارت شـيمر إلى الأغصان المعتمة، فيما سـحب كاو منقار الغراب من غمده.

ومـا هـي إلا لحظـات حتى عادت شـيمر حاملة حجر منتصف الليل بين مخالبها.

ورمته على الأرض.

قال غلام: كاو!

غيـر أن كاو نظـر إلـى الحجر الأسـود أمامه متسـائلاً عن كيفية تمكن هذا الشيء الصغير من التسبب بالكثير من الحزن. فقد جعل الخارقيـن يحاربـون بعضهـم بعضاً، وتسـبب بإراقة دمـاء الكثير من الأبرياء.

أمي، أبي، سكريتش.

جيدون مارشال وسينتيا دافنبورت.

ما هو عدد الأسماء الأخرى التي لا يعرفها؟ ولماذا؟ ألكي تسيطر روح رجل واحد على كل القوى؟ أراد بلاك كورفوس العيش إلى الأبد، واستمرت أمنيته تلك طوال قرون عدة، إلى أن أصبحت موجة مدمرة فتكت بحياة الكثير من الأشخاص.

حتى الآن.

أحسّ كاو أن الجميع قد احتشدوا خلف نافذة المطبخ. غير أنه لم يكترث لرؤيتهم ما سيقوم به، وأمسك بمنقار الغراب ورفعه عالياً فوق حجر منتصف الليل.

لا يهمه القسَم الذي تفوّه به بلاك كورفوس.

فليس هو من أقسم على ذلك.

صحيح أنه خارق غربان متحدر من سلالة بلاك كورفوس، ولكنه أكثر من ذلك أيضاً. وقد رأى بسبب هذا الحجر ما يكفي من الرعب.

انتهى الأمر هنا.

نظر خلفه إلى النافذة، وأومأ برأسه لأصدقائه. وبعد ذلك، وبجهد كبير، ضرب الحجر بنصل السيف بكل قواه وعزمه.

لم يحصل أي وميض، ولا أي زلزال. ولم يشعر كاو بأي شيء سوى بقوة الصدمة في معصم يده. وعندما نظر إلى الأسفل، رأى حجر منتصف الليل وقد تحطم إلى عدة أجزاء. عندها، أعاد سيفه إلى غمده، وأغمض عينيه، واستدعى غربانه. وخلال ثوانٍ قليلة،

أقرأناكموه

وصلت مجموعة من الغربان إلى الحديقة، فقال لها:

«خذي كل القطع. احمليها بعيداً عن المدينة، وتخلصي منها. لا يهمني المكان، ولا أريد أن أعرف أين سترمينها».

عندها، نزلت الغربان الواحد تلو الآخر، وحملت الشظايا الصغيرة، ثم حلقت في اتجاهات مختلفة. فراقبها جاك كارميكايل وهي تختفي بعيداً في الأفق.

ثم عاد إلى منزله ببطء.

أقرأناكموه
telegram @ktabpdf

بعد أن تمكّن كاو، خارق الغربان، من القضاء على أمّ الذّبابات في معركته الأخيرة ضدّ الخارقين الأشرار، ها هو الآن يواجهُ تداعيات تلك المعركة. فالجيش الّذي شكّلته أمّ الذّبابات من المجرمين المساجين الّذين أطلقت سراحهم ومنحت كُلاً منهم قوة خارقة يعيث الخراب والفساد في المدينة. ورغم أنّ الخارقين الجيّدين تمكّنوا من الحدّ من أعمال العنف، إلّا أنّ شيئاً لم يكن في الحسبان قلب حياة كاو رأساً على عقب، وغيّر مسار الأحداث. فقد ظهر عدوّه مجدداً!! إذ تمكّن الرجل الدّوّام، خارق العناكب، بطريقة ما من العودة من أرض الموتى، وها هو الآن يسعى للانتقام من كاو الّذي هزمه سابقاً وقضى على سلالته كلّها. وليحقّق خارق العناكب غايته الشريرة استغلّ صديقة كاو سيلينا واحتلّ جسدها، وصار يدعو نفسه الأرملة البيضاء. وهو لم يكتفِ بذلك فقط، بل جعل أصدقاء كاو الخارقين ينقلبون ضدّه ويفقدون ثقتهم فيه. فهل سينجح كاو مجدّداً في التّغلّب على خارق العناكب؟ وهل سيتمكن من استعادة ثقة أصدقائه فيه؟ أم أن الشّرّ هو الّذي سينتصر في نهاية المطاف؟!

صدر أيضاً من هذه السلسلة

ISBN 978-614-01-2118-8

جميع كتبنا متوفرة على الانترنت
في مكتبة نيل وفيرات كوم
www.nwf.com

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

أقرأناكموه